

الحوار

مجلة ثقافية فصلية حرة تهتم بالشؤون الكردية وتهدف إلى تنشيط الحوار الوطني.

تصدر في: سوريا - قامشلي

رئيس التحرير

د.آزاد أحمد علي

عنوان المراسلة: alhiwarmagazine@gmail.com

- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها.
- ترحب "الحوار" بكل المساهمات الواردة إليها.
- أفضلية النشر للدراسات والمقالات الموثقة علمياً.
- ترحو المجلة من القراء الكرام عند إرسال المساهمات مراعاة ما يلي:
 - ١- الكتابة بخط واضح وعلى وجه واحد للورقة.
 - ٢- الإشارات المرجعية الموثقة تثبت بالترتيب:
 - ٣- الطباعة على الكومبيوتر مع إرسال /C.D/.

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة للمجلة

الحوار كقراءة مستمرة للواقع

رئيس التحرير: آزاد علي

الذين لم يستوعبوا الحوار بصفته لغة متقدمة تخصّ البشر، عليهم العودة إلى تجارب الواقع، فبعد القراءة الأولية سيتبين لمن يجيد القراءة: بأنّ الحوار يشكّل في ذاته الصيغة الأكثر تقدماً ودقة لقراءة الواقع، فالحوار بمفهومه الواسع هو تفاعل موضوعي بين الإنسان ومحيطه، سواء المحيط الاجتماعي أم الطبيعي.

في قراءتنا المستمرة لواقعنا السياسي والاجتماعي، نعود لنكتشف الحوار كقيمة إنسانية، ومنهجاً للقراءة، وبالتالي تكرار المحاولة للتخلي بثقافة الحوار وأدواته، لأنها تتفاعل وتتداخل مع صيغ فهم الواقع، استكشافه، حتى التأثير فيه، فالحوار في أحد أوجهه أيضاً هو ترجمة بسيطة لأحلام الإنسان في الوصول إلى مستوى أرقى من التفاهم والتوافق ضمن فضاء وظرف مشخص ومحدد...

هذا العدد من المجلة هو إعلان عريض من أصدقاء الحوار ومناصريه، على أنّهم باقون على قناعاتهم، ماضون في تبنينهم لثقافة انكسرت، بل كادت أن تنبذ في زمن المتاجرة بالعنف والمواقف المتشنجة. في هذا العدد، في هذه المحطة الخاصة، نتوقف عند الحوار من جديد كلغة وثقافة ومواقف نبيلة بقوتها، رصينة بعقلانيتها... ونكرّر من جديد القول: بأنّ الحوار كان وما زال قراءة لواقع موضوعي، تمثلاً واستيعاباً له، قبل التصريح بالتفاصيل، ودون التشهير بسلبياته...

عائدون إلى الحوار ونحن لم نغادر مساحاته الرحبة، حاملين نهجنا المسالم النابع من قوة المعرفة، من صدق نوايانا وطيبة أهلنا المتشبهين بالأرض والجغرافيا، المصريين على حق الحرية وحق الحياة الكريمة. إن الذين أعلنوا رفضهم للحوار كنهج وكلغة هم أنفسهم الذين أفسوا على أبواب المستبدين ودوائر الإتجار بالسياسة والشعوب والإنسان... في ربيع عام ٢٠١٣ وبمناسبة مرور عشرين عاماً على صدور

أول عدد من مجلة الحوار، اقترحت على الأصدقاء، وعدد من أعضاء هيئة تحرير المجلة أن نعقد ندوة في مدينة القامشلي لنستعرض عملنا في السنوات الماضية ونستمع إلى قرائنا، إلى محبينا ومنتقدينا، لنتمكن من تطوير هذا المسار - الفكر، ولنعيد إلى الأذهان في الوقت نفسه مكانة الحوار وضرورته كقيمة أخلاقية، قبل أن يكون منهجاً، أو أسلوب عمل متقدّم لبني البشر، لكن المزاج العام والظرف السياسي في حينه لم يسمحا بعقد تلك الندوة.

نعم لقد مررنا في محنة كبرى، في اختبار شديد القسوة، اختلط فيه الحوار كقيمة ومنهج مع المساومات، وتشابكت المصطلحات في ظلّ حروب كلامية، كما تمّت استعراضات وسباقات انتهازية في فضاءات تخيلية (ديجتال)، حتّى تداخلت في ظلّ مناخات الانتفاضات الشعبية مزايدات الساسة، والمتاجرة بالمواقف مع نضالات وتضحيات النخبة المتقدمة الواعية.

هذا العدد يشكّل بمحتواه عودة إلى الواقع، وإصراراً على البقاء ملامسين لتربة الوطن، لذلك يبدأ محتوى هذا العدد من أسئلة البرفيسور الصديق المخلص للكورد اسماعيل بشكجي، حول آفاق حل المسألة الكوردية، وينتهي باستذكار أكبر مجزرة حدثت في تاريخ الجزيرة ومنطقة بوتان، وهي مجزرة قرية (آل قمش) الرهيبة، التي راح ضحيتها حوالي ألفي قروي في المنطقة التي كادت أن تكون حدودية بين سورية وتركيا، خلال أعوام العشرينات من القرن الماضي، مروراً بسرد مؤطر لتاريخ بعض البلدات في المناطق الكوردية... في إشارة واضحة من أسرة التحرير على التجديد والعمل البحثي الثقافي - الفكري التنويري. في انتظار دعمكم ومؤازرتكم المستمرة.

دراسات وأبحاث:

السؤال الرئيسي في القضية الكردية

البروفيسور اسماعيل بيشكجي- عالم اجتماع تركي معروف

ترجمة عن الكردية*: نواف بشار عبدالله

إن الموضوع الأكثر مناقشة في تركيا حول القضية الكردية، هو "الحل". بدون شك، الكرد بدورهم يتحدثون عن "الحل" دوماً، الكرد يناقشون "الحل". لكن، من الضرورة بمكان أن يتم توضيح هذا الموضوع بما فيه الكفاية قبل "الحل". ترى، ما هي الأسباب الأساسية لهذه القضية؟، متى باتت فيه هذه القضية قضية؟، وفي أية مرحلة تاريخية نشأت؟.. إلخ .

في هذا المقال، سوف أحاول التوقف عند هذا الموضوع الهام، فالمرحلة الأساسية التاريخية لنشوء القضية الكردية هي مرحلة الحرب العالمية الأولى، أي مرحلة حروب التقسيم(تقسيم مناطق النفوذ-المترجم)، أي يمكن القول باختصار في مرحلة تأسيس جمعية الأمم.

من المعروف أن ميثاق جمعية الأمم يُعدُّ القسمَ الأولي من معاهدات السلام، حيث تمَّ عقدُ كونفرانس السلام في باريس، وبدأتُ جمعية الأمم بالحياة منذ تاريخ ١٩٢٠/٠١/١٠ مع التوقيع على معاهدة فرساي. في أعوام ١٩٢٠-١٩٢١، وفي إطار جمعية الأمم، تكونت دولٌ جديدة على أرض الإمبراطورية العثمانية الناطقة بالعربية والكردية مثل العراق، والأردن وفلسطين كدول تحت الانتداب بقيادة بريطانيا العظمى، وسوريا ولبنان أيضاً كدول تحت الانتداب بقيادة فرنسا. يمكن للمرء أن يفهم مصطلح "الانتداب" كأحد أنواع الاحتلال.

هنا، وحيال الكرد، ينبغي طرح هذا السؤال: ترى، لماذا تمَّ قطع الطريق أمام تأسيس دولة كردستان في كونفرانس السلام بباريس أو في إطار جمعية الأمم؟، فعلى الرغم من مطالبة الكرد ونضالهم التحرري الطويل، فقد لقتْ آمالهم بتأسيس دولة كردستان رفضاً قاطعاً! لماذا تمَّ رفض دولة كردستان بقيادة بريطانيا العظمى أو فرنسا؟ ولماذا لم يسمحوا بتأسيس كردستان كدولة

تحت الانتداب أو الاحتلال؟ لماذا لم يتم وضع كردستان تحت الانتداب في ذلك الوقت من الزمن كالدول الأخرى مثل العراق وسوريا، مثل فلسطين والأردن ولبنان؟ ..

على الرغم من قيام الكرد حينها بنضال تحرري شجاع لتأسيس دولة كردستان المستقلة بزعامة الشيخ محمود برزنجي، إلا أن الدول الكبرى لم تسمح بتأسيس كردستان، ليس هذا فحسب، بل تم تجزئتها بين سوريا والعراق الواقعتين تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني، وبين دولة تركيا الناشئة. بهذه الصورة، أصبحت بريطانيا العظمى (العراق) وفرنسا (سوريا) جارتين لبعضهما بعضاً، وهذا يعني أن كردستان كوطن والكرد كأمة، تمّ ابتلاعهما!!.. في العقود ١٩٢٠ و ١٩٣٠ و ١٩٤٠ أصبحت تركيا جارة للعراق، أي لبريطانيا العظمى، وكذلك الأمر مع سوريا، أي أنها أصبحت جارة لفرنسا.

مارست هاتان الدولتان الإمبرياليتان ضغوطاً شديدة على الكرد الواقعين تحت سيطرتهم وتحركتا باهتمام وعزم كبيرين لعرقلة تحقيق المطالب القومية للشعب الكردي، ولهذا فإن سياسة التجزئة والتقسيم اللتين مورستا بحق الكرد قد أسفرت عن نتيجة كارثية تشبه تمزيق جسد إنسان، تشبه تحطيم دماغ إنسان!!.. يقولون عن الحرب العالمية الأولى أنها "حرب التقسيم"، في حقيقة الأمر، وفي سياق هذه الحرب وفي المرحلة التي أعقبتها، تمّ تقسيم الكرد ووطنهم كردستان. وفي هذا السياق أيضاً، حدث هذا الأمر على الأرض العثمانية الناطقة بالعربية، حيث تمّ وضع العرب في دول مستقلة وأخرى تحت الانتداب، ولكن، وبغية إزالة اسم الكرد عن الألسن ومحوه من التاريخ، تمّ تقسيمهم وتوزيعهم بين دول الجوار، ومورست بحقهم السياسة الكلاسيكية: "قسّم، أخضع لإدارتك، إمح!!". ولهذا، حاولت كل من كونفرانس السلام في باريس وجمعية الأمم الساعيتان لاستتباب الأمن والسلام العالميين، قد عملتا على فعل كل ما يناقض الاستقرار والسلام في كردستان، لأنه ووفقاً لهذا القرار، سيكون من الطبيعي جداً أن ينهض الكرد للمطالبة بحقوقهم وحرّيتهم، وسيؤدي ذلك حكماً إلى بروز حروبٍ وصراعات في مناطقهم.

إنني على قناعة بأن نقاشاتٍ ومحادثاتٍ واسعة كانت تجري بشأن الكرد وكردستان خلف الأبواب المغلقة بوزارة شؤون المستعمرات، وزارة الخارجية، وزارة شؤون إدارة الهند، وزارة شؤون الحرب والقوى الجوية في

بريطانيا العظمى من نهاية عام ١٩١٩ ولغاية أوائل عام ١٩٢١ ولمدة ١٨ شهراً. كما جرت تلك المناقشات والحوارات في بغداد، القاهرة، دلهي الجديدة، وفي لندن واستانبول، وإني أعتقد أنه نتيجة هذه النقاشات والحوارات، تمّ اتخاذ قراراتٍ أدت في نتائجها إلى تحطيم مصير الكرد!! وإذا ما تمعن المرء في دراسة وثائق الإنكليز، تظهر ملامح تلك المرحلة جلية للعيان .

كما هو معلوم، فقد تمّ تقسيم كردستان في القرن ١٧ السابع عشر (١٦٣٩) بين الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الإيرانية بموجب معاهدة قصر شيرين، وتمّ إلحاق قسم من شمال كردستان الشرقية بالإمبراطورية الروسية في الربع الأول من القرن ١٩ التاسع عشر إثر الحرب التي جرت بين إيران وروسيا القيصرية، وكذلك خضعت كردستان قفقازيا إلى السيطرة الروسية بموجب معاهدة عام ١٩٢٨ .

لقد اتبعت دولتا بريطانيا العظمى وفرنسا، هاتين الدولتين الإمبرياليتين، القوتان العظمتان في الربع الأول من القرن ٢٠ العشرين سياساتٍ معاديةٍ للكرد، ويظهر ذلك جلياً في الحرب العالمية الأولى بمعاهدة سايكس-بيكو التي وقعت في نيسان ١٩١٦ ومؤتمر سان ريمو نيسان ١٩٢٠، وكانت كل الحكومات المتعاقبة على السلطة في هاتين الدولتين منذ العام ١٩٢٠ معادية للكرد وحقوقهم بصرف النظر عن كونها من المحافظين، الليبراليين، أو من اليساريين والشيوعيين، وكانت دوماً على علاقة طيبة مع الدول التي أخضعت الكرد لسلطتها. وإذا أمعنا النظر في سياسة الاتحاد السوفييتي حيال الأكراد بأعوام ١٩٢٠، نجد بأنها ليست بأفضل بأي حال من الأحوال من سياسات هاتين الدولتين، ولم تنظر إلى النقاط الـ ١٤ للرئيس الأمريكي ودرو ويلسون بشأن حق تقرير مصير الشعوب الراضحة تحت نير الامبراطورية العثمانية، أو حق تقرير المصير الذي كان يرددها المسؤولون السوفييت، ولم تطالب به مرة واحدة للأكراد، بل كان الاتحاد السوفييتي دوماً على علاقة حسنة مع الدول التي أخضعت الكرد لهيمنتها.

بالتأكيد، يجب البحث والتعمق بتفرعات السياسة الكردية لهاتين الدولتين الإمبرياليتين، وهي واضحة تماماً، إذ أقدمتا على تعزيز العلاقات السياسية مع المسؤولين العرب والفرس والتركي، وفي هذا السياق، ينبغي عدم نسيان مسألة الأرمن ومسألة الشعب الآشوري السرياني الكلداني، وكذلك علاقات الدفاع

القومي (في تركيا) والاتحاد السوفييتي أيضاً.

إنّ هذا الشعب الذي أصبح هدفاً لسياسة: " قسّمه، قُم بإدارته" لا شكّ أنه شعبٌ ضعيف، حيث أن القوى الإمبريالية وقوى الاحتلال التي تسعى إلى تقسيم ذلك الشعب ووطنه والقيام بإدارته، بالتأكيد تستفيد من ضعفه المذكور آنفاً، فعلى سبيل المثال، إن الخصائص الذاتية كالصراعات والتناحرات الداخلية وعدم احترام بعضهم بعضاً الموجودة لدى الأكراد، هي ذاتها موجودة لدى العرب أيضاً، وللحقيقة، إنها موجودة في كل المجتمعات التي تعيش مرحلة العشائرية، لكنها لم تصبح عائقاً أمام العرب في تأسيس دولهم المختلفة! نستطيع طرح أسئلة عدة أخرى متعلقة بالسؤال الأساسي الذي طرحناه آنفاً، حيث شكلت بريطانيا العظمى قياداتٍ للحكم الذاتي في كل مستعمراتها في الهند، أفريقيا الجنوبية، زامبيا، زيمبابوي..

عندما كانت بريطانيا منعمكة في تشكيل قيادة لمستعمراتها في العراق آب ١٩٢١، أي في الوقت الذي كان يتم فيه تلبس فيصل تاج الملكية بناءً على قرار من جمعية الأمم، كان القرار ذاته يتضمن بنداً بمنح الأكراد حكماً ذاتياً، لكن بريطانيا لم تشأ تشكيل قيادة للحكم الذاتي في الموصل، أو الأصح في كردستان علماً بأن هذا كان مطلباً كردياً وكان مقترحاً في الوقت عينه من جمعية الأمم، إلا أن بريطانيا لم تتعامل إيجابياً مع ذلك الأمر، بل ماطلت في تطبيقه. يجب بحث هذه القضية ودراستها بدقة.

في تلك السنوات، كانت هناك ثورة كبرى في كردستان، وعلى الرغم من إلقاء القبض على قائد الثورة الشيخ محمود برزنجي والحكم عليه بالإعدام ثم نفيه إلى الهند عام ١٩١٩، إلا أن جذوة النضال لأجل تأسيس دولة كردستان لم تنطفئ، وبعد إعادة الشيخ محمود من الهند عام ١٩٢٢ وتعيينه في القيادة الكردية، كان النضال من أجل تأسيس دولة كردستان مستمراً. وللحقيقة التاريخية، فقد تمّ إغراق كل الثورات والانتفاضات الكردية بالدماء!! وأصبحت كردستان ساحة لتدريب وتجريب الأسلحة التكنولوجية لقوى الطيران الملكي البريطاني. يتناول حسن يلدر كفاح شيخ محمود برزنجي بالتفصيل في كتابه المعنون-Fransiz belgeleriyle Sevr-Lozan-Musul Üçgeninde Kurdistan-2005".

لقد تمّ مناقشة المنافذ البحرية في غرب تركيا، وضع استانبول، مسألة الأقليات ومواضيع أخرى عديدة في معاهدة لوزان، كما كانت قضية الموصل التي هي في جوهرها تعني مناقشة القضية الكردية، حيث تعتبر من القضايا الهامة التي تمّ الحديث بشأنها. لكن، ولكون الموصل كانت جزءاً من أرض مستعمرة العراق قانوناً، كان يتمّ إهمال وتجاهل الثورات والانتفاضات المندلعة في المنطقة، ويتمّ غضُّ النظر عن وضع الأكراد ومطالبهم، وتجنب مناقشته كموضوع سياسي يتطلب حلاً منصفاً، بل نظروا إليها على الدوام باشمئزاز كالنظر إلى مرض جلدي مُعدٍ!!... ولهذا، كانوا يسعون على الدوام إلى استئصالها وإزالتها. إلا أن الحقيقة هي أن هذه المنطقة هي وطن الأكراد، فكل الإحصائيات التي جرت من قبل كل من بريطانيا العظمى وتركيا تشير بوضوح لا لبس فيه أن عدد سكان الأكراد فيها أكبر من عدد سكان العرب والتركمان والسريان والكلدان، والأرقام الواردة في تقرير جمعية الأمم المعدّ بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩٢٤ يؤكد صحة تلك الإحصائيات، حيث نشر هذا التقرير في كتاب **Musul Kerkuk sorunu ve Kurdistan, in paylaşimi** والذي يحوي فصلاً بعنوان **Milletler Cemîyeti Belgelerinden** ، الذي نشر في استانبول أيلول ١٩٩١.

ولكن، لم يكن ممثلو الأكراد موجودين في كونفرانس لوزان كي يشرحوا مطالب الشعب الكردي، إذ عملت الجهات الراعية للكونفرانس بعناية واهتمام لتغيب الكرد عن حضور هذا المحفل المصيري، وقال رئيس الوفد التركي عصمت إينونو حينها: "إننا نمثل الأكراد أيضاً إلى جانب تمثيلنا لتركيا!!.. لكنه وقف إلى جانب تركيا معادياً على طول الخط للمطالب الكردية.

كانت بريطانيا العظمى وفرنسا تسيطران على هذه المنطقة، وقد منعنا ممثلي الكرد الحقيقيين المرسلين من قبل شيخ محمود برزنجي في مؤتمر السلام بباريس نهاية عام ١٩١٩ من الحضور، حيث كان من المقرر أن يسافرا من سوريا إلى فرنسا بحراً، ولكن بدافع تغيبهما عن حضور المؤتمر، تمّ وضع العراقيين أمام سفرهما من قبل مسؤولين فرنسيين وإنكليز!!.. ويعطينا رفيق حلمي في كتابه المعنون **Anilar, Şeyh Berzenci Hareketi** الصادر في تموز ١٩٩٥ باستانبول معلومات قيمة حول هذه المسألة، يقول أن

شيخ محمود قد أرسل ممثلين كرديين هما زكي كابان وسيد أحمد إلى باريس لحضور مؤتمر السلام وزودهما برسالة تتضمن مطالب الأكراد وحقوقهم بغية إيصالها ليد شريف باشا الذي حضر المؤتمر متحدثاً باسم الأكراد، وعندما يصلان إلى مدينة حلب، اعترضهما على الفور مسؤولون فرنسيون وإنكليز وقاموا بتأخيرهما عمداً عن موعد المؤتمر بحجج وأكاذيب باطلة من قبيل: "أحوال الطقس سيئة"، "السفينة معطلة"، "السفينة بالإصلاح"... وغير ذلك من التلويقات للحؤول دون حضورهما مؤتمر السلام مما أدى إلى حرمان شريف باشا من الوثيقة التي تتضمن المطالب والحقوق الكردية والتي تخوله بالتحدث باسم الكرد في ذلك المحفل، وتم إعادة هذين الممثلين من حلب إلى كردستان إثر إقدام بريطانيا العظمى على اعتقال الشيخ محمود برزنجي.

على الرغم من أن قضية الموصل كانت من القضايا الأساسية التي نوقشت في مؤتمر لوزان، وعلى الرغم من وجود انتفاضة كردية عارمة على الأرض تطالب بالحقوق الكردية، لماذا تمّ اعتراض ممثلي الكرد وحرمانهم من حضور مثل هذه المؤتمرات ليتسنى لهم فرصة الدفاع عن حقوقهم يا ترى؟! ولماذا لم يتم مناقشة القضية الكردية كموضوع سياسي له مطالب محقة بل يُنظر إليها كمرض جلدي معدٍ تترك آثاراً سيئة على الجميع!!... يجب البحث في هذه المسألة أيضاً كمسألة هامة مرتبطة بالمسألة الرئيسية للقضية الكردية.

فلو تمّ تشكيل "مستعمرة كردستان" أو "كولونياية كردستان" في إطار جمعية الأمم عام ١٩٢٠ كما حصل للعراق وفلسطين ولبنان، كان على الأغلب يسمونها بـ "مستعمرة كردستان لهذه الدولة" أو "كولونياية كردستان لتلك الدولة" .. إلخ ولو أنها كانت بأدنى درجات الحقوق، لكنها تعبر في جوهرها عن إنشاء كيان سياسي وشخصية سياسية اعتبارية. ألم تشر "عراق مستعمرة إنكليزية" أو "سوريا مستعمرة فرنسية" إلى وجود كيان سياسي؟. لكن الكرد حتى أعوام ١٩٢٠ لم يحصلوا على أصغر كيان لهم؟!.. وقد خططوا وتحركوا باهتمام بالغ كي يبقى الأكراد محرومين من أي كيان سياسي، ولهذا، فكردستان ليست حتى بـ "كولونياية" أيضاً؟!.. هنا، يجب التوقف بعناية على كلمة "أيضاً".

لتسليط المزيد من الأضواء على القضية الأساسية بغية توضيحها، يستطيع

المراء أن يسأل سؤالاً آخر مرتبطاً بالاتحاد السوفياتي. فلقد تمَّ إنشاء منطقة ذات حكم ذاتي باسم كردستان الحمراء عام ١٩٢٣ في المنطقة الجغرافية بين أرمينيا وقره باغ العليا تضمّ النواحي التالية: لاجين Laçîn كلبازار Kelbajar قباتلو Qubatlu زنكلان Zengelan ، استمرت حتى عام ١٩٢٨ إلا أنه تمَّ إنهاء هذه المنطقة ذات الحكم الذاتي في العام ١٩٢٨ وإزالتها من الوجود. مهما كانت طبيعة العلاقة بين الاتحاد السوفياتي وتركيا جيدة أم سيئة، فإننا كنا نرى على الدوام يتم نفي الأكراد من قفقازيا باتجاه آسيا الوسطى، وخلال السنوات ١٩٣٧-١٩٤٤ كانت عملية نفي الأكراد وتهجيرهم القسري مستمرة في أوجها. إن هذا الموضوع يتمتع بأهمية بالغة يجب البحث فيه للتعرف على أسباب تأسيس منطقة كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي، وأسباب إنهائها والقضاء عليها.

إن البحث في الأحداث التي جرت في عشرينيات القرن التاسع عشر ١٩٢٠ وتقييمها بموضوعية، تظهر لنا أن هناك تناقضات كبيرة بين حقيقتها وبين الأبحاث والتحليل التي جرت بشأنها من قبل باحثين متحيزين، حيث يتمّ فيها اتهام الكرد كمتعاونين وعملاء للإمبريالية في الوقت الذي كانت تجري فيه حربٌ بين الكرد وبين بريطانيا العظمى التي لم تقبل بمطالب الأكراد في بناء دولتهم المستقلة "كردستان"، بل أنها رفضت حتى تمتعهم بحكم ذاتي ضمن حدود الدول الناشئة الجديدة!!، ليس هذا فحسب، بل أنها عملت ما بوسعها لسحق هذا الأمل باستخدام القوة العسكرية، فقد نفذت القوى الجوية الملكية البريطانية معظم غاراتها في العقود ١٩١٠، ١٩٢٠، ١٩٣٠، و١٩٤٠ على كردستان بغية إنهاء الانتفاضة الكردية. هنا يجب إيلاء النضال الذي خاضه الشيخ محمود برزنجي المزيد من الاهتمام والدراسة أيضاً.

وعلى الرغم من أن الحركة التركية لم تتصارع يوماً مع بريطانيا العظمى أو تخوض معها حرباً أو تعمل ضد مصالحها، فإنها تظهر وكأنها تقاوم الإمبريالية!! وبهدف الحصول على الدعم والمساعدة، قام الكرد بزيارة كل من بريطانيا العظمى وفرنسا، إلا أنهم لم يحصلوا على أي دعم منهما، وهناك العديد من الوثائق التي تثبت عدم موافقة هاتين الدولتين على دعم الحقوق الكردية. وعندما نقوم بتحليل أحداث أعوام ١٩٢٠، يجب البحث في كنه هذه

التناقضات وبيان حقيقتها.

عندما نتمعن في اللوحة السياسية في أعوام ١٩٢٠، نجد هناك ثلاث فئاتٍ من الدول، الفئة الأولى تتضمن الدول العظمى مثل بريطانيا العظمى، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، والفئة الثانية تتضمن الدول المستقلة مثل تركيا وإيران وكذلك الدول المستعمرة (تحت الانتداب) المرتبطة بالدول الإمبريالية مثل بريطانيا العظمى وفرنسا، ويتضح بجلاء أن الدول المستقلة مثل تركيا وإيران المشار إليهما أعلاه قد خضعت من الناحية الاقتصادية لنير دول الفئة الأولى. أما الفئة الثالثة، فتتضمن الشعوب التي لم تحصل على حقوقها في بناء دولها، وبعبارة أدق، الدول التي تم اغتصاب حقها في تكوين دولها القومية، والشعب الكردي هو أحد تلك الشعوب. أولئك الذين أجروا دراساتٍ حول العلاقات بين الدول، قد تطرقوا إلى العلاقة بين دول المجموعة الأولى والثانية فقط، وأهملوا الشعوب المنضوية في الفئة الثالثة ولم يبحثوا في أوضاعها، لأن تلك الشعوب كانت على الدوام بنظر دول الفئة الثانية هي بمثابة مرضٍ جلديٍّ معدٍ ومقرزٍ!

تدّعي دول المجموعة الثانية على الدوام وتكرر مزاعم مفادها أن دول المجموعة الأولى كبريطانيا العظمى وفرنسا، وبغاية قطع الطريق أمام تطورها وإضعافها، تقوم بدفع الشعوب المنضوية في الفئة الثالثة إلى الميدان لمواجهة وإشغالها عن التقدم والتطور. فمثلاً، تقوم الدول التي ينقسم فيها الأكراد ويتعرضون إلى الظلم والاضطهاد نعتهم بأوصاف ومصطلحاتٍ من قبيل "قطاع الطرق"، "المجرمين" و"عملاء الإمبريالية"، "المتعاونين مع الإمبريالية"، "متخلفي عهد الإقطاع"، "المتعصبون المتوحشون المناهضون للمدنية" الخ... تلصق تلك الدول هذه الاتهامات بالأكراد، وتسعى بكل قواها لتشويه صورتهم أمام الرأي العام الداخلي والرأي العام العالمي، لكن الحقيقة هي أن الشعوب التي صنفت في الفئة الثالثة كالشعب الكردي هي شعوبٌ لها مطالبٌ سياسية وتمتلك إرادة سياسية للتحرر والانعتاق من الظلم والعبودية، إلا أنه يتم قمع آماله وتطلعه نحو الحرية بعنفٍ شديدٍ من جانب دول الفئة الثانية التي تمارس إرهاب الدولة بحق أبنائه. يضطر هذا الشعب في بعض الأحيان وتحت ضغط العنف والإرهاب الممارس عليه من جانب دول الفئة الثانية إلى الاستنجاد بدول الفئة الأولى والتي غالباً لا تستجيب لاستغاثاتهم.

على سبيل المثال، عندما أقدمَ نظامَ صدام حسين على ارتكاب جرائم الأنفال والتي تندرج في لائحة الجرائم ضد الإنسانية (الجينوسايد)، استغاثَ هذا الشعب المنكوب بتلك الدول التي لم تعرَ أي اهتمام ولم تلقَ استغاثات الكرد لديها آذاناً صاغية!.. ليس هذا فحسب، وبغاية ممارسة المزيد من الضغط على الشعوب المنضوية في الفئة الثالثة وتحطيم إرادتها وعدولها عن مطالبها وإرادتها السياسية، فقد لجأت دول الفئة الثانية على الدوام إلى الطلب من دول الفئة الأولى تقديم المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية لها، والتي كانت تحظى بعمومها بالموافقة والاستجابة .

هنا، ولو باختصار، أريد أن أقول أن الدراسات والأبحاث التي تتناول منطقة الشرق الأوسط والعلاقات الدولية بصورة عامة، يجب أن تتضمن البحث في وضع الشعوب المصنفة في الفئة الثالثة ولا يجوز التعامل معها وكأن قضيتها بمثابة مرض جلدي معدٍ تستوجب الابتعاد عنها وإهمالها، بل يجب التعاطي معها على أنها شعوبٌ لها مطالب سياسية وإرادة سياسية لا يجوز تجاهلها.

بحسب اعتقادي، إن السؤال الأساسي ليس "هل يرغب الأكراد في بناء دولتهم أم لا؟" ، بل هو "متى سيننون هذه الدولة"؟!، وكذلك، فإن السؤال الأساسي هو "على الرغم من عددهم الكبير، لماذا لم يتمكن الأكراد من حتى الآن من بناء دولتهم؟" . " وكيف بوسع دولة مثل اللوكسمبورغ التي يقارب عدد سكانها ٤٥٠ ألف مواطن أن تقرر مصيرَ ومستقبل شعبٍ من شعوب الشرق الأوسط هو الشعب الكردي الذي يبلغ تعداداه ٤٠ مليوناً؟! " ولماذا لا يستطيع الأكراد نقدَ هذا النظام الدولي المعادي لهم بصورة جدية وواضحة؟ يمكننا أن نفهم أسبابَ الظلم الذي تمارسه الدول التي تضطهد الشعب الكردي، إلا أنه يجب التوقف ملياً حول موضوع عداوة الديمقراطيين في الدول الغربية للأكراد ولقضيتهم؟ .

تري، ما هي الأسباب والدوافع التي تقف وراء عداوة الغربيين (الأوربيين) للأكراد؟، فأنا لا أميل إلى الاعتقاد بوجود علاقة لها بمجازر الأرمن التي حدثت عام ١٩١٥. قد يكون هناك بعض الأفراد من الأكراد يكونون قد شاركوا في تلك المجازر، كما يمكن أن يكون للكثير من الأكراد وجودٌ في التشكيلات الخاصة سيئة الصيت التي نفذت تلك المجازر، إلا أن كل ذلك لا يعبرُ من قريب أو بعيد عن إرادة الكرد وأهدافهم، بل إنها كانت تعبر عن

إرادة الاتحاد والترقي وإرادة الحكومة العثمانية!.. يمكن القول بأن الاتحاد والترقي وقوات التشكيلات الخاصة، وبهدف إشراك الكرد في جرائمها، كانت تحثهم على محاربة الأرمن وتقول لهم: "...مهما يكن من أمر، فعندما تقومون بإخراج الأرمن من قراكم وإبعادهم عن أحيائكم وإنهائهم، عندها، ستبقى أموالهم وأملاكهم، أغنامهم ومواشيهم، بيوتهم ومحلاتهم ملكاً لكم أنتم!..". كما يجب ألا يغيب عن الأذهان بأن كل ذلك كان يحدث بإرادة من الاتحاد والترقي والتشكيلات الخاصة.

ربما يعود سبب عداوة الغربيين للأكراد إلى الصراع الذي حدث بين الآشوريين السريان والأمير بدرخان بك الذي ثارَ على الإمبراطورية العثمانية خلال أعوام ١٨٤٠، حيث كان الآشوريون السريان حينها مواطنين في المنطقة الخاضعة لحكمه، فطلب منهم دفع الجزية، إلا أن الآشوريين السريان رفضوا دفع الجزية باستقواءٍ من الغرب فجرت معارك دامية بين الطرفين راحت ضحيتها الآلاف من الآشوريين السريان. كما يمكن إعادة أسباب عداوة الغرب للأكراد إلى الحملات الصليبية، فالجميع يعلم بأن من صد تلك الحملات من أبواب القدس وأعادهم خائبين منهزمين هو القائد الكردي صلاح الدين الأيوبي. فبموجب هدنة موندروس (٣٠ تشرين الأول ١٩١٨م)، احتلّ الجيش الإنكليزي سوريا وبسط سيطرته عليها، حينها، وكواقعة تاريخية، ذهب الجنرال (النبلي) إلى دمشق ووقف أمام ضريح القائد صلاح الدين الأيوبي صارخاً: "قم يا صلاح الدين، فما قد عدنا ثانية". يتناول الروائي رفيق سجامي هذا الموضوع بشيءٍ من التفصيل في روايته:

Sineksagar(Kabalci Yayinevi,çev.Saffet Gunersel,Mayis 1999 r.129). وعلى الرغم من أن رفيق سجامي يُظهر صلاح الدين الأيوبي في روايته كقائدٍ عربي، إلا أن الغرب يعرف جيداً بأنه كان قائداً كردياً.

إن النظام والعلاقات التي وضعت قيد التنفيذ في الشرق الأوسط بإطار جمعية الأمم، ولكونها تستعمر كردستان بشكل مشترك، قد أنتجت علاقات قويةً ووثيقة بين بريطانيا العظمى (ومن خلفها العراق) وفرنسا (من خلفها سوريا)، وتركيا وإيران، وعلى الرغم من أنها كانت على خلاف وأحياناً في حالة حربٍ مع بعضها، إلا أنه حينما كان الأمر يتعلق بالأكراد والقضية

الكردية، فكانت تترك خلافاتها جانباً وتتعاون مع بعضها بقوة، وبدا هذا التعاون والتنسيق المعادي للأكراد واضحاً للعيان على الدوام لا تشوبه شائبة .

لقد فرضت هذه الدول استقراراً في منطقة الشرق الأوسط فرضاً بالإكراه، لكنه من الواضح أيضاً أن هذا النمط من الاستقرار القسري قد خلق معه حالة من اللا استقرار الدائم، لأن الكرد، ومن أجل الحصول على حريتهم وحقوقهم، لم يتوانوا عن القيام بثوراتٍ ونضالاتٍ مستمرة حيثما سمحت لهم الظروف بذلك، مما كانت تؤدي على الدوام إلى الاضطراب وعدم الاستقرار في المنطقة.

(*) فقرة من كتاب مترجم من اللغة التركية إلى اللغة الكردية بعنوان (Ziman- Nasname- Netewe-û Neteweperwerî) ترجمها من التركية إلى الكردية : Roşan Lezgîn – طبعة: استانبول ٢٠٠٨م.

انتشار الإسلام بين الكرد وفق الروايات التاريخية

ياسين طه - باحث من كردستان العراق - حاصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي. خصّ "الحوار" بهذه المادة.

لا خلاف على أن انتشار الإسلام بين الشعب الكردي في العصر الراشدي يمثل انعطاف تاريخي مفصلي في تاريخ هذا الشعب، لكن تفاصيل انتشار هذا الدين بين الكرد يدور حوله الكثير من الجدل والتحليلات التاريخية بين من يرى أن الكرد دخلوا الإسلام طواعية وبرغبتهم، ومن يرى أن أسلمة الكرد تمت تحت تهديد السيف، ويحاول هذا البحث تناول الموضوع على ضوء الروايات التاريخية المعتبرة الواردة إلينا عن هذا الأمر ونستهله بالتعريف بالكرد ولغته التي يمثل أحد أركان الرئيسية لهويته المتميزة عن الشعوب الإسلامية المجاورة له، ثم التطرق للروايات المتعلقة بانتشار الإسلام في المناطق الكردية خلال فترة "الفتوحات الإسلامية" وما تبعها من أحداث وتطورات.

أولاً: أصل الكرد واللغة الكردية:

يمثل البحث عن أصل الشعب الكردي أحد الأمور التي كادت أن تنهك تفكير المؤرخين والباحثين لمدة نصف قرن⁽ⁱ⁾، حيث ذكرت الكثير من الروايات المتناقضة⁽ⁱⁱ⁾ والاستنتاجات المختلفة حول أصل الكرد مما أثار الغموض، إلا أن أغلب الباحثين اتفقوا بعد دراسات مستفيضة على أن الكرد ينتمون إلى مجموعة الشعوب الهندو-أوروبية، التي انتشرت على خط يمتد من الهند شرقاً إلى سواحل أوروبا غرباً⁽ⁱⁱⁱ⁾، وأثبتت الكثير من الدراسات العلمية والتاريخية أنهم من الجنس الآري^(iv).

واستوطن الشعب الكردي، "كردستان"^(v) الحالية بعد موجات من الهجرة في بداية القرن السابع قبل الميلاد^(vi)، ويرى غالبية الباحثين أن الكرد أثبتوا وجودهم، وتميزوا عن غيرهم، ودخلوا التاريخ كشعب جبلي سكن القسم الغربي من إيران، ثم تحركوا منها بالتدريج جنوباً وشمالاً وغرباً داخل آسيا الصغرى والعراق، وأنهم مزيج من شعوب قديمة اتحدوا فيما بعد وانحصروا في المنطقة الجبلية وانتشروا فيها واستوطنوها^(vii)، وهكذا فإن المتعارف عليه

هو أن تسمية الكُرد، تعني بشكل عام وفي كل اللغات، مجموعة بشرية ذات مميزات قومية معينة تتخذ من كردستان موطناً لها^(viii)، وفي العهد الإسلامي كان لهم خصوصية من بين الشعوب الإسلامية حيث كانوا "جنساً خاصاً من نوع عام"^(ix) وكانوا معروفين باسمهم القومي (كُرد) في النصوص التاريخية المعتمدة^(x).

ويتحدث الشعب الكردي باللغة الكردية، المدرجة ضمن مجموعة اللغات الإيرانية التابعة لأسرة اللغات الهندو - أوروبية^(xi)، وهي سليلية مباشرة تسلت من اللغات الآرية القديمة ولغة الكتاب الزرادشتي المقدس (أفيستا)^(xii)(^{xiii})، وثمة لهجتان رئيسيتان في اللغة الكردية؛ اللهجة السورانية ويتحدث بها أكرد إيران وشرقي العراق، واللهجة الكرمانجية الشمالية، وتسود شمال العراق وغربها وهي لهجة أكرد تركيا وسوريا^(xiv)، وتنقسم كل واحدة منهما إلى عدة لهجات فرعية مختلفة^(xv)، وقد عبّر المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) عن ذلك بقوله "لكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية"^(xvi)، وكانت العربية لغة تعاملهم مع المسلمين العرب، ولغة الكتابة عندهم في العصور الإسلامية^(xvii).

ثانياً: انتشار الإسلام بين الكُرد:

يرى بعض المؤرخين أن أول اتصال للكرد بالإسلام يعود إلى عهد النبوة؛ مستندين إلى ورود اسم صحابي كردي باسم (جaban) ضمن أصحاب النبي (ﷺ)^(xviii)، وعلى الرغم من عدم وجود معلومات كافية ووافية عن حياته ومكان ولادته ونشأته، إلا أنه ثبتت روايته للحديث عن الرسول (ﷺ) وفق ما ذكره مؤرخو السير والعلماء المحدثين^(xix)، حيث روى عنه ابنه التابعي (ميمون) حديثاً "سمعه من الرسول (ﷺ) غير مرة حتى بلغ عشرين"^(xx).

ويمكن اعتبار وجود هذا الصحابي، دليلاً على وجود نوع من الارتباط بين الكُرد والإسلام في مراحل الأولى، لكنه ليس من المستبعد في الوقت نفسه أن تكون حالة (جaban الكردي) وتواجده بصحبة الرسول (ﷺ) حالة فردية كحالة إسلام الصحابين سلمان الفارسي وبلال الحبشي (ؓ)، ورغم شهرة الصحابي (جaban) ككردي راوي للحديث لكن كثيراً من المؤرخين والباحثين أصروا على ربط تاريخ دخول الكُرد في الإسلام بالفتوحات الإسلامية^(xxi) التي انطلقت بعد منتصف عام ١٦هـ/٦٣٧م على إثر توالي الانتصارات

الإسلامية على الفرس في معركة القادسية^(xxii) (١٥هـ/٦٣٦م) أيام خلافة عمر بن الخطاب (E)^(xxiii)، واستمرت تلك الفتوحات والغزوات في الجزء الأعظم من المناطق الكردية حتى عام ٢٠هـ/٦٤٠م^(xxiv).

وعقب انتهاء معظم الغزوات والفتوحات في غالبية مناطقهم (٢١هـ/٦٤٢م) بدأ الكُرد في دخول الإسلام^(xxv) وانتشر الإسلام بينهم بشكل عام بين عامي ٢٥هـ - ٣٠هـ/٦٤٦-٦٥١م تقريباً^(xxvi)، وقد ورد في الروايات والأخبار التاريخية ما يؤكد هذا الرأي منها كتاب عمر بن الخطاب (E) إلى أهل بعض المدن الكردية وسعد بن أبي وقاص (E) عن كيفية الصيام والإفطار^(xxvii)، مما يوحي بأن الإسلام بدأ في الانتشار مع الفتوحات، لكن بعض المستشرقين الروس والغربيين يرون بأن إنتشار الإسلام بين الكُرد تأخر مدة قرنين لما بعد الفتوحات، وبدأ بشكل فعلي في القرن ٣هـ/٩م، واتخذ طابعاً شعبياً بينهم خلال القرنين ٤ و٥هـ/ ١٠ و١١م حيث اختلفوا خلالهما على الاتجاهات الإسلامية السنية والشيعية^(xxviii) ولهذا الرأي شاهد في مدونات بعض الرحالة الذين مروا بأنحاء بلاد الكُرد وتحديثوا عن تأخر إسلام بعض بلدان مقاطعة شهرزور الكردية إلى القرن ٢هـ/٨م^(xxix)، ويبدو أن هذا التأخر كان في بعض المناطق الجبلية العصية المنيعة دون غيرها من البلدان الكبيرة والرئيسية.

وقد أنجز العرب المسلمون فتح المناطق الكردية وفق خطة نُفِذت على محورين باتباع الطريقة السلمية؛ الصلح، والطريقة العسكرية. وقد شمل المحور الأول المناطق التابعة للحكم الساساني الفارسي أو نفوذه^(xxx)، وشمل المحور الثاني على الأجزاء الشمالية للبلاد التابعة للنفوذ والحكم البيزنطي^(xxxi)، ففي المحور الفارسي وقعت بداية معارك الفاتحين العرب في بلاد الكُرد ببلدة جَلَوْلَاء^(xxxii) التي شهدت قتالاً عنيفاً ودموياً (١٦هـ/٦٣٧م)^(xxxiii) بين العرب المسلمين والأعاجم، وبعدها انهزمت الجيوش الأعجمية وولت أديارها؛ لحقهم المسلمون "يقتلونهم قتلاً ذريعاً"^(xxxiv)، حيث "جللوا وجه الأرض بالقتلى"^(xxxv)، "ولم يفلت منهم إلا القليل"^(xxxvi)، بعدها واصل المسلمون الزحف على مدن العراق من ناحية شرق دجلة حتى وصلوا إلى مشارف مدينة بَنْدَنْجِين (مَنْدَلِي)^(xxxvii)، حيث طلب أهلها الأمان مقابل "أداء الجزية"^(xxxviii) والخراج^(xxxix) (xl)، ثم فتحت مدينة حَلْوَان^(xli) بالعنوة^(xlii)، لأن أهلها أبوا أن يدخلوا الإسلام^(xlili) وقبلوا بالصلح وأداء الجزية والخراج،

على أن يضمن المسلمون أمنهم على أنفسهم وأموالهم وحریتهم في التنقل^(xliv)، وقد أصبح هذا الصلح بعد عدد من الاصطدامات والقتل لأعداد غير قليلة من الأكراد^(xlv) سابقة عمل بها الفاتحون والأهالي في فتح قرمسين (كِرْمَانشَاه) وشَهْرزور ومدن وبلدان كُرْدِيَّة أُخْرَى^(xlvii)، واشترط سكان هذه المناطق على المسلمين بعد قبولهم لدفع الجزية والخراج "أن لا يُقتلوا ولا يُسلبوا ولا يُمنعوا طريقاً يسلكونه بعدها"^(xlviii).

ويُعد فتح حلوان بداية اتصال الكُرد بجيوش الإسلام، لأن هذه المدينة كانت الحد الفاصل بين أرض العراقين؛ العربي والعجمي (إقليم الجبال)^(xlix)، وحينما دخل العرب المسلمون إقليم الجبال ومناطق انتشار القبائل الكُردية^(l) وجدوا مقاومة عنيفة خاصة في نَهَاوَنْد⁽ⁱ⁾ التي أصبحت ساحة معركة كبيرة بين الجيوش الأعجمية والجيوش الإسلامية عام ٦٤٢/٥٢١م⁽ⁱⁱ⁾ انتهت بانتصار الفاتحين، واشتهرت هذه الواقعة بـ "فتح الفتوح"⁽ⁱⁱⁱ⁾ لما كان فيها من "الشأن الرفيع والنبأ العجيب"⁽ⁱⁱⁱⁱ⁾ بعدها تصالح أهلها مع الفاتحين مقابل الأمان^(lv)، وعقب سقوط نَهَاوَنْد لم تصمد مدينة دينور أمام جيش أبي موسى الأشعري (E) سوى يوم واحد (٦٤٢/٥٢١م^(iv)) بعدها تم الاتفاق بينهم وبين أهلها على أن يبقوا على دينهم وأن يأمنوهم على أنفسهم وأموالهم مقابل دفع الجزية والخراج^(lvi) وعلى إثرها خضع حاكم أذربيجان الفارسي لجيش المسلمين بقيادة الصحابي حذيفة بن اليمان (E) (٦٤٣/٥٢٢م^(lvii)) وانفقوا على جمع ثمان مائة ألف درهم من الأهالي للفاتحين مقابل الأمان وعدم هدم معابد المجوس وعدم التعرض للكُرد الساكنين بأذربيجان^(lviii).

أما الجزء الثاني لفتوحات مناطق انتشار الكُرد فقد بدأت عام ٦٣٨/٥١٧م^(lix) أو ٦٣٩/٥١٨م^(lx) من إقليم الجزيرة، وقد قام أهل هذه النواحي من بلاد الكُرد بالتصالح مع قائد جيش المسلمين الصحابي عياض بن غنم (E) واتفقوا على دفع الجزية والخراج^(lxi)، وفي عام ٦٤١/٥٢٠م، فُتحت مدينة أمد (دياربكر) بغير قتال أيضاً^(lxii)، وفي نفس السنة فتحت مدينة أربيل^(lxiii) ثم جميع معاقل الأكراد^(lxiv) التي شملت كل المناطق الكُردية الواقعة الآن ضمن محافظتي أربيل ودهوك الواقعتين بکردستان العراق^(lxv)، وبناءً على تصالح المسلمين مع أهل الجزيرة قد تقرر أنه من لم يدفع الجزية وأراد الجلاء أُذِن له في ترك الديار^(lxvi).

ومما سبق يتبين أن معظم المناطق الكُردية دخلت تحت سلطة الإسلام عبر الصلح والقبول بدفع الجزية والخراج للعرب المسلمين الفاتحين، مما يعني أن كلهم لم يقبلوا في البداية بالإسلام ولم يعتنقوه أول الأمر ورضوا بأن يعاملوا معاملة أهل الكتاب^(lxxvii) بناءً على ما أقره الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (E)^(lxxviii)، واختار بعضهم البقاء على دياناتهم ومعتقداتهم التي كانت في الغالب عبارة عن المجوسية^(lxxix) والزرادشتية، وعبادة قوى الطبيعة، والمسيحية واليهودية^(lxxx)، ومن لم يقبل بأداء الجزية والخراج قاتله الفاتحون بناءً على وصية الخليفة للجيش الزاحفة باتجاه العراق وبلاد العجم^(lxxxi)، المستوحاة من حديث للرسول (ﷺ) ^{(lxxii)(lxxiii)}، كبعض العناصر الكُردية المقيمة بالأهواز (خوزستان) الذين امتنعوا عن دفع الجزية والخراج أو القبول بالإسلام فتعرضوا للقتل والسبي على إثرها^(lxxiv)، وكذلك بعض الأكراد المقيمين في بلاد فارس الذين اعترضوا جيش الفتح بقيادة الصحابي سارية بن زعيم^(lxxv) (٢٣هـ/٦٤٤م) وانتهت المواجهة بنصر المسلمين وهزيمة هؤلاء الأكراد^(lxxvi).

وبالرغم من أن الفاتحين بسطوا سيطرتهم العسكرية على بلاد الكُرد بشكل كامل إلا أن بعض الكُرد رفضوا أن يرضخوا لسلطتهم ونفوذهم في بعض الأحيان^(lxxvii)، حيث شارك عناصر كردية في حركات التمرد في عهد الخليفة عثمان (E)^(lxxviii) (٢٤هـ/٦٤٥م) وكانت مركز بعض تلك الإنتفاضات في خوزستان ووصلت إلى آمد في الجزيرة أيضاً^(lxxviii)، لكن جند الصحابة ومن كانوا معهم تصدوا لتلك والثورات وسيطروا على مناطقهم من جديد^(lxxix)، وخلال خلافة علي (E) وفي عامي ٣٨ و ٣٩هـ/٦٥٨ و ٦٥٩م، خرج بعض الكُرد أيضاً مع جيرانهم الفرس، لكن الدافع وراء هذا التمرد كان "كسر الخراج" وليس الخروج على حكم الإسلام^(lxxx).

ويمكن الاستنتاج مما سبق أن الفتوحات الإسلامية لم تكن السبب في إدخال جميع الكُرد إلى الإسلام بشكل سريع، حيث قاوم بعض الكُرد الخاضعين لحكم الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين الجيوش المسلمة لأسباب ودوافع اجتماعية ودينية، فالعشائر الكُردية تصدت للفاتحين العرب المسلمين "كما لو كانوا يتقاتلون من أجل الكلاً والمراعي، على حد قول بعض المستشرقين^(lxxxii)، وتصدّوا لهم بتشجيع رجال الدين القدامى وعدم معرفتهم بجوهر الإسلام الذي كان جديداً وغير مألوفاً لديهم^(lxxxii) لكنه بعد معرفتهم

بالإسلام عن قرب أسلموا طواعيةً وبدأوا باعتناقه وأخلصوا له كل الإخلاص (lxxxiii).

هوامش ومراجع :

(*) توماس بوا: تاريخ الأكراد، ترجمة محمد تيسير ميرخان، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٧.

(*) تُرجع الروايات التي جاءت في المصادر التاريخية الإسلامية أصل الكُرد إلى عدة أجناس وأصول منها: العرب، الفرس، سام بن نوح (ساميون)، يافث بن نوح (أريون)، فريق من الجن تجسدوا في أشكال آدمية. انظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دن، بيروت، ٢٠٠٥م، ج ١، ص ص ٩٦ - ٩٧؛ الألوسي: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج ٢٦، ص ١٠٣؛ أحمد محمود الخليل: صورة الكُرد في مصادر التراث الإسلامي، دار نئراس، أربيل ٢٠١٢م، ص ص ١١٣ - ١١٤؛ زبير بلال إسماعيل: الأكراد في كتب البلدانيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطى، وزارة الثقافة، أربيل، ١٩٩٩م، ص ص ٢٠ - ٢١.

(*) شاكر خصباك: الكُرد والمسألة الكُردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٩.

(*) أحمد محمود الخليل: تاريخ الكُرد في العهود الإسلامية، دار نئراس، أربيل، ٢٠١٣م، ص ٢٢؛ فؤاد حمه خورشيد: أصل الكُرد واللغة الكُردية، دار سردم، السليمانية، ٢٠١١م، ص ٢٨؛ إحسان نوري ناشا: ميذووي نذادي كورد، ترجمه وريا قانيع، دار نئراس، أربيل، ٢٠٠٣م، ص ٢٦؛ جمال رشيد أحمد وفوزي رشيد: تاريخ الكُرد القديم، جامعة صلاح الدين، أربيل، ١٩٩٠م، ص ١٣٩، ملا علي كردي: كردستان والأكراد، دار الكاتب، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٣.

(*) كردستان: كلمة مركبة من (الكُرد) بمعنى الشجاع والقوي في اللغة الفارسية والأداة الظرفية (ستان) التي تعني المكان والموطن في اللغات الإيرانية، والكلمة المركبة كردستان تعني بلاد الكُرد وموطنه وهي منطقة واسعة في الشرق الأوسط الحالي لا حدود سياسية لها، تتوزع أراضيها الآن على دول تركيا، وإيران، والعراق، وسوريا. انظر: راغب السرجاني: بين التاريخ والواقع، مؤسسة إقرأ، مصر، ط ٢، ٢٠٠٨م، ج ١، ص ١١٦؛ باسيل

نيكيتين: الكُرد، دراسة سوسولوجية وتاريخية، ترجمة نوري طالباني، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، السليمانية، ط٧، ٢٠٠٠م، ص ٦٩؛ شمس الدين سامي: قاموس تركي، در سعادت، استانبول، ١٨٩٦م، ص ١١٥٦.

(*) فؤاد حمة خورشيد: أصل الكُرد واللغة الكُردية، ص ص ٨-٢٥؛ إحسان نوري باشا: ميذووي نذاذي كورد، ص ص ٢٦-٢٧؛ أحمد تاج الدين: الأكراد تاريخ شعب، ص ١٥-١٦؛ نبيل زكي: الأكراد الأساطير والثورات والحروب، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، د.ت، ص ٢٠؛ مينورسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات، ترجمة معروف خزندار، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٢١.

(*) أحمد تاج الدين: الأكراد تاريخ شعب، ص ١٥؛ جمال رشيد وفوزي رشيد: تاريخ الكُرد القديم، ص ١٣٥-١٣٦.

(*) فؤاد حمة خورشيد: أصل الكرد، ص ٣٠؛ جمال رشيد وفوزي رشيد: تاريخ الكرد القديم، ص ١٣٩.

(*) العمري: مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٣، ص ١٩٧.

(*) زبير بلال إسماعيل: الأكراد في كتب البلدانيين، ص ٢٣-١٢٩.

(*) باسيلي نيكيتين: الكُرد، ص ٥٠.

(*) أفيستا: هو الكتاب الذي ادعى زرادشت بأن الله أوحاه إليه، وهو الكتاب المقدس لدى الزرادشتية، كتبت أفيستا بلغة القبائل الميدية المختلفة عن اللغة الفارسية التي كانت سائدة في شمال غرب إيران، وتعتبر أساس اللغة الكُردية الحالية. انظر: المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٧٥؛ عبدالله مبلغى العباداني: تاريخ الديانة الزرادشتية، ترجمة عبدالستار قاسم كلهور، مؤسسة موكرياني، أربيل، ٢٠١١م. ص ٧٦؛ حسام الدين علي غالب النقشبندي: الكُرد في لرستان الصغرى (الشمالية) وشهرزور خلال العصر الوسيط، دراسة سياسية وحضارية، مؤسسة زين، السليمانية، ٢٠١١م، ص ١٠٤-١٠٥؛ محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٦٩م، ص ٢٠-٢٥؛ أمين زكي: خلاصة تاريخ الكُرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني، مصر، ط ٢، ١٩٦١م، ص ١٢١-١٢٢؛ رفيق حلمي: مقالات، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٦م، ص ٩.

(*) توفيق وهبي: أصل الأكراد ولغتهم، مجلة المجمع العلمي الكُردى، بغداد، العدد الثاني، ١٩٧٤، ص ٢٥.

(*) شرفخان البدليسي: الشرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكُردية، ترجمة ملا جميل بندي الروزبباني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣م، ص ٢٣؛ صديق بؤرةكتهي: ميذوى ويذوى كوردي، دار ئاراس، أربيل، ٢٠٠٨م، ج ١، ص ٢٢؛ توماس بوا: تاريخ الأكراد، ص ١٥١؛ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد، ص ٣١٦-٣٣١.

(*) ب. لرخ: دراسات حول الكُرد الإيرانيين وأسلافهم الكلدان الشماليين، ترجمة عبدي حاجي، مؤسسة دين، السليمانية، ط ٣، ٢٠٠٠م ص ٤٨-٤٩؛ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد، ص ٣٠٨.

(*) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٩٦.

(*) فائزة محمد عزت: الحياة الاجتماعية للكرد بين القرنين (٤-٥هـ)، الأكاديمية الكُردية، أربيل، ٢٠٠٩م، ص ٢١٧.

(*) أرشاك بولاديان: الأكراد من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة مجموعة من المترجمين، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٢٠-١٢١.

(*) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣م، ج ٤، ص ٢٦٣.

(*) عن جابان الكُردي قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ... وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقي الله وهو سارق". انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٦، ص ٣٤٥؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ت، ج ١، ص ٣٧٦؛ الألوسي: روح المعاني، ج ٢٦، ص ١٠٣.

(*) الفتح: يستعمل لفظ الفتح من قبل المؤمنين بالإسلام، لهجوم العرب المسلمين على المناطق الواقعة حولهم، بينما المعترضون على الإسلام يستعملون كلمة "الغزو" لهذه الحملات. انظر: تهامي العبدولي: إسلام الأكراد، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٦١.

(*) القادسية: مدينة عراقية تقع على حافة البادية، شهدت إحدى أهم المعارك بين العرب المسلمين والفرس أيام خلافة عمر (E) وانتهت بدحر الفرس وانتصار المسلمين. انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٢٥.

(*) للمزيد عن غزوات وفتوحات عهد عمر (E). انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٣٤٥-٣٥٠.

(*) لمعرفة تواريخ وتفاصيل فتح المناطق الكردية. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٤٢٣ - ٤٣٣؛ ابن خلدون: العبر، بيت أفكار الدولية، الأردن والسعودية، د.ت، ص ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٦، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦١.

(*) فرست مرعي: الفتح الإسلامي لكردستان، دار الزمان، دمشق، ٢٠١١م، ص ١١١؛ تهامي العبدولي: إسلام الأكراد، ص ٦٢.

(*) فرست مرعي: الفتح الإسلامي لكردستان، ص ١٧١؛ راغب السرجاني: بين التاريخ والواقع، ج ١، ص ١١٨.

(*) أبي يعلى: طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن عثمان العثيمين، الرياض، ١٩٩٩م، ج ٣، ص ١٦٨.

(*) أرشاك بولاديان: الأكراد من القرن السابع إلى العاشر الميلادي، ص ١٢٨؛ تومابوا: مع الأكراد، ترجمة آواز زنكنة، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٥م، ص ١٠٥.

(*) أمثال بلدة دزدان (دوذانة) بجبال هورامان الشهرزورية التي قاومت المسلمين، ولم يتمكنوا من فتحها، وأسلمت بعد مدة طويلة من الزمان، كما تأخر إسلام بعض المدن الأخرى كبلدة بير بشهرزور التي تأخر إسلامها إلى بدايات القرن ٨هـ/٨م، كما سيأتي ذكرها. انظر: أبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي: الرسالة الثانية، تحقيق بطرس بولغاكوف، ترجمة محمد منير مرسي، مؤسسة زين، السلیمانية، ٢٠١٢م، ص ١٢٦-١٢٧.

(*) حَكَمَ الفرس الساسانيين في بلاد الكُرد من كور الجبل مدن: همذان، ونهاوند، والدینور، وحلوان، وماسبذان، ومهر جانقذق، وشهرزور، والصامغان، وأذربيجان وغيرها من البلدان. انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ١٧٦.

(*) حكم الروم البيزنطيون من الفرات إلى حد الإسكندرية وكانت أعظم مدائنهم في هذه المملكة هي مدينة الرها، وكانت أرض الجزيرة وحران والرها وسائر كورها التي انتشرت فيها القبائل الكردية ضمن حدودهم. انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٧٦.

(*) جلولاء: بلدة عراقية على طريق خراسان، تضم عدة قرى يعتبرها الكُرد جزءاً من بلادهم. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص ١٥٦؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠٧.

(*) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٣٦٤.

(*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٦٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٦٥.

(*) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٧٧؛

(*) ابن خلدون: العبر، ص ٥٤٨.

(*) بَنْدَنجِينُ (مَنْدَلِي): مدينة كردية عراقية تقع شرقي مدينة بعقوبة قرب جبل بشتكوه الإيراني. انظر: عبدالرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٨، ص ٢٠٩؛ محمد جميل بندي الروزبياني: مدن كردية قديمة، وزارة الثقافة، السلিমانيّة، ١٩٩٩م، ص ١٦٥.

(*) الجزية: التزام مالي فرضه الإسلام على غير المسلمين من أهل الكتاب، تؤخذ مع بقاء الكفر، وتسقط بحدوث الإسلام، فهي موضوعة على الرءوس واسمها مشتق من الجزاء، إما على كفرهم، وإما جزاء على الأمان لهم، وتجب على الرجال دون النساء والصبيان وتختلف فيها الموسر والوسط والمحتاج. انظر: النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٩٠، ٢٠١٢م، ج ١١، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(*) الخراج: التزام مالي يؤخذ من أصحاب الأراضي من رعايا الدولة الإسلامية سواء كانوا مسلمين أو كفار أو أهل كتاب. انظر: أبي يوسف: كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٢٢؛ النووي: المنهاج، ج ١١، ص ٢٦٦.

(*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٦٩.

(*) حَلْوَان: مدينة قريبة من الجبل في آخر العراق، وسكنها الكُرد الشاذنجانية والجزورقان مع الفرس، وكانت مركزاً للإمارة العنابية الكُردية (٣٨١-٥١١هـ/٩٩١-١١١٧م). انظر: اليعقوبي: البلدان، ص ٤٦؛ المسعودي: مروج

- الذهب، ج ٢، ص ٩٧؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠٧؛ قادر محمد حسن: الإمارات الكردية، ص ٣٨.
- (*) خليفة بن الخياط: تاريخ خليفة بن الخياط، ص ٧٧، ٩٢.
- (*) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٧٩.
- (*) الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٢.
- (*) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٧؛ ابن خلدون: العبر، ص ٥٥٨.
- (*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢٣.
- (*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٦٦-٤٦٧.
- (*) الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق أحمد عبدالله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٤٦؛ تومابوا: مع الأكراد، ص ١٠٤؛ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد، ص ١٢٣.
- (*) القلقشندي: صبح الأعشى، ص ٣٧٣.
- (*) نَهَاوَنْد: مدينة تابعة لإقليم الجبال، سكنها غالبية كردية مع خليط من العرب والعجم. انظر: اليعقوبي: البلدان، ص ٤٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٨٣؛ القزويني: نزهة القلوب، ص ٧٤.
- (*) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٨٣؛ الأزدي: تاريخ الموصل، مج ١، ص ٥١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١١٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٤٩.
- (*) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٢٤٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٠٩.
- (*) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٠٩.
- (*) الدِينَوْرِي: الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، د.ت ص ١٣٧.
- (*) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٥٥.
- (*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٠.
- (*) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٨٤.
- (*) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٥٩.
- (*) الأزدي: تاريخ الموصل: مج ١، ص ٤٨.
- (*) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٤.
- (*) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٤.

(*) أحمد الخليل: تاريخ الكُرد في العهود الإسلامية، ص ١٥٢.
(*) سامي الصقار: إمارة أربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي،
دار الشواف، الرياض، ١٩٩٢م، ص ٣١.
(*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٦٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١،
ص ٣٥١.

(*) فرست مرعي: الفتح الإسلامي لكرديستان، ص ١٤١-١٤٣.
(*) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٦٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨،
ص ١٨٣.
(*) أنور المايي: الأكراد في بهدينان، مطبعة خبات، دهوك، ط ٢، ١٩٩٩م،
ص ٦٥.

(*) عامل المسلمون رعايا الدولة الساسانية من أتباع الزرادشتية معاملة أهل
الكتاب واعتبروا كتابهم المقدس (أفستا) ككتاب منزل، وورد أن الصحابي
سعد بن أبي وقاص (E) الذي كان يقود المحور الشرقي للفتوحات في بلاد
الكُرد بعث باستفسار إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (E) حول كيفية
التعامل مع الأكراد الزرادشتيين وبيّن له عقائدهم فذكرهم عمر (E) بقول النبي
(ﷺ) عن مجوس البحرين "سأولاهم سنة أهل الكتاب". انظر: أبي يوسف:
الخراج، ص ١٣٠؛ أنور المايي: الأكراد في بهدينان، ص ٦٥؛ أحمد أمين:
فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٠١؛ محفوظ
العباسي: إمارة بهدينان العباسية، ص ٢٥.

(*) المجوس: قبيلة ميديّة أو طبقة خاصة من الميديين المتمتعين بحق الرياسة
الروحية في الدين المزددي الذي سبق الدين الزردشتي، وأصل الكلمة معرب
من كلمة ماكوسيا أو مكوش في الفارسية البهلوية وتعرف بـ (مغ) في
الفارسية الحديثة، وهناك ميل لدى الباحثين باعتبار المجوسية أقدم من
الزرادشتية. انظر: أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى
الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ١٠٣.

(*) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٩٧؛ ابن خلدون: العبر، ص ٥٦١؛
صموئيل أتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠م، ترجمة جمال
أحمد الرفاعي، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٩٥م، ص ١٥؛ تومابوا: مع
الأكراد، ص ١٠٢؛ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكُرد، ص ١٦١.
(*) ابن خلدون: العبر، ص ٥٦١.

(*) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٢٣٣.

(*) قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ".... اغزوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا
وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ.. ،
فَأَيُّهُمْ مِمَّا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ
أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهُمْ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ
أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ... الحديث".

انظر: النووي: المنهاج، ج١١، ص٢٦٥-٢٦٦.

(*) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٧٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية،
ج٧، ص٢٣٣؛ ابن خلدون: العبر، ص٥٦١.

(*) سارية بن زعيم: هو الصحابي سارية بن زعيم بن عمرو، ويرجع نسبه إلى
عبد مناة بن كنانة، شهد الجاهلية والإسلام. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في
معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٨٠.

(*) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٧٨؛ ابن الأثير: الكامل في
التاريخ، ج٢، ص٤٤٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٣١.

(*) ملا علي كردي: كردستان والأكراد، ص٥-٦؛ محمد أمين زكي: خلاصة
تاريخ الكُرد، ج١، ص٢٨٩.

(*) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر
عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٥،
ص٤؛ أحمد الخليل: تاريخ الكُرد في العهود الإسلامية، ص١٥٥.

(*) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٩١؛ ابن كثير: البداية والنهاية،
ج٧، ص٢٣٣.

(*) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٤؛ ابن الأثير: الكامل في
التاريخ، ج٣، ص٣٣٧.

(*) باسيلي نيكيتين: الكُرد، ص٢٩٩.

(*) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكُرد، ص١٨٨.

(*)* ملا علي كردي: كردستان والأكراد، ص٧٤-٧٥.

=====

الْكُرْد في ((موسوعة حلب المقارنة - للأسدي))

إعداد: د. محمد عبدو علي*

خلال البحث في الكتب والمراجع عن ما يتعلق بتاريخ وجغرافية منطقة عفرين- جبل الكرد، كثيراً ما كان يصادف هذا الاسم: خيرالدين الأسدي ومؤلفه "موسوعة حلب المقارنة". فكان لابد من التعرف تلك الموسوعة التي كانت تتلقى المديح والاهتمام من قبل الباحثين في شؤون حلب ومجتمعها. ولحسن الحظ، كانت الموسوعة المؤلفة من سبع مجلدات متوفرة في مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية في جامعة حلب.

لدى تصفح الموسوعة، يفاجأ القارئ بالكم الكبير من الكلمات والمعلومات والأمثلة والأحاديث والنوادر والتهكمات وأمور أخرى كثيرة ومتنوعة عن الإنسان والشعب الكردي، وهي مثار دهشة وإعجاب، خاصة وأن العديد منها لم يدونها أو يوثقها الكرد أنفسهم. كما ورد فيها رواية لأحداث نادرة لم تعد معروفة الآن في المجتمع الكردي في جبل الكرد- عفرين.

ولكن الأمر المثير للانتباه أكثر، هو وجود كم كبير من الكلمات في لهجة سكان حلب تعود أصولها إلى اللغة الكردية، ولكن م.الأسدي يعيدها إلى اللغات الفارسية أو التركية... ربما كان السبب هو أنه لم يكن ملماً باللغة الكردية، وأنه ربما كان يعتقد بأن الكردية هي لغة هامشية وليست ذات تأثير في صياغة مفردات لهجة عريقة وقديمة مثل اللهجة الحلبية، ولذلك فحينما كان يعجز عن إيجاد الأصل اللغوي العربي لكلمة ما، كان يلجأ إلى إحدى اللغتين الفارسية والتركية متجاهلاً الكردية، رغم أنها الأقرب من حلب والأكثر تأثيراً في المجتمع الحلبى من سواها، فهي كانت ولا تزال من حيث الجغرافيا والسكان الناطقين بها، الأكثر قرباً من حلب، ومن المفترض أن تكون أكثر تأثيراً من غيرها أيضاً.

وفي الحقيقة فإن الكثير من المصطلحات الحلبية ذات الأصول غير العربية هي في جذورها إما كردية في لفظها ومعناها، أو أنها مشتقة من اللغة الكردية. عدا عن ذلك، فالكرد هم أقرب إلى مدينة حلب من النواحي الجغرافية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية من الفرس. وهذا يعزز حقيقة أن تكون الكلمات التي أعادها الأسدي غالبا إلى الفارسية قريبة الصلة باللغة الكردية قبل غيرها.

وبسبب ذلك، وفي محاولة لإزالة بعض الحيف التاريخي الذي لحق ولا يزال يلحق باللغة الكردية، وتجاهل عراقه لغة أصيلة وقديمة في الشرق الأدنى، وبيان مدى حيويتها وتأثيرها على الجانب اللغوي للمجتمعات التي جاورتها ومن بينهم سكان حلب، قررنا العمل في إعداد هذا الكتاب، آمليين الفائدة المرجوة منها.

وكانت الخطوة الأولى في انجاز هذا العمل، هي مراجعة المجلدات السبع للموسوعة والبحث عن أي كلمة أو عبارة أو موضوع يخص بحثنا، واستخراج ما ورد في الموسوعة من كلمات يعتقد أنها إما ذات أصل كردي أو أنها تحتوي جذور لغوية كردية، ومن ثم التحقق من أصولها اللغوية الكردية.

إضافة إلى ذلك، كتب الأسدي بين صفحات موسوعته نواذر وأمثلة كردية وأيضا تهكمات حلبية قيلت في الشخصية الكردية، وقد أوردتها أيضا مع التعليق عليها كلما احتاج الأمر لذلك.

وبصورة عامة تم تصنيف ما ورد في الموسوعة عن الكرد على النحو التالي:

١. كلمات كردية صريحة ومتداولة حتى أيامنا هذه.
٢. كلمات ذات جذور وأصول كردية، دُمجت وحُرُفت أثناء استعمالها في غير بيئتها الاجتماعية والقومية، كالبينة الحلبية.

٣. كلمات مشتركة ما بين الكردية والفارسية، وذلك بسبب الأصول الآرية المشتركة للغتين.

٤. كلمات فارسية أو تركية دخلت اللغة الكردية المحكية أيضاً وصارت جزءاً منها.

٥. أمثال قيلت في الكرد على لسان سكان حلب.

٦. أمثال كردية ذكرها الأسدي دون غيره، وهي غير معروفة حالياً.

٧. حكايات ونوادير لأشخاص أكراد سمعها الأسدي أو شاهدها بنفسه أو استنسخت من الذاكرة الحلبية التي تعود لفترات ما قبل القرن العشرين. وأبدينا رأينا في ذلك كلما كان ضرورياً ومفيداً. وكانت هناك حكايات ونوادير وكلمات لم تكن بحاجة إلى تعليق وشرح أو تفسير بسبب وضوحها من حيث المعنى والأصول، فذكرناها كما وردت في الموسوعة.

تم تقسيم هذا الكتاب إلى سبع فصول، تناول كل فصل منه مجلداً من الموسوعة، وقد حافظنا فيها على تسلسل ورود الكلمة أو المادة الكتابية كما هي في كل مجلد، وكتبنا بجانبها رقم الصفحة الموجودة فيها في مجلدات الطبعة الأولى للموسوعة. وقد أوردناها كما جاءت في الموسوعة لفظاً ونصاً، ولكن ببعض التصرف في أحيانٍ قليلة جداً حينما كانت هناك إطالة غير ضرورية بالنسبة لخصوصية بحثنا، ثم كتبنا رأينا في بند مستقل أسفل ما نقل من المصدر مباشرة.

نتمنى أن نكون وفقنا فيما انجزناه، ورجاؤنا هو تقديم فائدة للثقافة الإنسانية عامة، وتعريف القارئ العربي باللغة الكردية، فهي لغة أصيلة وقديمة من لغات الشرق الأدنى، وهي امتداد للغة الهوريين والمديين القدماء، ولغة صلاح الدين الأيوبي وأحفاده من سلاطين وملوك مصر وبلاد الشام وحلب، وليست

أقل غناً وجمالاً وعراقة وشأناً وقابلية للتطور من شقيقاتها الفارسية والتركية والعربية ...

وقد شاركنا في مراجعة مجلدات الموسوعة واستخراج ما يتعلق بالموضوع منها الصديق عبدالحميد حمو فله كل الشكر.

من هو الأسدي؟

محمد خير الدين الأسدي: هو العلامة الحلبي محمد خير الدين الأسدي. ولد في حي الجَلِّوم العريق في مدينة حلب عام ١٩٠٠م. وتوفي فيها في ١٩٧١/١/٢٩م. وهو يذكر بأن جده السابع كان جندياً عثمانياً انكشارياً من أوربا.

درس خير الدين الأسدي اللغة والعلوم الدينية لدى كبار رجال الدين والعلم في حلب. ثم عمل بعدها معلماً في مدارس حلب، وكانت مهنته هذه تؤمن له الدخل الوحيد في معيشته. وقد فقد أصابع يده اليسرى في شبابه حينما كان يحضر لعمل مسرحي لتلاميذه في المدرسة.

كان الأسدي كثير الاختلاط بالمجتمع الحلبي بكافة مستوياته وفئاته الاجتماعية والثقافية، ولم يثنه عن ذلك أوضاعه المادية الصعبة أو أية أمور أخرى. كما كان كثير السفر والتنقل، وهذا ما أكسبه المزيد من المعرفة والاطلاع والأصدقاء في الكثير من الدول ومن جنسيات مختلفة. وبسبب سعة اطلاعه وثقافته العالية واهتمامه وحبه لكل شيء في حلب، انتخب في عام ١٩٥٠م. أميناً للسر في جمعية العاديات، وبقي وفياً لها ويشارك في كافة نشاطاتها حتى أواخر أيام حياته.

ألف الأسدي ثلاثة عشر مؤلفاً في مختلف مجالات اللغة والمعارف وخاصة في الموضوعات اللغوية والأدبية، ومن بينها ولعل من أهمها على الإطلاق موسوعته الشهيرة التي نحن بصدددها، // موسوعة حلب المقارنة //.

ما هي موسوعته؟

موسوعة حلب المقارنة: تتألف الموسوعة من سبع مجلدات في ٣٢١٥ صفحة من الحجم الكبير. بعد وفاة الأسدي، كلف السيد محمد كمال من قبل معهد التراث العلمي بجامعة حلب بتحقيق مخطوطاتها وإعدادها للطباعة، وتمت طباعتها في مطبعة جامعة حلب سنة ١٩٨٧م.

جاء في مقدمة المجلد الأول هذا التعريف بالموسوعة من قبل محققها: ((وضعت الموسوعة من أجل الكشف عن الأصول اللغوية التي عملت على تكوين لهجة حلب، ومن أجل بيان العلاقة المتبادلة بينها وبين تلك الأصول، فقد كانت حلب على مر العصور محط القوافل التجارية العابرة، وخاناتها الباقية إلى أيامنا هذه لا تزال شاهدة على ذلك الماضي الحافل بكل شيء. فاختلط سكان حلب بالعديد من الشعوب العربية والأجنبية، وتم بينهم تمازج واضح ظهر تأثيرها سواءً في لغة الحديث أو طرز العيش. وجاء هذا المؤلف الضخم ليحفظ التراث اللغوي والاجتماعي والعمراني لمدينة حلب. واتبع الأسدي في مؤلفه الترتيب المعجمي الهجائي في عرض المادة اللغوية. والموسوعة غنية بالمعلومات التاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية، وتحوي الموسوعة مفردات لهجة حلب)).

عانى الأسدي بشدة في إنجاز عمله الضخم هذا، فهو يعترف في مقدمته للموسوعة بصعوبة معرفة جذر الكلمة الحلبية من بين اللغات التي وصلت إلى حلب عبر التاريخ، وهي عديدة ومختلفة المنابع ولاشك، فمنها من أصول لغوية سامية ومنها من أسرة اللغات الهندوأوربية ... وقد كتب في مقدمة المجلد الأول عن ذلك العناء: ((والعناء هو في معرفة جذر الكلمة الحلبية كالعربية والسريانية والعبرية والتركية والفارسية حتى الكردية والهندية والسومري، وثمة الإيطالية التي امتدت لهجة حلب بكثير من المصطلحات لاسيما في مجال التجارة)).

إضافة إلى كل ما أنجزه الأسدي في مجال الكتابة والتأليف، فقد كان فناناً ونحاتاً أبدع الكثير من الأعمال الفنية التي ذكرها في المقدمة الجميلة التي كتبها لموسوعته الرائعة.

● مقدمة كتاب بالعنوان نفسه للكاتب د. محمد عبدو علي - عفرين

ملف العدد

عن تاريخ المناطق الكردية في سوريا

افتتاحية الملف

نفض الغبار وترك مساحة للحوار

المحامي: محمود عمر

لعل استخدام تعبير (نفض الغبار) بدلاً من تعبير (نفض التراب) في ملف العدد حول المناطق الكردية هو أكثر دلالة على المعنى المقصود، حيث أننا في بحثنا عن هذه المناطق لم نسبر التاريخ العميق، ولم نستخدم المعاول أو نذك الأزاميل لكسر الحجارة بحثاً عما وراءها، ولم نحشر إنوفنا في أمهات الكتب، وإنما اقتصرنا في بحثنا على سرد بعض الحقائق فقط عن التاريخ الحديث لهذه المدن والبلدات الصغيرة. نشوئها، وأصل التسمية، الموقع، أهلها ومن أين أتوا، وكيف استقروا وعاشوا، نمط وأسلوب معيشتهم، شكل البناء لديهم، عاداتهم وتقاليدهم، وما الذي تركوه لنا من معالم وشواهد، ومن عبر ودروس عن الحياة الانسيابية الجميلة التي كانوا وما زالوا يعيشونها، وما يسودها من قيم المحبة والسلام والتعايش السلمي التي كانت تسير بين المختلفين في الدين أو اللغة، المتوحدين في المصير والتاريخ والجغرافيا، وكيف أن الحياة المشتركة تلك ما زالت مستمرة في هذه المدن رغم كل المظالم والفساد وسوط الجلادين والمستبدين، وكيف أن الثورة السورية قد أفضلت كل الرهانات التي كانت تتم لهدمها أو وأدها.

إننا في سعينا وبحثنا عن هذه المدن والبلدات حاولنا إيقاد شمعة إحتفاءً بكل القيم والذكريات التي عاشتها، ولم نهرع وراء الطقوس والقرابين التي كانت تتم في المعابد سعياً لإرضاء الآلهة واستجدائها طلباً لحياة سعيدة، وإنما اكتفينا بعرض صور عن حياة بسيطة ومشتركة، هي من صناعة أهلها، وليست منة لسلطان أو من مصدر مقدس، لذلك لم نركض كثيراً خلف تاريخ يقدر معظمه من حجر وصخور، حتى لا نقع في شرك واشكالية نظريات التاريخ. تلك الإشكالية التي عبر عنها لوبون بقوله: "لو كانت الحجارة قادرة على النطق

لأضحى التاريخ اكدوبة كبرى". لذلك حاولنا قدر الإمكان إلقاء الضوء على تاريخ معاش وقريب منا جميعاً دون ادعاء احتكار الحقيقة، لذلك فإننا نترك مساحة للنقاش والحوار برحابة صدر ومحبة.

أكراد سورية في مرآة مصادر الأرشيف العثماني خلال القرن ١٨ للميلاد*

شتيفان فينتر

ترجمها من الألمانية: د. نضال محمود حاج درويش

المدخل

كانت لسورية (بلاد الشام) أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الشعب الكردي. على الرغم من أن قبائل كردية صغيرة استقرت منذ القديم في المناطق الجبلية الساحلية واندمجوا مع سكان المنطقة، إلا إن التاريخ الحقيقي للکرد يبدأ بحسب المصادر العربية منذ هجرة (ربما المتحدثين باللهجة الكرمانجية) أشباه البدو من المناطق الشرقية لجبال طوروس في العصور الوسطى.

مع صعود الاقطاع العسكري في الشرق الأوسط وإعطاء الأراضي لبعض القبائل وقادة العسكر، استقرت ومنذ القرن ١١-١٢ [1] قبائل كردية في مناطق فيها حصون ذو أهمية استراتيجية مثل حصن الأكراد (قلعة الأكراد فيما بعد قلعة الحصن) والقصير في أعالي أنطاكية.

أقوى قائد عسكري في هذا العصر هو صلاح الدين الأيوبي (توفي ١١٩٣) الذي وحد كامل سورية واستطاع الانتصار على الصليبيين، وهو يتمتع بأهمية تاريخية عظيمة لدى الكرد والقوميين العرب.

لم يتم حتى الآن البحث بشكل واسع في تاريخ القبائل الكردية. في تقارير البلاط العثماني والرحالة أمثال شرفخان البدليسي [2] وأوليا جلبي [3] لدينا معلومات غزيرة عن الإمارات الكردية في القرن ١٦-١٩ الميلادي والتي كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في أيلة ديار بكر والمناطق المحيطة بها. بعكس ذلك يتم الحديث عن المجتمع الكردي في شمال سورية ابتداء من القرن ١٩ في كتابات المستشرقين الروس وموظفي الانتداب الفرنسي في القرن ٢٠. بإمكان المرء الحصول على الكثير من الوثائق من الأرشيف العثماني بخصوص حلب والرقّة وطرابلس والتي تلقي الضوء على الهيكل

الإداري والمشاكل المتعلقة بالإدارة لدى القبائل الكردية في نهاية القرن ١٧ و١٨.

بعد فشل الحملة العثمانية ضد فيينا ١٦٨٣م. وما تبعها من فقدان لبعض المناطق في منطقة البلقان، تركزت سياسة الباب العالي بالدرجة الأولى على الأمن الداخلي والبناء الاقتصادي في المناطق الآسيوية للإمبراطورية العثمانية، وترتكز هذه السياسة بشكل أساسي في مسألة الإسكان الداخلي للقبائل الكردية والتركية والمرتزقة من الجند، ولتحقيق ذلك اتبعت وسائل العنف والترحيل، إضافة إلى إيجار الأراضي بأسعار مناسبة وحوافز أخرى تدفع المرء للأستقرار [4]. غزارة الوثائق الكتابية في الأرشيف العثماني ليس لها مثيل، وهي تزودنا بمعلومات عن مراقبة ومعاينة القبائل من قبل الجهاز الإداري للسلطنة العثمانية، الأمر الذي يوفر لنا فرصة فريدة لمعرفة أمور كثيرة لم نكن نعلمها عن تاريخ الشعوب والاستعمار ضمن آسيا الغربية في بواكير العصر الحديث.

توجد ثلاثة مناطق في سورية الحديثة مجاورة للحدود التركية مفصولة عن بعضها البعض، تسكنها أغلبية كردية يتحدثون بلغتهم الأم. في هضبة عفرين (كرداغ) شمال غرب حلب، ومنطقة عين العرب (نبع العرب) [5] شمال الرقة والحزام الحدودي حول القامشلي مع امتداد جبل سنجار العراقي في شمال شرق الحسكة. يتم التعرف في الوثائق العثمانية على مجموعات بدوية كردية كثيرة كانت تتوزع على مناطق واسعة من سورية الداخلية خلال القرن ١٨، وكانوا يجمعون الضرائب باسم الدولة، إضافة إلى هؤلاء البدو وجد قسم من الكرد الذين استقروا حديثاً وبنوا القرى.

يهدف هذا البحث إلى سرد العلاقة بين تلك المجموعات الكردية والدولة العثمانية من الناحية التاريخية وذلك من خلال وثائق الأرشيف العثماني. في الجزء الأول من البحث تتم دراسة القبائل والإمارات الكردية التي سكنت المناطق الغربية من الساحل السوري في القرن ١٨ والذين اندمجوا مع مرور الوقت في المجتمع العربي أي أنهم استعربوا. في الجزء الثاني من البحث تتم دراسة هجرة قبيلة الملاان والرشوان خلال القرن ١٨ من مناطق الأناضول إلى منطقة الجزيرة، ولو أن الوثائق الحالية تمكننا من إلقاء نظرة تقريبية على

توزع القبائل في ذلك العصر، وهي تبين لنا تداخل المجتمع الكردي والعربي خلال بواكير العصر الحديث.

1.2 حمص وحماه

تعتبر الأراضي العليا غربي مدن سورية الداخلية حمص وحماه من أقدم المناطق التي سكنها الكرد. ذكرت سابقاً بناء حصن الأكراد ١٠٣١ للأغراض العسكرية، وهو يقع في منطقة استراتيجية هامة بين حمص وموانئ طرطوس وطرابلس الساحلية، ومع بداية العصر العثماني سكن الكرد في المناطق المحيطة بالحصن.

يرد في السجل العقاري العثماني (طابو التحرير) من القرن ١٦ و ١٧ ذكر المجموعة القبلية (جماعت) التي تعرف بالكرد الحسكية (HESEKÎYE) والتي شكلت مجموعة منفصلة في ناحية حصن الأكراد، وكانت تقوم بجمع الضرائب [6] وترسلها مباشرة إلى الصندوق الخاص للدولة العثمانية، كما كان الحال بالنسبة للبدو وأشباه البدو في سورية أيضاً [7]، وكانت هذه الضرائب تمول المنح الدينية لعائلة السلطان. وقد تم تحصيل الضرائب من ٤٨ عائلة وهي عبارة عن غنم وجاموس. لا يظهر أسم الحسكية في أية وثيقة بعد سنة ١٦٤٥-١٦٤٦ (تاريخ آخر سجل عقاري لمدينة حمص).

مع بداية مشروع السلطة العثمانية لإسكان القبائل بنهاية القرن ١٧ تظهر عشيرة الساصلو Saçlo الكردية في مدينة حماه، التي لجأوا إليها تجنباً لدفع الضرائب للعثمانيين، وكان للساصلو علاقة قرابة مع كرد كلس [8]. أما قبيلة (قبليصلو Qilidhlo) والذين سيتم ذكرهم أثناء الحديث عن حي الأكراد بحلب- فقد كان لديهم شعبة في قضاء محافظة حمص، وقد تم رفع دعوى قضائية سنة ١٦٩٥ ضد أحد قادتهم المحليين بتهمة سرقة الغنم من أحد التركمان المحليين [9]. لا توجد في الوثائق أية معلومات أخرى بخصوص منطقة حصن الأكراد.

كانت قرية وادي الحضور (Hudhûr) في سنة ١٧١٥ مركزاً يختبئ فيه الكرد خوفاً من قطاع الطرق (الأشقياء) الأتراك من الذين كانوا قد تركوا قبائلهم وتجنبوا دفع الضرائب واعتادوا على العيش على النهب والسلب [10]. أما بالنسبة للكرد فقد كانت هناك نخبة منهم أعضاء في طبقة الضباط

العسكريين، وقد كانت لهم اتصالات جيدة مع قبائل الأناضول وكذلك الجيش العثماني، الأمر الذي مكنهم من التحكم باستيراد الصوف والغنم من كامل المنطقة [11].

كان سليمان آغا- وهو شخص أصوله غير معروفة - يجمع الضرائب لسنوات طويلة من سكان حصن الأكراد وقراهم، ومول في بعض الأحيان الأستتجار لأمرأ حمادة Emira Hamada - في لبنان [12]. استناداً إلى ملفات القضاء نعلم بأن البرازي كانت أهم عائلة أغوات كردية، حيث امتلكوا مساحات واسعة من الأراضي العقارية ضمن مدينة حماه في القرن ١٩ [13]. اندمجت هذه العشيرة مع مرور الوقت بالمحيط العربي (أي أنهم استعربوا) وقد وصل البعض منهم إلى مناصب عليا في الجمهورية السورية.

2.2 إمارة الجبل الكردية في طرابلس

استقر الكرد بشكل أساسي في سورية كما هو الحال في كردستان في المناطق الجبلية العالية، بحيث يستطيعون بدون عوائق تربية الماشية وكذلك ممارسة تقاليدهم.

تعتبر الجبال الساحلية الوعرة في لبنان - والتي يمكن للمرء أن يصل إليها بصعوبة - ذو أهمية كبيرة بالنسبة للتاريخ الكردي، حيث استقرت هناك مجموعات قومية ودينية تمتعت بحكم شبه ذاتي واستطاعت الاحتفاظ بتقاليدها بشكل أفضل. كانت عائلة جان بولات (جان بولات [14] Can polat) وعائلة معن من أهم تلك العائلات الكردية الأميرية والذين تحولوا بعد انتقالهم إلى جنوب لبنان إلى المذهب الدرزي وهيمنوا لسنوات طويلة على سياسة القبائل وتحكموا بالضرائب. كذلك عائلة شعب وهي غير معروفة كثيراً فهي تنتمي إلى الطائفة الأثنا عشرية الشيعية في جنوب لبنان. كانت هذه العائلة تتمتع بحق جباية الضرائب في منطقة جبل عامل ولكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً أمام إمارة شهاب (١٧٨٨-١٨٤٠) القوية. يرد اسم هذه الإمارات بكثرة في الوثائق العثمانية المتعلقة بأمور التمويل، ولكن نظراً لاندماج هذه الإمارات السريع في المجتمع الأقطاعي اللبناني لا يمكننا معاملتها كجزء من التاريخ الخاص بالكرد. أما بالنسبة للعائلات الكردية في سنجق طرابلس فقد كانوا وما زالوا حتى القرن ١٨ محتفظين بهويتهم القومية، وأهم إماراتهم كانت

الكورة في رأس نحاش وأحفادهم هم الأيوبيون الحاليون في شمال لبنان. في ملفات قضاء طرابلس من النصف الثاني للقرن ١٧ يتم ذكر إمارة الكورة ومجموعات كردية أخرى منهم عائلة حمادة التي كانت تحت حكم إمارة الكورة وكانت هناك علاقات زواج بين العائلتين. كانت عائلة حمادة تنتمي إلى الطائفة الأثنا عشرية ووقع على عاتقهم جباية الضرائب [15]. عاشت إمارة الكورة مرحلة الانتعاش في منتصف القرن ١٨.

في سنة ١٧٤٠م. حصل الأمير علي ابن حسن الكردي (حفيد الأمير أحمد ابن موسى الكردي) مع شريك مسيحي على ضرائب الإيجار في عكار وعنفة [16]. خلال العقد اللاحق هيمن فرع موسى وفرع حسن من العائلة الأميرية على الإيجار بشكل فردي أو معاً في محيط الكورة وعنفة والزاوية في جبال أعالي طرابلس [17].

كان على الأمراء الكرد كباقي الأمراء المحليين أن يبعثوا بأحد أعضاء العائلة كأسير إلى قلعة طرابلس إلى أن يتم استلام الضرائب. في سنة ١٧٤٥م. تمكن قاسم (على الأغلب ابن حسن الكردي) عن طريق الرشاوى من تجنب ذلك الاحتجاز [18]. تمتع أخوه عمر بالحصول على الإيجارات من الكورة وعنفة حتى سنة ١٧٦٤م. بعد ذلك فقدت العائلة هذا الحق [19]. لم يأخذ الإقطاع الكردي في لبنان حقه الكافي من البحث [20] وهو أمر ينطبق على هذا البحث أيضاً نظراً لقلّة الوثائق.

بالنسبة لجماعات أخرى والتي ربما أصولها كردية، مثل عائلة سيفا الأميرية من عكار، الذين حكموا كامل أيالة طرابلس اعتباراً من سنة ١٥٧٩م. يتم ذكر هذه العائلة في المصادر على أنهم أكراد ولكنهم كانوا من ضمن الاتحاد القبلي التركماني (ذوالقادر).

أما شعير الذين ربما هاجروا من شمال سورية، فينتمون إلى الطائفة الأثنا عشرية وكانت لهم في القرن ١٧ علاقات حميمة مع كرد الكورة وسيفا. تقدم لنا عائلة المرعبي حالة جديرة بالأهتمام، حيث بسطت هذه العائلة سيطرتها حتى القرن ٢٠ على منطقة عكار في أقصى شمال لبنان. في دراسة تفصيلية عن تاريخ عكار أظهر الباحث فاروق هبلوس أن هذه العائلة كانت تجبي الضرائب للعثمانيين، وقد هاجرت من حلب إلى طرابلس سنة ١٧١٥م. ويرى

الباحث بأن هذه العائلة ربما كانت ذات أصول عربية [21]. ولكن هذا التقدير عائد إلى خطأ في ترجمة وثيقة من اللغة التركية (من طرابلس)، وحسب الوثيقة فإن وزيراً عثمانياً (وليس شديد الناصر المرعبي) هو الذي بات لعدة أيام (في سنة ١٧١٤) في حصن الأكراد أثناء ذهابه من حلب إلى صيدا، في ذلك الوقت امتلك شديد وأقربائه تحصيل الضرائب من عكار وحصن وصافيتا وأسرع شديد في الانتقال إلى جانب الوزير العثماني عندما حاول الحصول على منصب الحاكم في طرابلس ووضع المنطقة لسنوات عدة في حالة من الاضطرابات [22].

تمتعت عائلة المرعبي بدعم السلطات: في سنة ١٧٤١م. يظهر شديد وأولاده سلهب وإسماعيل ضمن قائمة من ٣٨ ثائراً أغلبهم تركمان كانوا قد انطلقوا قبل سنة من وادي الحضور وهاجموا منطقة صافيتا وأرهبوا سكانها [23] (هذا الأمر ربما يوضح السبب الذي تم بموجبه نقل حق تحصيل ضرائب الإيجار في هذه السنة إلى أمراء الكورة: انظر في الأعلى). الأمر غير المعروف بالنسبة لنا هو فيما إذا كانت الدولة العثمانية تعتبر المرعبي إمارة كردية كما كان الحال بالنسبة لإمارة الكورة، ولكن الأمر المؤكد هو أن وجهاء عكار مازالوا يفتخرون بأصولهم الكردية وكانوا حتى الأربعينيات على الأقل يتميزون بلهجتهم الخاصة ولباسهم الكردي [24].

3.2 اللادقية وجبال العلويين

كانت كامل المنطقة الغربية من الساحل السوري في القرن ١٨ موطن مجموعة قبائل كردية صغيرة التي لم يعد لها اليوم أي أثر تقريباً. في هذا الفصل سيتم الحديث عن عشيرة رشوان، ويجب أن أذكر هنا بأن أجزاء من اتحاد قبيلة ليكوان (Lekwan) هاجرت من مناطق الأناضول إلى طرابلس عندما أنهوا عقود الإيجار الإقليمية سنة ١٧٤٩ [25]. كان اتحاد قبيلة ليكوان يسكن في أضنة وكانوا معروفين بالسرقة والنهب ومرتبطين بتحالف مع عشيرتي بني إيل وأفشار التركمانيتين وقد أجبرتهم السلطنة العثمانية على السكن في مدينة الرقة [26]، وقد اندمج هؤلاء أيضاً كأغلب القبائل الكردية في منطقة الساحل السوري في المجتمعات المحلية. نحن نعلم الآن وبالاستناد إلى وثيقة قضائية تعود إلى سنة ١٧٦١م. بأنه كان لدى قبائل عربية رعاة

أغنام كرد، حيث مارسوا معهم البداوة بين عكار في لبنان وصافيتا جنوب جبال العلويين [27].

تاريخياً كانت منطقة الجبال الساحلية الشمالية حول اللاذقية مركز استيطان كردي مهم. يوثق السجل العقاري للضرائب من القرن ١٦ بناء مسجد (مسجد الأكراد) في جبلة من دخل محصول خاص [28] يعود ربما إلى طبقة من الأكراد المتحضرين والذين ربما كانوا يمتلكون أراض زراعية منذ عصر المماليك الشركس في سورية ١٣٨٢-١٥١٦م. كان يطلق حتى القرن ٢٠ أسم جبل الأكراد على المناطق المرتفعة خلف جبلة واللاذقية، وما تزال المناطق المحلية تحتفظ إلى أيامنا هذه بأسمائها الكردية: دوير الأكراد، مزاراة الأكراد، بيت الكردي وإلى آخره. كانت بيت ياشوث وقرى علوية أخرى تعود ملكيتها و لفترة طويلة لأغا عائلة كنج (طنج). كان حصن صهيون في سنجق جبلة حسب المصادر العثمانية - والذي كان يعود بالأصل إلى الفرسان الصليبيين - مسكوناً من قبل قبيلة ساجلو (ساضلو) (Saçlo) الكردية في القرن ١٨، وكانوا يدفعون الضرائب للجوامع وإلى إمارة كوربرولو (Körprülü) محمد باشا في جسر الشغور، أما القبائل الأخرى فكانت تدفع الضرائب لخزينة الدولة في حماه [29]. في وثائق أخرى يتم اعتبار أكراد حصن صهيون جزءاً من عشائر المليية (ملان)، وقد عرف عن هؤلاء بأنهم عاشوا على جني الضرائب والنهب والهجوم على مناطق جسر الشغور [30].

يقع جسر الشغور على نهر العاصي وقد تمتع الجسر بأهمية استراتيجية إضافة إلى منشآت أخرى كانت لها أهمية كبرى بالنسبة للذاهبين إلى الحج وكذلك الأمر بالنسبة للتجار، لذلك كان محل طمع الحكام المحليين في المنطقة الجبلية المحيطة بها. في سنة ١٦٩٨م. هاجمت عشيرة الشيخان الكردية [31] وبمساعدة ألف فارس من العلويين جابي ضرائب من اللاذقية كان يتاجر أيضاً بالتبغ، عندما كان هذا في زيارة إلى أملاكه العقارية بين مدينتي جبلة وجسر الشغور، ولكن رجاله تمكنوا من حمايته.

كان حسن آغا ابن رستم (جابي الضرائب) من أهم الأمراء العثمانيين في شمال سورية في ذلك الوقت وكان كردي الأصل، امتدت منطقة نفوذه بعض الأحيان من هضبة القصير أعالي أنطاكية وكامل منطقة جبل الأكراد إلى قلعة المرقب قرب بانياس على الساحل السوري. بنى حسن آغا مسجداً من أمواله

الخاصة في جسر الشغور سنة ١٧٢١م. وأشرف مع أولاده لعدة أجيال على المنح المالية الغنية لإمارة كوربرولو (Körprülü) قاد عمر وحسن سنة ١٧٣٠م. عشيرة موسان في ثورة قصيرة الأمد ضد العثمانيين، وذلك لأن موظفي الدولة كانوا قد اعدموا أخاهم رستم ابن حسن الكردي قبل ذلك بعدة سنوات (وذلك بسبب امتناعه عن دفع الضرائب) واحتلوا قلعة العائلة في منطقة سلمى (ناحية بهلولية) ودمروها [32]، لكن عائلة رستم آغا تمكنت من استعادة دورها المؤثر في المنطقة وتحكمت حتى القرن ١٩ بتجارة التبغ في المنطقة المحيطة بجسر الشغور وجبله واللاذقية. تقع القرى التي كانت تخص رستم آغا في ايامنا هذه على جانبي الحدود السورية التركية في القصير، و كان سكان بعض تلك القرى مثل قرية باداما يتحدثون غالباً باللغة الكردية حتى سنة ١٨٥٠م. [33].

٣. شمال سورية وأقليم الرقة

كانت الأراضي العليا على طول الحدود الشمالية السورية التركية -والتي تشكل منطقة انتقال من الصحراء العربية إلى منطقة جبال طوروس- وما زالت حتى اليوم ذات كثافة سكانية كردية. وهناك جدل حول تاريخ الاستيطان في هذه المنطقة وهذا الأمر يعود إلى الاضطرابات والهجرات خلال الحرب العالمية الأولى. وفي مقابل ذلك تشير مشاريع التوطين العثمانية العائدة إلى القرن ١٨ إلى تبدل سكاني شمل الكرد والعرب والترک قبل ظهور عصر القوميات الحديثة. الأمر الجدير بالملاحظة هو عدم دراسة الوثائق الغزيرة والمتعلقة بالتجمعات الكردية حتى الآن من قبل المؤرخين. بغض النظر عن مصطلح أكراد الذي يرد في الوثائق العثمانية والذي يشك في أنه يشير إلى الكرد بالمعنى القومي وإنما يشير على الأغلب إلى القبائل البدوية (التركمانية) بالمعنى الاجتماعي [34]، فان الأمر الجدير بالملاحظة هو تقريباً عدم ذكر القبائل العثمانية الموجودة اليوم في المنطقة.

في هذا الفصل سيتم إلقاء نظرة على الوجود الكردي في ظل الإدارة العثمانية في منطقة شمال سورية، والذي يجب أن يأخذ حيزاً أكبر في المستقبل، وذلك من وجهة نظر جغرافية وتاريخية ومنهجية.

1.3 حي الأكراد في حلب

كانت منطقة جبل الأكراد/كرداغ (Çiyayê kurmênc) عفرين الحالية (شمال غرب حلب في الأمبراطورية العثمانية تتمتع بإدارة ذاتية كما كان الحال بالنسبة لكرديستان الشرقية. وحسب الزمن والسياق الإداري يظهر بأن هذه المنطقة كانت لواءاً (سنجق) كردياً مستقلاً، مركزاً إدارياً عشائرياً أو مركزاً لجامعي ضرائب كبار. يتم ذكر الأقليم العسكري كلس في التسجيلات القديمة بخصوص التمويل [35] وكانت كلس تخضع حسب نظام السناجق الكلاسيكي لسيادة حلب وتسمى رسمياً بأقليم الأكراد، وكانت بالنسبة للعثمانيين مصدراً لتزويدهم بالعساكر من القبائل المحلية، في حملات تجنيد تصل إلى ألف رجل [36].

كانت عائلة جان بولات التي تم ذكرها سابقاً تحكم كلس لعدة أجيال قبل أن يصبح علي جانبولات حاكماً لحلب، لكنه قام في سنة ١٦٠٧م. بثورة ضد الدولة العثمانية انتهت بهروبه إلى لبنان [37]. احتفظ لواء (سنجق) كلس بأهميته كمصدر منتظم لتزويد الدولة بالعساكر حتى أواخر القرن ١٨، ولكن مالكيه الكرد لم يمولوا العساكر مالياً في أوقات الحرب، وإنما كانوا يرسلون مبلغاً محدداً إلى صندوق الدولة [38].

تم تمثيل أكراد كلس لدى السلطات العثمانية كما باقي الاتحادات القبلية من قبل قائد محلي. كان هذا القائد مسؤولاً بشكل خاص عن الضرائب ومراقبة استيطان القبائل الكردية في المنطقة بعد انتهاء حرب سنة ١٦٨٣-١٦٩٩م. في سنة ١٧٣٩م. سعى إسماعيل وهو قائد من كلس إلى الحصول على مساعدة حاكم حلب، لأن عدة عشائر من قبيلة جوم الكردية غربي عفرين كانوا قد هاجروا إلى المدينة وامتنعوا عن دفع الضرائب الملقاة على عاتقهم [39]. سعى قائد كلس مرة أخرى إلى تحصيل الديون القديمة من أعضاء من عشيرة موسى بكلي Mûsa Beglî المعروفة لأرسالها إلى حلب [40]. في سنة ١٧٦١م. حصل شيخ من عشيرة أوقجي عزالدينلو Oqcî Izzedînlo على منصب الحاكم في كلس وذلك بعد أن نصحه أحد الحكام بأن يكون مطيعاً في تحصيل الضرائب وأرسالها إلى الباب العالي [41].

لم تعد المنطقة تذكر كأقليم عسكري كردي في الوثائق العائدة إلى القرن ١٨ وإنما كمقاطعة كلس وشيخلو Şêxo. وقد مولت ضرائب عشيرة أوقجي عزالدينلو- مثلها مثل العشائر الأخرى التي لا تحصى في المنطقة مولت

الوقف الديني لوالدة السلطان آتيك (وقف) والتي توفيت سنة ١٥٨٣م. وكان الوقف تحت إشراف استانبول. ولكون الأكراد المحليين عنيدين [42]، فقد أعطيت جباية ضرائب كلس- والتي كانت غالباً امتيازاً مدى الحياة- لحاكم الرقة الذي لعب دور رائداً في سياسة توطين القبائل في القرن ١٨. بما أن المسؤولية المالية كانت تقع على عاتق حاكم الرقة فإنه كان يقوم بحملات تأديبية ضد أكراد كلس وطرده القبائل المقاومة إلى صحراء الجزيرة [43].

يتم ذكر قبيلة شيخلو Şêxlo الكردية في وثائق كثيرة، وكما كانت الحال بالنسبة لقبيلة جوم أيضاً، ليس واضحاً دائماً فيما إذا كان المقصود هنا اسم العشيرة أو اسم الموقع الجغرافي (موقع بالقرب من كلس). ولا يظهر في الوثائق أية تأكيدات فيما إذا كانت عشيرة ما هي فرع من قبيلة محددة أم لا. على سبيل المثال تظهر في بعض الوثائق (أميكي Emîkî) الكردية بالقرب من بحيرة أموك على الحافة الغربية من كورداغ كعشيرة منفصلة وفي وثائق أخرى كمظلة لدوشيرلو وبكداشلو وأصبحت أميكي معروفة في منتصف القرن ١٨، وذلك نتيجة لأعمال الغزو والسلب التي كانت تمارسها على الطرق والقرى المحيطة بأنطاكية) كانت أيضاً سنجقاً تابعاً لحلب [44].

سيطرت بكداشلو بشكل خاص على المنطقة المحيطة بقره مورت وهي محطة قوافل على الطريق الشمالية من أنطاكية إلى مضيق بيلان، و في سنة ١٧٥٤م. تم ارسال حملة جديدة من قبل الباب العالي بقيادة حاكم كردي من أضنة (رشوان زادة سليمان) إلى قره مورت لتأديب القبائل التي تقوم بأعمال السلب في المنطقة بعد أن كان قد سبق وقام بحملة كبيرة فاشلة ضدها [45]. كانت قبيلة سركتانلو Serektanlo كذلك الأمر ذات سمعة سيئة، حيث قامت في سنة ١٧٤٣م. على سبيل المثال بعرقلة نقل أدوات حربية إلى بيرجيك، وفي سنة ١٧٥٦م. قام ٢٠٠ رجل منهم بمهاجمة قافلة تجارية ونهبها أثناء سيرها من الأناضول باتجاه حلب [46].

الجدير بالذكر هو أن مجموعات من القبائل التي يتم ذكرها هنا ترد اسمائها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية أيضاً. ففي سنة ١٧٤٣م. هاجمت مجموعة كردية تجاراً فرنسيين على الطريق إلى أسكندرون وتم كذلك إزعاج التجار الفرنسيين في المدينة واستغلالهم [47].

كانت قبيلة قليجلو Qiliçlo تسكن في كلس حتى نهاية القرن ١٩ وهي قبيلة شبه بدوية ومكلفة بتحصيل الضرائب من منطقة جوم القريبة من عفرين وكان لهذه القبيلة فرع في حمص، وكلاهما كانتا تشكلان فرعاً من قبيلة قليجلو الكبيرة المستقرة في الأناضول، وتم إرسالها خلال القرن ١٩ من مرعش وسيواس كاستمرار لعمليات الاستيطان في الرقة [48]. تتم المساواة تقريباً في كل هذه الوثائق بين الأكراد السوريين وغيرهم من الأكراد مع قطاع الطرق (الأشقياء).

يجب أن يتسائل المرء فيما إذا كان هذا الموقف من الجانب العثماني يشير في حقيقة الأمر إلى موقف ثابت وعدائي اتجاه المجموعات الكردية، أو أن الأمر يشير بالأحرى إلى تقييم ذاتي جديد من قبل القبائل الريفية كمشكلة إدارية خاصة.

تميزت سياسة الإصلاح للحكومة العثمانية في القرن ١٨ بمراقبتها الشديدة ومطاردتها ليس للقبائل الكردية فقط وإنما لكامل القبائل التركمانية والعربية أيضاً، وكان التوطين (الإسكان) الدائم للقبائل، وكذلك الذين خدموا سابقاً في الجيش، في المناطق القاحلة مثل حران والرقة من ضمن مخططات الإصلاح، وكان الغرض من ذلك هو حماية العمال والفلاحين وكذلك لأهداف اقتصادية، بحيث يوسع هؤلاء من مساحة الأراضي الزراعية. سأعطي هنا آخر مثال، حيث يرد ذكر عشيرة أوقجي عزالدينلو Oqcî Izzedînlo الكردية في مصنفات الديوان في حلب وأنطاكية، ويتم وصفها بأنها من أكثر العشائر سوءاً وأنها تقوم بأعمال السلب في المنطقة. ربما كانت عزالدينلو أكبر عشائر تجمع كلس، ويورد بعض الأحيان في الوثائق بأن عزالدينلو كانوا يشكلون أساساً لتحالف قبلي ضم شركتانلو وعشائر أخرى صغيرة. يرد في الوثائق كثيراً بأن عشيرة أوقجي عزالدينلو قد عوقبت من قبل السلطات وتم ترحيلها إلى الرقة ولكنها كانت تعود وبدون تردد إلى المناطق الرعوية المحيطة بحلب. في سنة ١٧٣٥م. حاول البعض منهم الهرب وذلك عندما تم نقلهم من قبل حاكم حلب، وفي سنة ١٧٥٦م. أمتدت حملات نهب عشيرة عزالدينلو من سهول عميق Amîq بالقرب من حلب إلى الأقاليم المجاورة لأضنة ومرعش [49]. لم تستطع السلطات العثمانية أساساً أن تقوم بمطاردة أوقجي عزالدينلو بشكل دائم، وفي آذار ١٧٥٧م. (بداية حساب السنة الجديدة) تم

استدعاء قادة عشيرة أوقجي عز الدينلو وعشائر أخرى في جبال كلس ليمثلوا أمام الباب العالي وطلب منهم جمع ضرائب أربع سنوات سابقة وأن لا يسجلوا أعضاء العشيرة الذين ارتكبوا جرائم السرقة [50]. بعد ذلك بعدة سنوات كما ذكرنا سابقاً كان أحد قادة أوقجي عز الدينلو وزعيم كامل تجمع كلس يلعب دور الوسيط بين الدولة وأهم المجموعات الريفية الهامشية.

2.3 قبيلة الملي/ ملان

توجد فقط مجموعات قبلية قليلة تظهر ارتباطاً وثيقاً مع التاريخ السوري كما هي الحال بالنسبة لقبيلة الملان. تكونت هذه القبيلة أساساً من عشائر كردية وعربية من منطقة ويران شهر، وهيمنت ابتداءً من القرن ١٨ على شمال سورية بالكامل. عين الباب العالي بعض الأحيان قائدهم تيمور ملي [51] حاكماً على مدينة الرقة ولكنهم لم يتمكنوا من إيقاف حملاته الدائمة على أورفا وقرى المنطقة [52]. عندما احتل والي مصر ابراهيم باشا سورية وقفت قبيلة الملان إلى جانب المصريين [53] ١٨٣٢م. (معركة قرب حمص). وفي النصف الثاني من القرن ١٩ استطاع الملان ثانية تحت قيادة ابراهيم باشا حفيد تيمور - الذي عهد إليه السلطان أمر قيادة فوج من الفرسان الحميدية [54] - استطاع فرض سيطرته على كامل العشائر في المنطقة ومن بينهم عشيرة شمر العربية. بعد الحرب العالمية الأولى وقفت قبيلة الملان إلى جانب قوات الانتداب الفرنسي ضد الكماليين ولكنهم ضربوا من قبل هؤلاء، ومع مرور الوقت وبعد رسم الحدود بين سورية وتركيا ١٩٢١م. استقر القسم الأكبر من الملان على الجانب السوري من الحدود وبشكل خاص حوالي رأس العين وفي الحسكة وأجزاء أخرى من الجزيرة.

أما بالنسبة لمدينة الرقة فمزال بعض وجهائها يدعون بأنهم من أصول مليّة ولو أنهم حالياً من وجهاء قبائل عربية. في بحث ألفه عبد الحميد الحمد حول المجموعات السكانية المحلية، يؤكد الباحث الأصول القومية المتناقضة (ألف ملة) لقبيلة الملان، والتي تم تكوين اتحادها القبلي بدايةً في عام ١٧٩٠م. من قبل تيمور بك [55]، لكن المؤلف تجاهل ذكر قبائل الملان قبل ذلك التاريخ بكثير [56]، وذلك في المصادر العثمانية التي اعتبرتهم قبيلة كردية خاصة.

كانت عشائر الملان في القرن ١٦ ممثلين للسلطنة العثمانية في ماردين ويحتكرون ربح الضرائب، مع أن هذه المنطقة لم تكن على الاطلاق من ميراث القبائل الكردية [57] في كردستان [58]. ولم تكن عشائر الملان بمنأى عن مخطط الاسكان الذي اعتمدته السلطنة العثمانية، ففي سنة ١٧٠١م. بدأت محاولة اسكانهم في مناطقهم الأصلية حول دياربكر/آمد ومن ثم بدأت واعتباراً من ١٧١١م. بترحيلهم إلى إقليم الرقة، ولكن الملان وكما هو الحال بالنسبة لجميع البدو لم يبقوا هناك لفترة طويلة وعادوا إلى حياة السلب، وكان يتم إرسالهم في السنوات التي تلت ذلك إلى مناطق الصحراء [59].

يجب أن لا يطمس خطاب الكتبة العثمانيين ضد الكرد الذين يمارسون أعمال السلب (أشقياء) حقيقة أن الملان كانوا واحدة من أبرز التجمعات السياسية في شرق الأمبراطورية العثمانية في القرن ١٨. كان الباب العالي يكلف عادة زعيم ملان الكبير (Millî-i Kebir) milanê mezin باسكان القبائل المليية. وبذلك تحمل زعيمهم كامل المسؤولية بالنسبة لعشائر قبيلة الملان في إطار مشروع استيطان الرقة، ولكن هذه الوساطة كانت مشوشة: على سبيل المثال يرد شكوى في أحد الفرمانات إلى حاكم ديار بكر والرقة في صيف ١٧٥٠م. من نقص الضرائب التي كان قد تم فرضها قبل سنة على الملان والمتحالفين معهم من التركمان، وذلك عندما رفضت مجموعة من هؤلاء إطاعة أوامر المسؤول عن الاستيطان وانتقلوا إلى مناطق مختلفة من الأقاليم المجاورة. وفي نفس الفرمان يظهر بشكل واضح بأن قائد الملان بنفسه (وهو المسؤول عن الاسكان) قد انتقل برفقة ١٠٠٠ خيمة إلى سيويرك Siverek في إقليم ديار بكر وحاصر هناك ولعدة أشهر السكان المحليين ومارس عليهم الظلم [60]، ولم يكن باستطاعة حاكم دياربكر مواجهة الملان لهذا تمت محاكمته من قبل الباب العالي. وفي السنة التي تلت ذلك كلف الباب العالي والي ماردين والموصل وبغداد بوضع حد لتصرفات الملان، وذلك عندما قام هؤلاء وبمساعدة قبيلة قيس العربية بارهاب سكان مناطق أورفا وبهسني Behisni [61] الأمر الجدير بالأهتمام هو أن الباب العالي أرسل كتاباً إلى رئيس الملان، بشير ابن كلش عبدي وأخيه محمود جد تيمور مللي الذي سبق ذكره، وهددهم مباشرة بأقصى العقوبات، في حال لم يتبعوا إرادة السلطان ولم يتراجعوا عن أعمالهم السيئة ويعودوا بعوائلهم إلى مناطق الاستيطان [62]. كانت العشائر المليية بالكامل بما فيها فرع كلش عبدي، تدين في الماضي

بالديانة الإيزدية. يتم ذكر الإيزيديين واتباع الطوائف الدينية الأخرى من الكرد (على سبيل المثال العلويين) في الوثائق الإدارية بشكل متقطع، وعلى عكس ما يتم ادعاؤه في الدراسات الحديثة، فإن السلطات العثمانية لم تتبع سياسة مباشرة ضد أعضاء الأقليات الدينية في ذلك الوقت*، ولكن يرد دائماً ذكر عصابات من قطاع الطرق في مرتفعات شمال العراق الذين تمت محاربتهم بشدة من قبل الإيزيديين (احتلال ودمار برج تل اعفر في سنة ١٧٤٠م. ويرد في أماكن أخرى بأن الإيزيديين استطاعوا التمتع بحماية السلطات العثمانية، على سبيل المثال كلف حاكم حلب في سنة ١٧٢٤م. قاضي كلس بحماية جماعة بدوية إيزيدية (Konar-Göçer) من مطالب نقدية مفرطة من قبل مالك عديم الرحمة[63].

في مرسوم من سنة ١٧٥٦م. وجه اللوم بشكل صريح إلى ملان كبير بسبب اتهامهم بالادلاء باعترافات كاذبة، ولكن في واقع الحال هو أن قيام الملان ومن جديد بخلق الاضطرابات وجلب الويلات في مناطق سويرك كان وراء توبيخ الباب العالي لهم[64] ولكن الأمر المدهش هو دحض تلك الاتهامات من قبل حاكم الرقة، حيث قام بإخبار الباب العالي بوجود خلافات سابقة بين حاكم سيورك ومحمود باشا زعيم الملان. بينما قضى الملان شتاءهم سلمياً، ذهب حاكم سيورك إلى استانبول ليفتري عليهم وخوفاً من عقاب السلطات انسحبت عشائر الملان إلى عمق الصحراء السورية ليسلموا من المضايقات[65].

دامت لعبة القط والفأر بين الملان والأعداء المحليين وبينهم وبين السلطات العثمانية وسلطات الأقاليم لسنوات عدة. كمثال أخير يوضح لنا الوضع السياسي لاتحاد عشائر الملان في شمال سورية في ذلك الوقت نورد انه في شهر شباط من سنة ١٧٥٨م. أُنذر الباب العالي كلاً من حاكمي مدينتي الرقة وبغداد بوبال فضيع لو لم ينسحب محمود والملان سريعاً من منطقة وادي الخابور قائلًا انه يجب طردهم وابعادهم إلى الرقة. ويعود السبب وراء هذا الطلب حسب السلطنة هو تجرؤ محمود وذهابه بدون ابداء احترام إلى منطقة الخابور وقيامه بحجز مخزون الحبوب في قرية مجدل[66]، ومن ثم بنائه لحصن في خربة (Habra) وكذلك مباشرته العمل على بناء القرى الصغيرة والمزارع في المناطق المجاورة، ومخططه لحجز مياه الخابور ومن ثم حفر

مجرى نهر جديد ليستملك كامل المنطقة لقبيلته. وقد استطاع رجال قبيلته نزع السلاح من أحد عشائر طي العربية واستولوا على ماشية قبيلة كيكان الكردية [67]. لقد جاء في الامر انه يجب على الملاان أن يعودوا إلى مناطق سكناهم، ويجب تدمير حصنهم في منطقة الخابور [68]. من الواضح أن تصرف محمود بشكل مستقل هو الذي أثار حفيظة الدولة وليست مشاريعه. بعد أربعة أشهر من ذلك التاريخ وحصول حوادث جديدة تم جرد محمود من منصبه كمسؤول الاستيطان "Iskan-Başı" وتمت محاربته في قرشداغ Karaca Dağ حيث اضطر للهروب إلى ديار بكر ومن هناك قاد الثورات ضد الباب العالي لعدة سنوات وهو أمر كلفه رأسه [69].

3.3 قبائل رشوان

في الختام سأعطي لمحة عن عشيرة رشوان الكردية والتي استقرت في كامل مناطق السلطنة العثمانية: ليس بإمكاننا واستناداً إلى الملفات الإدارية العائدة إلى القرن ١٨ تحديد أصولهم وترتيبهم الإداري، ولم تجر حتى الآن أية دراسة عنهم. يرى نجدت ساكوغلو Necdet Sakaoğlu بأن الرشوان لم يكن تجمعاً سكانياً وإنما عبارة عن مصطلح يطلق على أعداد كبيرة من العشائر البدوية التي كانت تنتقل سنوياً بين شمال سورية والأناضول [70]، أما السلطات العثمانية فقد تعاملت معهم كمجموعة مستقلة وفرقوا بشكل واضح بين البدو (Goçer) والمستقرين (Yarlü) منهم، وتبدو الصورة واضحة إذا أجرينا مقارنة مع قبيلة بوز أولوس (Boz Ulus) التركمانية، حيث تعاملت السلطات مع هذه القبيلة كوحدة إدارية وضريبية. وجد شبيه لوضع هذه القبيلة حتى بداية القرن ١٦ في اتحاد قبلي كردي يسمى (قرة أولوس Kara Ulus) "الاتحاد الأسود" في جنوب شرق الأناضول [71]، ولكن اسم هذه القبيلة لا يظهر في الوثائق المتأخرة. من المفيد ذكر أن رشوان- والذي يعني باللغة الكردية أسود- كانوا يشكلون في مناطق محلية متنوعة في القرن ١٨ بقايا اتحاد قبلي كردي، ويرد ذكرهم بشكل خاص في مناطق سيواس ومرعش وأضنة، وكان يحكم مرعش وأضنة والي من عشيرة رشوان زاده.

يبدو أن مركز قبيلة رشوان الرئيسي كان في حصن المنصور (آدي يآمان) في منطقة مرعش، ولو أنهم توزعوا في مناطق الأناضول المختلفة [72]. هنا

كان يوجد على الأقل جزء من مقاطعة تابعة لقبيلة رشوان، وقد خصصت إيراداتها لجامع والدة السلطان في استانبول. وكان يمثل كل عشيرة أمام السلطنة العثمانية شخص ذو مكانة بارزة.

تخبرنا الوثائق العثمانية المتعلقة بالشكاوى المالية (شيكاييت دفترلري) والتي تعتبر من المصادر الغنية لدراسة التاريخ الاجتماعي والإداري للسلطنة العثمانية - كيف وجب على سبيل المثال في سنة ١٦٩٠م. على فرهاد أوغلي يوسف وهو من بدو الرشوان تحصيل الضرائب المتأخرة، والتي حاولت الحكومة المركزية تحصيلها بشروط أكثر عدلاً [73].

وقد شغلت المسائل الإدارية موظفي الدولة في أقاليم شمال سورية أيضاً، والتي قضى فيها الكثير من أشباه البدو من الرشوان فترة فصل الشتاء. تسببت على سبيل المثال مجموعة من الرشوان في سنة ١٧١٢م. بخسائر كبيرة في منطقة حارم غرب حلب، حيث لم يتوقفوا عند المراعي الشتوية التي كانت مخصصة لمواشيهم وإنما تركوا أغنامهم تدخل بساتين إحدى القرى [74]. وفي إحدى المرات كان على حاكم حلب جمع الضرائب المتأخرة منهم، أو، بناء على رغبة الرشوان، ترحيل الأعضاء المتمردين إلى قبرص [75].

استقرت بعض المجموعات من الرشوان لفترات طويلة في سورية، ويرد في الملفات القضائية من طرابلس بأن ثلاثة من قادتهم طلبوا في سنة ١٧١٢م. الموافقة من السلطات باستيطان ٦٠٠ عائلة منهم في منطقة عكار، وقد تم لهم ذلك بموجب شروط فرضت عليهم السكن في منطقة محددة وان يتقيدوا برعي مواشيهم في منطقة مخصصة لهم. إضافة إلى ذلك توجب عليهم دفع قليل من الفائدة للسلطات والمحافظة على الأمن والسلام في المنطقة [76]. ولكن بعد ذلك بعدة سنوات الغيت الاتفاقية من قبل السلطات العثمانية، ويعود ذلك إلى شكوى من قبل محصل الضرائب الذي ادعى بأن هناك نقصاً في المبلغ الذي توجب على الرشوان إرساله إلى طرابلس [77].

كانت أيلة الرقة أهم منطقة لهجرة الرشوان في القرن ١٨، حيث وجب عليهم كما كان الحال بالنسبة لقبائل الملان وقلجولو Qiliçlo وعشائر كردية أخرى كثيرة وكذلك عشائر تركمانية، الخضوع للسياسة الحكومية بخصوص الاستيطان التي بدأت منذ العام ١٦٩١م. ولتحقيق ذلك قدمت الحكومة لهم

التسهيلات المناسبة بخصوص الضرائب، وكانت تتم في بعض الأحيان معاقبة القبائل بإرسالها إلى الرقة.

لا نملك معلومات وافية بالنسبة لمدى تطبيق تلك السياسة ونتائجها، وهو أمر يحتاج إلى بحث مستفيض. الكثير من الرشوان وغيرهم من القبائل تركوا وبسرعة المنطقة المخصصة لسكناهم ليعودوا إلى الشمال. وقد كان لحاكم الرقة (مقره الوظيفي في أورفا) إلى حد ما سلطات واسعة على القبائل خارج حدود أقليمه وكان يطلب منه مطاردة القبائل في المناطق الأخرى ومعاقبته وإرجاعها إلى مناطقها المحددة. توجب عليه في سنة ١٧٥١م. مهاجمة جماعة من قطاع الطرق من الرشوان في حصن المنصور، وكان سكان عنتاب وحصن قد اشتكوا قبل ذلك بعدة سنوات من معاون حاكم الرقة لدى الباب العالي بتهمة ابتزاز الأموال وسرقة الأغنام [78]. كانت عشيرة عمرانلو (Omranlo) الكردية وهي فرع صغير من قبيلة جيهان بكلو Cihanbeglo ضمن مخطط الاسكان، حيث عهد بمسألة انتقالهم من ملاطية إلى حاكم الرقة، بعد أن كان هؤلاء قد عبروا نهر الفرات في صيف وخريف ١٧٦٤م. ونهبوا القرى في منطقة سيفرة-أرغاني-Sivre [79] Ergani من غير الواضح هنا أيضاً الفترة التي قضتها القبيلة في الرقة، ولو أن الكثير من الكرد في مناطق الأناضول والذين ينتمون إلى عشائر كانت جزءاً من الاتحاد القبلي لقبيلة رشوان وجيهانكلو- يدعون بأن أصولهم سورية وهذا الأمر ربما يعود إلى حقبة الاسكان في القرن ١٨.

تعتبر الوثائق التي تزودنا بمعلومات عن علاقات الرشوان مع الجهات المحلية الفاعلة في شمال سورية أمراً في غاية الأهمية بالنسبة لغايات البحث.

كما كان الحال بالنسبة للكرد، تمت قيادة القبائل البدوية العربية من قبل أمير صحراوي (öl Beğiç) معترف به رسمياً كان يتوجب على الحكومة دائماً حماية العشائر الصغيرة منه. اشتكى الرشوان في سنة ١٦٩٤م. من الأمير الصحراوي السابق حسين حمد العباس الذي هاجم مع المئات من أعضاء عشيرتي موالي وقيس وعرب آخرين قبيلة الرشوان في مقرهم الشتوي في السلمية وسرقوا ٢٠٠ ألف رأس من الماشية. حصل موظفوا السلطنة العثمانية في كامل سورية على أوامر توجب عليهم بموجبها السعي إلى أرجاع المواشي إلى الكرد [80].

كان الرشوان يتوقفون عادةً خلال ترحالهم في مناطق غير مأهولة بالسكان، ولكن في سنة ١٧٣٦م. وعندما كانت عشائر الرشوان تجوب المنطقة بين سلمية وكوك سو (Gök Su) في الشمال تسببت بأضرار بالغة بمحاصيل قرى شرق حلب وكان عليهم دفع تعويض لتلك القرى. بعد ذلك بسنتين هاجم الباب العالي ثانية أخو حمد العباس وذلك نصرة لقبيلة الرشوان التي تعرضت مناطقهم للاضطرابات وتم ابتزازهم مالياً بنتيجة صراع داخلي ضمن إمارة الصحراء. حصلت قبيلة رشوان على مرافقة عسكرية وصلت إلى الفرات واستطاعت من جديد الاتفاق مع جول بكي حول دفع الضرائب السنوية، وتعهد حكام حلب والرقه من جهتهم بمراقبة حمد العباس مراقبة شديدة [81].

كانت حماية قبيلة رشوان الكردية من الأهداف الأساسية لأمير الصحراء [82] وتم رفع واجب دفع الضرائب عن الرشوان من قبل الباب العالي وذلك في سنة ١٧٥٠م. بعد أن عجزوا عن الدفع في السنة التي سبقتها [83].

٤. الخاتمة

كان وضع القبائل الكردية في سورية خلال القرن ١٨ متناقضاً ، فمن جهة تم وصفهم من قبل السلطات العثمانية بالأشقياء أي قطاع الطرق وذلك لقيامهم بأعمال السلب على الطرقات، ونظراً لتملصهم من دفع الضرائب كانت تتم معاقبتهم بإبعادهم إلى مناطق أخرى. ومن جهة أخرى تخبرنا الوثائق الإدارية بأن الباب العالي كان يسعى وبشكل دائم لتأمين لقمة عيش القبائل، وبأن فرض الضرائب على القبائل كان يتم بشكل عادل ووفقاً للقانون.

قبل كل شيء كان يتم تعيين زعيم القبيلة في الإدارة العثمانية عن طريق تمييزه برتبة أمير أو مسؤول الاسكان وغير ذلك، وكان هؤلاء يتمتعون بمكانة بارزة كوسطاء بين القبيلة والسلطنة. كان كرد سورية ضمن السلطنة العثمانية كغيرهم من القبائل العربية والتركية خاضعين لسياسة الدمج والمراقبة، وهو أمر يمكن تشبيهه بوضع تقريباً كل المجموعات الهامشية في الريف الاوربية وأسيا الغربية في بواكير العصر الحديث.

سيكون من الخطأ ومن خلال استحضار إجراءات نموذجية عفى عليها الزمن لتحديث الدولة العثمانية من جمع تاريخ قومي كردي، ومن جهة أخرى يمكننا الملاحظة بأن مسألة تطوير الهوية الكردية في عصر الهوية القومية الحديثة أصبح صعباً، نظراً لأن الكرد من بين أسباب أخرى، لديهم نقص في الوثائق العلمية والتي بناءً عليها يتم تصويرهم ببساطة على أنهم شعب بدون تاريخ.

وقد حاولت هنا من خلال إلقاء نظرة أولية عامة على الأرشيف العثماني العائد إلى القرن ١٨ إظهار الوجود التاريخي للكرد، الذي أتمنى أن أكون قد وفقت فيه.

*تنشر المادة في "الحوار" بالاتفاق مع "مدارات كرد"

- ملاحظة من "الحوار": تم حذف الهوامش والمصادر هنا، نظراً لطولها. للإطلاع عليها يمكن مراجعة موقع "مدارات كرد" على شبكة الانترنت

=====

جنديرس - التاريخ والحضارة

مروان بركات

الموقع:

- الموقع الجغرافي: تقع بلدة جنديرس في أقصى الشمال الغربي من الأراضي السورية، على بُعد /٨٠ كم/ من مدينة حلب، عند النهاية الجنوبية من سلسلة جبل الأكراد في سهل خصب على الضفة الشمالية من نهر عفرين على بُعد /٣ كم/، يمتد من جهة الغرب حتى سهل العمق الذي كان يعرف قديماً باسم سهل أنطاكية، ويفصل بين هذا السهل والبحر الأبيض المتوسط قمم جبال الأمانوس. وعلى بُعد /٥٠ كم/ من الجهة الشمالية الغربية من جنديرس يقع خليج الإسكندرون. أما حدودها الشرقية والجنوبية فهي سلسلة جبل ليلون بشكل هلال. وتبعد بلدة جنديرس عن مدينة عفرين مسافة /١٨ كم/ في الجهة الجنوبية الغربية.

- الموقع الجيولوجي: تقع في الأطراف الشمالية من الصفيحة العربية قريباً من منطقة الالتقاء مع الصفيحة الأوراسية (نطاق انغماس الصفيحة العربية تحت الصفيحة الأوراسية الذي نجمت عنه نهوضات جبال الأمانوس)، وهذا الالتقاء ما بين الصفيحتين تسبب في كثير من النشاطات الجيولوجية (البراكين والزلازل)، ففي /١٣/ كانون الأول عام /١١٥/ ميلادي حدثت هزة أرضية أثناء وجود القيصر تريان في إنطاكية أدت إلى الكثير من الخراب والدمار في عموم المنطقة.

- الموقع الأثري: تقع جنديرس في سهل مكتظ بالمواقع الأثرية، فعلى محيط جنديرس يوجد خمسة عشر تلاً أثرياً، وتل جنديرس هو أكبرها حيث تبلغ مساحته ما يقارب /١٥/ هكتاراً، ويصل ارتفاعه إلى /٢٠/ متراً. وفي الجهة الشمالية الغربية من جنديرس يوجد موقع (ملكة الآلاخ) - تل العطشانة حالياً. التي يرجع تاريخها إلى /٢٧٠٠ ق.م/ حيث كانت من أكثر الممالك ازدهاراً في المرحلة الحورية - الميتانية. وتقع جنديرس بين أهم موقعين أثريين في المنطقة وهما أنطاكية من الجهة الجنوبية الغربية وعلى بُعد /٥٠/ كم، ومدينة (سيروس) - نبي هوري حالياً - من الجهة الشمالية الشرقية على بُعد /٤٥/ كم. أما في الجهة الجنوبية الشرقية والشرقية لحدود جنديرس فتوجد العشرات من المواقع الأثرية الهامة ومنها:

١- قلعة سمعان: حيث عاش في هذا الموقع القديس سمعان العمودي حياة النسك والزهد على عمودٍ لمدة /٤٢/ عاماً، وبعد وفاته في عام /٤٥٩/ ميلادية، استلم (زينون) مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية المسيحية عام /٤٧٤م/ وأمر ببناء أكبر كنيسة في شمال سورية حول مكان العمود الذي عاش عليه هذا القديس، فكانت بداية العمل بكنيسة دير سمعان في عام /٤٧٦م/، وتم الانتهاء من بنائها عام /٤٩٠م/. وتعتبر كنيسة القديس سمعان من الأماكن المقدسة لدى المسيحيين.

٢ - موقع تل عين دارا: يقع على بُعد /١٥/ كم في الجهة الشرقية من جنديرس. يبلغ طوله /٢٧٠/ متراً، وعرضه /١٧٠/ متراً. حين كانت جنديرس حتى القرن السادس الميلادي ممراً استراتيجياً يصل سهل إنطاكية بمنطقة عينتاب ومنطقة حران عبر الفرات، كان موقع تل عين درا مكان استراحة القوافل التجارية القادمة من الجنوب باتجاه مدينة (سيروس)، والأمر الأهم بالنسبة لهذا الموقع هو أن الإنسان عاش فيه قبل ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد، هذا ما دلت نتائج أعمال التنقيب فيه. كما يقع على أعلى التل في جهته الشمالية أكبر معبد ميثاني من الحجر البازلتي في شمال سورية.

٣ - أما في الجهة الجنوبية الشرقية وعلى بُعد /١٥/ كم من جنديرس تشمخ قمة جبل (شيخ بركات) على النهايات الجنوبية لجبل ليلون، إذ يوجد في هذه القمة معبد للإله "زيوس" الذي يعود تاريخ بنائه إلى عام /١٧٠م/. وفي الجهة الشرقية من جنديرس في الكتلة الكلسية وعلى بُعد /٢٠/ كم يوجد موقع "كفر نبو" الذي كان يحوي أكبر هيكل للإله (نبو) حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، وهذا الموقع له ذكره في التوراة وفي أغلب المصادر الكتابية القديمة التي تخص العبادات القديمة. وإلى الشمال من موقع كفر نبو تقع قرية "براد" التي دفن في كنيستها القديس (المار مارون) ويعتبر هذا المكان من الأماكن المقدسة لدى الطائفة المارونية في العالم.

٤ - كهف دودريه: يقع إلى الجنوب الشرقي من جنديرس على بُعد /١٠/ كم/ تقريباً ولعله من أهم الأماكن التي استوطن فيها الإنسان النياندرتالي في سورية، قبل أكثر من مئة ألف عام. إضافة إلى العشرات من الأماكن الأثرية الهامة في جبل ليلون.

- التسمية: في الفترة التي سبقت اليونانية عُرفت المدينة من قبل "سترابون" باسم (أكرو) ولدى الرجوع إلى لغة الحوريين والميتانيين الذين حكموا شمال

وشمال غربي سورية وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط خلال النصف الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد، ومن بعدهم الميديين في النصف الأخير من الألف الأول قبل الميلاد يتأكد لنا أن (أكرو) مفردة حورية كما أن الرقم التي تم الكشف عنها في (الالاخ) تؤكد نصوصها أن أغلب الأسماء في سورية الوسطى والشمالية هي أسماء حورية، وبقيت التسمية نفسها تطلق على المدينة من قبل الميديين. وقد وردت هذه المفردة في (الأستا) الكتاب المقدس للزرادشتية الذي كتب باللغة الميديية، ومعناها (النار) ولا تزال هذه الكلمة تستخدم من قبل الأكراد عموماً وبنفس المعنى. ولربما أطلقت هذه التسمية على المدينة نتيجة حرقها وتدميرها بالكامل من قبل الملك الحثي (ختوشيلي الأول)، حين احتلاله لمملكة الالاخ نحو عام /١٥٦٠ ق.م/. أو أنها سميت (أكرو) نسبة لوجود معابد للنار فيها. حيث ورد في رقم من الالاخ من الطبقة السابعة ذكر قائد عسكري يحمل اسماً حورياً هو (زكراشي) كان في مواجهة الحثيين حين هاجموا مملكة الالاخ ومدينة (أكرو)، وفي الفترة اليونانية أضيفت إلى التسمية كلمة (بولس) والتي تعني في اللغة اليونانية "المدينة" فأصبحت (أكرو) تعرف باسم (أكروبولس) أي "مدينة النار". هذا ما ذهب إليه سترابون. أما تقارير البعثة الأثرية المنقبة في جنديرس فقد أشارت إلى أن كلمة (أكروبولس) تعني في اليونانية "مركز المدينة"، والتي كانت مركزها في موقع التل الحالي. أما الجغرافي اليوناني (بطليموس) فقد ذكر جنديرس تحت اسم (بوليس).

في الفترة الرومانية عُرفت المدينة باسم (جنديروس). هذا ما ذهب إليه (سترابون) إلى جانب ما ذكرناه سابقاً، وبعد أن فقدت جنديروس مكانتها كمدينة في الفترة الرومانية المتأخرة أصبحت تعرف باسم (كومة) =Gome، والتي تعني البلدة أو القرية الكبيرة، وهذه التسمية مثبتة في الكثير من المراجع التاريخية القديمة، حيث أوردها ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) تحت اسم (كورة جومه) بدلاً من (كومة) حيث أن الحرف اللاتيني (G) يتحول إلى (ج) حين يكتب بالعربية، هكذا (جومه =Gome). (كورة) تعني السهل، وبالتالي كورة جومه معناها (سهل البلدة) أي بلدة جنديرس، ولا تزال هذه التسمية تطلق على منطقة جنديرس الحالية من قبل سكان منطقة جبل الأكراد والمناطق المجاورة حيث يقولون (كورا جومه - Kora cûmê).

- جنديرس مدينة ثم بلدة:

ما ذكره المؤلفان (سترابون) و (بطليموس) على أن جنديرس كانت موقعاً

سكنياً كبيراً، وكانا يطلقان عليها اسم مدينة. وأن التسمية اليونانية (أكروبولس) لهي تأكيد جازم بأنها كانت مدينة وليست بلدة أو قرية صغيرة. وذكر (تيودورث) أسقف سيروس - نبي هوري حالياً - أنها كانت تتمتع بالاستقلالية السياسية، وأنها كانت مدينة، وحين فقدت كرسيتها الأسقي في منتصف القرن الخامس الميلادي أصبحت تعرف ببلدة كبيرة (كومه).

- جنديرس خلال الفترة الحورية - الميتانية والميدية:

كانت الجبال والأنهار والينابيع والسهول الخصبة في شمال غربي سورية تشكل تفاعلاً حيويًا مستمرًا بينها وبين العنصر البشري عبر التاريخ، وذلك بسبب تأمين الماء والمراعي للقطعان، والغذاء الأوفر للأفراد. وبسبب توفر تلك المقومات يمكن القول بأن منطقة شمال غربي سورية كانت بمثابة حوض بشري هام عبر التاريخ، كما أن تلك المقومات كانت سبباً لإقامة العديد من المدن والممالك التي كان لها دورها البارز في التاريخ القديم والحديث معاً، ولنفس السبب أيضاً كانت منطقة صراعات شبه دائمة بين العديد من الأعراق البشرية والإمبراطوريات والحضارات المختلفة. وكون جنديرس تقع في محيط هذه المنطقة الهامة جغرافياً وتاريخياً، فلا بد من أنها شهدت كل ما مرت بها من الأحداث والصراعات، وأنها عاشت كل الحضارات الإنسانية التي تعاقبت عليها وعلى مر الزمن. ومن أهم الممالك التي أقيمت في شمال غربي سورية خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد هي مملكة (الالاخ) خلال فترة /٢٧٠٠ - ١٢٠٠ ق.م/. حيث أن المؤرخين والأثريين أشاروا إلى أن هذه المملكة بقيت مستقلة وعامرة حتى عام /١٢٠٠ ق.م/ وأن حدودها كانت تمتد غرباً إلى البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً إلى حدود مدينة (أرباد) - تلرفعت حالياً - التي تبعد عن الالاخ ما يقارب /٣٥ كم/. و من الطبيعي أن مدينة آكرو - جنديرس الحالية - كانت تنضوي داخل حدود مملكة (الالاخ)، وحين شنَّ الفرعون (سنوسرت) هجوماً على مملكة (يمخاض) - حلب حالياً - وأخضعها لحكمه، توجه إلى مملكة (الالاخ) لإخضاعها أيضاً، وكان هجومه لآلاخ عبر جنديرس.

في الفترة الواقعة بين عام /١٨٧٠ - ١٧٥٠ ق.م/ بدأ أهالي مملكة (الالاخ) بالانتفاضة ضدَّ الحكم الفرعوني، وقوبلت الانتفاضة بالعنف من قبل الجيش الفرعوني، وخلال الفترة الواقعة بين عامي /١٧٥٠ - ١٧٣٠ ق.م/ قامت ثورة عارمة من قبل شعب الالاخ ضدَّ حكم الفراعنة، ولكن هذه الثورة أيضاً لم تحقق أهدافها كونها قُمت من قبل الجيش الفرعوني أيضاً. في عام /١٧٣٠

ق.م/ اشتد الصراع بين الميتانيين والفرعنة على مناطق شمال غربي سورية، وبعد معارك حاسمة بين الطرفين وبدعم من شعب مملكتي يمخاض والآلاخ وقعت مناطق شمال غربي سورية ضمن حدود الإمبراطورية الميتانية، والتي امتدت حدودها بذلك من جبال زاغروس شرقاً باتجاه الفرات ماراً بجنوب (نوزي) - موقع قرب كركوك حالياً - قاطعةً نهر دجلة حتى تصل إلى الجنوب من جبل عبد العزيز الواقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة حلب، وتشكل من هناك خطأً مستقيماً باتجاه الغرب إلى أن تصل إلى البحر الأبيض المتوسط، وبهذا انضوت الآلاخ داخل حدود الإمبراطورية الميتانية - الحورية. ومن أهم المدن والعواصم الميتانية خلال هذه الفترة هي (نوزي) - قرب كركوك الحالية - في الشرق. وفي الوسط كانت (واشوكاني) - رأس العين الحالية - الواقعة في وسط بلاد ما بين النهرين، أما في أقصى الغرب كانت (الآلاخ) المتاخمة لجنديرس. وبهذا التوسع الميتاني عمت الثقافة والحضارة الحورية - الميتانية عموم شمال وشمال غرب سورية، ويقول السيد (انطون مورتكات) وهو من أشهر المستشرقين وعالم في حقل آثار الشرق الأدنى القديم، ما يلي: ((ولو استعرضنا فن النحت في كل بقعة من بقاع شمال سورية فإنه سيعبر عن نفسه في المركب الحوري - الميتاني لتاريخ شمال سورية. وأن فن النحت التي تظهر مناظر لفن قتال العربات في أغلب المواقع الأثرية في شمال سورية عموماً كلها تنتمي إلى التقليد الحوري - الميتاني أيضاً)). وهذا تأكيد بأن الثقافة الميتانية كانت تغطي على عموم شمال وشمال غرب سورية. ولعل من أهم المواقع الأثرية التي تتمتع بالفن الميتاني في شمال غربي سورية هو معبد عين دارا، الذي يقع إلى الشرق من موقع جنديرس على بعد ١٥ كم، حيث يقول الأستاذ الأثري "فرانكفورت": ((إن منحوتات معبد تل عين دارا غير معروفة في الفن الآشوري. إن المنحوتات والآلهة والأسود التي ظهرت في تل عين دارا ومعبدها يغلب عليها طابع الفن الميتاني بامتياز))، ويقول الأستاذ (موريس دونان) رئيس بعثة التنقيب في موقع تل عين دارا في مقالة له في مجلة الحوليات السورية، باللغة الفرنسية عام ١٩٦٥م/ ما يلي: ((الإله الذي أكتشف في معبد تل عين دارا هو إله الجبال "تيشوب")، وحول الإله تيشوب يقول الأستاذ (انطون مورتكات) في كتابه "تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم" الصفحة ٤٩/ ما يلي: "تيشوب هو أحد ظهورات إله الطقس، وعبده بهذا الاسم الحثيون والحوريون - الميتانيون والآوراراتيون". وحول الجغرافية التي عبدت فيها الإله تيشوب،

ورد في كتاب الحوريون تاريخهم وحضارتهم لمؤلفه (جرنوت فيلهلم) ترجمة وتعليق الدكتور (فاروق اسماعيل) الصفحة ١٠٠ ما يلي: "كان يتمتع بالتفديس في إطار يتجاوز مكانه الرئيس حلب ويمتد من بلاد آسيا الصغرى إلى أوغاريت في الساحل السوري وحتى نوزي في منطقة شرقي دجلة ... وعُبدت كقرينةٍ لتيشوب حلب - إلهة سورية الشمالية خبات". تشير الدلائل الأثرية من اللقى والرُّقْم التي تم العثور عليها في الكثير من المواقع الأثرية في شمال غربي سورية إلى وجود معالم حضارية للحثيين كون هذه المنطقة كانت منطقة نزاعات شبه دائمة بين الحثيين والميتانيين الحوريين، وفي الكثير من الفترات التاريخية كانت منطقة صراع بين الفراعنة والحثيين تارةً، وبين الميتانيين والفراعنة تارةً أخرى، وعلى الرغم من أن شمال غربي سورية فيما بعد - أي بعد الميتانيين - خضعت لسيطرة الآشوريين، والفرس، والميديين في عهد الملك كي اخسار، إلا أن الحضارة الميتانية بقيت سائدة حتى أيام الغزو اليوناني إلى المنطقة.

الفترة اليونانية والرومانية

بعد أن اجتاز (ديمترئوس) جبال الأمانوس حوالي /٢٨٢ ق.م/ دمر المناطق الواقعة شرقي جبال الأمانوس، حيث تقول تقارير بعثات التنقيب في موقع جنديرس: "لا توجد مؤشرات أن جنديرس نالت نصيبها من هذا الدمار". ومن المعروف تاريخياً أن الملك الأرمني (ديكران) اعتلى العرش السلوقي سنة /٨٣ ق.م/ وذلك بعد سبعة من ملوك السلوقيين، وبعد نزاعات حربية والاستيلاء على العاصمة الأرمنية، تخلى ديكران سنة /٦٩ ق.م/ عن منصبه في سورية، وبذلك انتقل العرش إلى (انطيوخوس الثالث عشر)، في هذه الفترة تم تكليف (بومبايوس) من قبل الحاكم للمواجهة مع ديكران في المنطقة الغربية الشمالية، وكان الأرمن والكوماجيين والبارثيين والأنباط راضين عن (بومبايوس). في هذه الفترة اشتدت شوكة البارثيين الذين كانوا يشنون هجماتهم على مناطق شمال سورية، وأصبحوا مشكلة كبيرة لبومبايوس في شمال سوريا الحالية، فتوجه بومبايوس مع القيصر بوحداته العسكرية باتجاه الفرات ليتجاوز النهر عند (زويغما) ويقول (نوربرت كرامر): "وكان ذلك التقدم عبر جنديرس، وفي سنة /٥٣ ق.م/ اصطدمت جيوش بومبايوس مع البارثيين وكانت النتيجة هزيمة الجيش الروماني، وبعد سنة من انتصارهم توجه البارثيون بقطعاتهم العسكرية باتجاه الفرات بقيادة القائد (باكوروس)

فالتقى الجيشان في غرب جنديرس في معركة حاسمة لقي فيها الملك البارثي (باكوروس) حتفه، وكان ذلك سبباً لهزيمة الجيش البارثي عام ٣٨ ق.م/، وعُرفت هذه المعركة في التاريخ القديم بـ (موقعة جنديروس). بعد معركة جنديروس تسلم (أنطونيوس) زمام القيادة العليا في الجيش الروماني وقاد الجيش من أنطاكية إلى الشرق سنة ٣٦ ق.م/ للقضاء على البارثيين في شرق الفرات، ولكنه لقي من الخسائر بحجم خسائر البارثيين في موقعة جنديرس، وكانت هجماته على البارثيين غير مجدية، وأثبتت الدولة البارثية أنها الند للدولة الرومانية، وبقوا لفترة من الزمن محافظين على حدود دولتهم في شرق الفرات. يقول السيد نوربرت كرامر: "كان للحسم العسكري في جنديروس بُعد سياسي كبير، ومما لا يمكن قوله أنه في حالة النجاح من قبل البارثيين لكانت لديهم الرغبة الفعلية للاستيلاء على الرقعة السورية، ولربما حتى الساحل. إن هذا التصور ليس بالمستبعد وكانت بلا شك المكانة الرومانية قد تضععت بشدة. إن معركة جنديروس بين البارثيين والرومان كانت بمثابة خلخلة حاسمة للقرون القادمة".

من المعروف تاريخياً أيضاً أن الحدود الشرقية للدولة الرومانية كانت دائماً مسرحاً للأنشطة العسكرية، ففي عهد القيصر (نيرو) نشبت النزاعات من جديد مع البارثيين، فوضعت تحت أمره القائد الروماني (دوماتيوس) سبع فرق من الجيش عزز بها حدود الفرات للحد من هجمات البارثيين على مناطق غرب الفرات، في هذه الفترة زار نجل القيصر (تاتايوس) مدينة أنطاكية، وخلال سفره أقام في المدن التي مرَّ بها ألباباً ضخمة بمناسبة انتصار القيصر على البارثيين، وكانت جنديرس من تلك المحطات التي استفادت من مكرمة القيصر. في نيسان عام ١١٤م/ توجه (تريان) عبر جنديرس إلى المقاطعات الشرقية لمحاربة البارثيين.

ففي الثالث عشر من كانون الأول عام ١١٥م/ ضربت هزة أرضية قوية إقليم أنطاكية وكانت نتيجتها كارثية على جنديرس. وفي عام ١١٦م/ أغار (تريان) على الموطن الأصلي للبارثيين واحتل عاصمتهم، وبذلك أصبحت بلاد الرافدين تحت سيطرة الرومان، وبعد موت تريان عام ١١٧م/ أعلن هادريان - الذي كان يشغل منصب القائد الأعلى للقوات المتمركزة في الشرق - نفسه قيصراً، وجرت مناوشات بينه وبين البارثيين من جديد كانت نتيجتها التراجع عن المناطق التي احتلها تريان واعترف بالفرات كحد مع دولة البارثيين. في عام ١٦١م/ حاول البارثيون من جديد التوجه نحو الغرب عبر

الفرات ولكن حققت القوات الرومانية نجاحات في السنوات /١٦٣-١٦٤م/ وعُين على مناطق البارثيين حاكم روماني. في عام /٢٢٧م/ تمكن الملك (أزدشير) من إزاحة الملك البارثي، وذلك في معركة حاسمة، إذ تطلع (أزدشير) إلى السيطرة الإقليمية والوصول إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً. في عام /١٣١-١٣٢م/ انطلقت القوات الرومانية من أنطاكية باتجاه الفرات ولم يتحقق أي نجاح على جيوش أزدشير، حيث بدأ الجيش الساساني بالتقدم إلى مناطق غرب الفرات من عدة مسارات، من الجنوب كان عبر (تدمر)، ومن الشمال اتجهت عبر (جنديرس) و(أرمناز) إلى (سلوقية)، ويقول السيد نوربرت كرامر: "في هذه الحرب أدرجت مدينة جنديرس ضمن المدن التي وقعت تحت سيطرة الساسانيين، وذلك في النقش الكتابي لشابور ملك الساسانيين. خلال هذه الفترة تعرضت جنديرس إلى كارثة حريق، ويحتمل أنه حدث على الأغلب في عام /٢٥٣م/ في عهد الملك شابور وتسبب في إبادة كبرى للسكان". ما يؤكد حادثة الحريق في جنديرس تقارير بعثة التنقيب التي عملت في جنديرس حيث ورد فيها: "إن وجود طبقة من الرماد بسماكة /٥سم/ في كافة المقاطع الجانبية في الحفرية الكبيرة لأساسات البريد الجديد في جنديرس التي تتجاوز /٢٠/ متر*، تشير إلى احتمال حدوث حريق غطى على الأقل مساحة /٢٤٠٠/، والأمر الذي يؤكد أن الحريق تم في عهد الملك شابور هو العثور على نقد في طبقة الحريق يعود إلى السنوات /٢٥١- ٢٥٣م/" حين اعتلت (زنوبيا) حكم تدمر عام /٢٦٨م/ تقدمت الجيوش التدمرية عبر يهودا باتجاه مصر، وأدرجت سورية ضمن الدولة التدمرية ومنها جنديرس. تحرك (أدرليان) سنة /٢٧٢م/ بهجوم إلى الشرق فتمركز الجيش التدمري غربي بحيرة العمق والتقى الجيشان قرب جنديرس، تمكنت فيها القوات الرومانية من تحقيق النصر، حيث تراجعت (زنوبيا) باتجاه الجنوب، وكانت الواقعة الأخيرة من الأحداث النهائية السياسية لتدمر. في عام /٥٤٠م/ خرق الملك (خسرو) اتفاقية السلم مع (جوستنيان)، وتقدم مباشرة وعلى امتداد الفرات باتجاه الغرب عبر عدة جبهات إلى أن وصل إلى (هيرابوليس) ثم وصل إلى (بيروا) - حلب حالياً - إلى أن حاصر مدينة أنطاكية، أما من الشمال فقد وصلت جيوشه إلى مدينة (سيروس) - نبي هوري حالياً - ومنها توجهت إلى جنديرس التي أخذها دون أية مقاومة. في عام /٥٦٢م/ وقع اتفاق هدنة لمدة خمس سنوات بين خسرو والرومان، وبعد أن مات خسرو نتيجة للمقاومات الداخلية وقعت اتفاقية سلام بين (هرقل) و

(قبادس) سنة ٦٢٨م/ وبموجب هذه الاتفاقية بقيت جنديرس خارج السيطرة الرومانية، وبعد انتصار الجيش الإسلامي في معركة اليرموك عام ٦٣٦م/ ودخوله إلى مدينة أنطاكية عام ٦٣٧م/، توجه إلى مدينة (قورش) - نبي هوري حالياً - عبر جنديرس.

وبالتالي يمكن القول بأن الفترة الحورية - الميتانية، الحثية والميدية كانت تتسم بطابع السكان الأصليين للمنطقة، أما الفترات التي لحقت ذلك فقد كانت تتسم بالسماوات الجديدة التي فرضها الطبقة السياسية الحاكمة، خاصة من قبل اليونان والرومان والبيزنطيين وغيرهم، مع التأكيد على بقاء السكان الأصليين خلال كل الفترات التاريخية المتعاقبة متواجدين في أرضهم.

ازدهار جنديرس في الفترة الرومانية

تؤكد تقارير بعثة التنقيب في موقع جنديرس بأنها كانت في أوج ازدهارها خلال الفترة الرومانية، ولعل من أهم اللقى الأثرية التي تؤكد نظرية ازدهار جنديرس خلال العصر الروماني الأوسط هو كنز النقود الفضية وأواني الطبخ الفاخرة التي تم العثور عليها في الموقع، وما يدعم نظرية ازدهار جنديرس خلال الفترة الرومانية أيضاً هي اللقى الزجاجية المتطورة الصنع والتي تعود إلى العصر الروماني، ويشير كل ذلك إلى أن جنديرس كانت تعيش حالة رخاء عام خلال الفترة الرومانية. إلى جانب ما ذكرناه يتبين ذلك الرخاء من خلال منشأة الحمام والتليس بالرخام والرسوم الجدارية والأرضية الفسيفسائية، ولأهمية جنديرس من الناحية الاقتصادية والعسكرية كانت الفرقة الرومانية العاشرة بقيادة (كيروس) تعسكر في حالات استثنائية في الموضع المحمي في جنديرس، وأحياناً أخرى في منطقة (سيروس).

في عام ٣٧٩ - ٣٩٥م/ أنشئ في جنديرس سور لحماية المدينة وكذلك العديد من العناصر المعمارية ذات القيمة العالية، هذا ما أكده (مالالاس). ويؤكد نوربرت كرامر في كتابه جنداروس قائلاً: "إن استخدام جنديرس للأدوات عالية الجودة والتمينة مثل الأواني الزجاجية والأسرجة وغيرها في الفترة البيزنطية لهو دليل على رخاء المدينة"، ويتابع أن جنديرس كانت في أوج ازدهارها خلال القرنين الرابع والخامس للميلاد. حيث يذكر (ثيودورث) أسقف سيروس في القرن الخامس الميلادي الموقع عدة مرات في رسائله، وكان يشبه جنديرس بالمدينة المزدهرة، علماً أنها لم تكن مدينة في ذلك الحين، والأكثر أهمية مما سبق، أن (ثيودورث) وضع سيرة حياته المقدسة

وسمّاها جنداروس. وعلاوة على كل ذلك فإن جنديرس خلال النصف الأول من القرن الرابع كانت بمكانة قيادية محلية في منطقة ما بين سيروس و أنطاكية.

العبادات القديمة والديانة المسيحية في جنديرس

الطقوس الدينية والعبادات لدى الشعوب القديمة كانت بدائية، حيث كان الإنسان يتأمل كل ما حوله من قوى الطبيعة مثل: (الشمس، القمر، البرق، العواصف، الجبال) وغيرها، ويتخذ بعضاً من تلك القوى آلهة يعبدها ويعمل لاسترضائها والتقرب منها، وذلك بتقديم الضحايا والقرابين لها، وليس من الصعوبة أن نثبت بعضاً من المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في جنديرس في الفترة التي سبقت وصول المسيحية إليها، وما يسهّل ذلك هو أنه خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وحتى وصول (الميديين) إلى منطقة شمال غربي سورية، كانت الحضارة الحورية - ميثانية هي السائدة فيها، ولاشك أن الطقوس الدينية الحورية الميثانية كانت سائدة في سائر المدن والممالك التي كانت ضمن حدودها، ومن ضمنها مدينة (أكرو) أي جنديرس. يقول الأستاذ (انطون مورتكات) ما يلي: "يستنتج من الفن المصور لمنطقة شمال ما بين النهرين وشمال سورية عموماً أن الحياة الدينية للشعب الحوري قد احتلت مكانة هامة في هذه المناطق، وخلال النصف الأخير من القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانت الطقوس الدينية الحورية - ميثانية منتشرة من الحدود الإيرانية شرقاً وحتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط غرباً، وإن أبرز إله حوري - ميثاني كان يعبد هو الإله (تيشوب - إله الجبال)، حيث إن تماثيل هذا الإله يكون نصفه السفلي (جبل) ونصفه العلوي (بشر) ويحمل بكل من يديه غصناً، وأحياناً أخرى يظهر على هيئة الرجل بالتتورة الحرشفية يحمل غصني نبتة". حيث عثر على تماثيل هذا الإله الحوري - الميثاني في كل من معبدي تل عين دارا، وتل عطشانة (الالاخ) القريبيين من جنديرس.

وعلى الرغم من أن منطقة شمال وشمال غرب سوريا كانت تخضع للحثيين في بعض الفترات، إلا أنه كان من تقاليد الحثيين أن يبقوا على العقائد الدينية لسكان الممالك التي يفتحونها، ويضموا آلهتهم إلى هياكل هذه الممالك، وبعد أن سقطت عاصمة الآشوريين نينوى بيد الميديين عام / ٦١٢ ق.م/ تابع الجيش الميدي زحفه باتجاه الغرب حتى وصل إلى مدينة (أكرو) - جنديرس حالياً - وتل عطشانة (الالاخ)، وخلال فترة وجودهم في منطقة شمال غربي

سورية كانت طقوسهم الدينية هي السائدة في سائر المدن ومنها مدينة أكر، وكان من أبرز الآلهة الميدية هو الإله (ميثرا)، وخلال أعمال التنقيب في موقعي الآلاخ وجنديرس تم العثور على تمثال للإله (ميثرا) الميدي، وعدد من الدمى للإلهة (عشروت) المعروفة بـ (عشتار)، وهذا دليل على أن الطقوس الدينية الميدية للإله (ميثرا) كانت سائدة في جنديرس إلى جانب الإلهة (عشروت) خلال النصف الأخير من الألف الأول قبل الميلاد أيام، فترة حكم و وجود الميديين في المنطقة. تؤكد أيضاً تقارير بعثة التنقيب في تل (عين دارا) القريب من جنديرس أنه تم العثور على تمثال للإله ميثرا في الموقع.

أما خلال الفترتين اليونانية والرومانية يقول السيد (نوربرت كرامر): "أثبت الموقع بأنه تغلب في جنديروس الثقافة اليونانية - الرومانية، وذلك بالاعتماد على نتائج التنقيب واللقى الأثرية للآلهة المقدسة مثل دمية برأس (ديونيزوس)، ودمى لـ (أفروديت) في تل جنديرس، ووجود معابد وثنية مدشنة باسم (زيوس) في المنطقة التي تشير إلى غلبة عبادة الإله (زيوس) في محيطه المباشر ومنها جنديرس". حيث أهم معبد مدشن باسم الإله زيوس يقع على قمة جبل (شيخ بركات) في الجهة الجنوبية الشرقية من جنديرس.

الفترة المسيحية

نظراً لملاحقة المسيحيين من قبل القائمين على شؤون الإمبراطورية الرومانية، فقد أخذت حركة التنصر في شمال غرب سورية بالتقدم ببطء وخاصة في الأقاليم الريفية، وحتى عام /٣١٢م/ كانت هناك تطلعات لطرد المسيحيين من مدينة أنطاكية التي كانت تتبعها جنديرس في تلك الفترة، ولكن حين استلم الإمبراطور (قسطنطين ابن هيلانة الرهاوية) مقاليد الحكم في الإمبراطورية، شرع بالحرية الدينية للمسيحيين، وقد تحقق اعتناق شمال سورية لها بأفضل صورة في الكتلة الكلسية (جبل ليلون)، وتبعاً (لتشالينكو) الذي عمل في مجال البحث والتنقيب في الكتلة الكلسية خلال السبعينات من القرن العشرين، فإن النقش الكتابي المسيحي الأقدم يعود إلى سنة /٣٣٩م/ والنقش الوثني الأخير يعود إلى سنة /٣٦٧م/، وسنرى أن لجنديرس في هذه الفترة من قيام المسيحية في المناطق الريفية أسقفاً مستقلاً، وهذا يدعو إلى الافتراض بأن الموقع - أي جنديرس - تأثر بدور كبير بإطار التبشير في المناطق المحيطة للكتلة الكلسية. وحين تشكل المجلس الملي الأول في عام

٣٢٤/ - ٣٢٥م/ من أجل تعيين الأساقفة، تم تعيين الأسقف (بتروس) في جنديرس، وحدث في عام /٣٤١م/ مجمع في أنطاكية أطلق عليه مجمع (التدشين الكنسي)، وكان الموضوع الأساسي في هذا المجلس هو تحديد المواقع التي ينحدر منها الأساقفة، وتبين أن قرابة /٩٠/ أسقفاً وجدوا في جنديرس، وبعد منتصف القرن الرابع الميلادي حين تأكد بأن نسبة المسيحيين لم تتناقص في جنديرس ألغي المقر الأسقفي فيها، وأصبحت جنديرس تابعة أسقفياً لأنطاكية، وهذه كانت خسارة لجنديرس كونها خسرت مرتبة دينية هامة، وبهذا أصبحت جنديرس تعرف بـ (كومه: Gome - أي بمعنى البلدة). وبهذا لم تظهر جنديرس ثانية في المجلس الرعوي في القسطنطينية سنة /٣٨١م/. يقول السيد نوربرت كرامر بهذا الخصوص: "إن المقر الأسقفي في جنديرس وقع ضحية للإجراءات الصارمة الدقيقة من جانب الكنيسة حيال الأساقفة الذين كانوا يعملون في الأقاليم والمواقع دون مستوى المدينة، وإن الأسقف (بتروس) المعروف من جنديرس قد وافته المنية بعد زمن قصير من اتخاذ تلك القرارات الصارمة بعد أن قضى /١٦/ سنة كأسقف في جنديرس".

شبكة الطرقات والتجارة

كانت شبكة الطرقات متصلة بين جميع الحواضر القديمة في شمال غربي سورية وخاصة في الفترة (السلوقية) وما تلتها، وكانت من أهم الطرق التي تصل أنطاكية بالحواضر في الجهة الشمالية الشرقية منها تعبر من مدينة (سيروس)، نظراً لأهميتها الإستراتيجية من الناحيتين التجارية والعسكرية في ذلك الحين، ونظراً للمسافة الطويلة بين أنطاكية وسيروس والتي تبلغ ما يقارب الـ /١٠٠/ كم/ كان لابد من محطة لاستراحة القوافل التجارية بين الحاضرتين، فكانت هذه المحطة في جنديرس كونها تقع في منتصف الطريق الذي كان يصل المدينتين ببعضهما البعض. كان هذا الطريق يمتد نحو الشمال الشرقي يعبر نهر عفرين قرب مدينة عفرين الحديثة، ثم كان يمتد شرقي النهر ليعبر من خلال الجسور المقامة على نهر عفرين و(سابون سي) في أوائل الفترة السلوقية، ومن خلال تلك الجسور كان الوصول إلى مدينة (سيروس) ومنها كانت الطرق تتجه نحو (جراپلس) و(منبج) وغيرها من الحواضر الفراتية. ورد في كتاب (نوربرت كرامر): "إن جنديرس كانت دائماً قادرة على التموين الذاتي من المواد الغذائية المختلفة، وتصنيع أدواتها الفخارية من الأواني والسرّج وخاصة قرميد الأسقف ولم تكن تستوردها، بل

إنها كانت تصدر الفائض منها إلى أنطاكية". وتؤكد الدراسات الأثرية وخاصة من قبل (جورج تشالينكو) و (جورج تات) أن جنديرس كانت مركزاً لسوق وتجارة زيت الزيتون التي كانت تنتج بكميات كبيرة في الجزء الشمالي من الكتلة الكلسية - أي منطقة جبل ليلون - خلال القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السادس الميلادي.

ومن البضائع التي كانت جنديرس تستوردها هو الزجاج الفاخر وبعض من السلع المعدنية والنبيد العالي الجودة، أما النبيد العادي فقد كان يصنع محلياً. أما بعض الأصناف من مرق السمك وغيرها من السلع الكمالية مثل الحرير والتوابل وغيرها كانت تأتي بها من أنطاكية.

كانت جنديرس تقوم بوظيفة زراعية هامة ألا وهي زراعة الحبوب، وذلك للمشاركة في التموين وتزويد أنطاكية بهذه المادة الأساسية، لأن أراضيها السهلية الفسيحة والخصبة كانت ملائمة بشكل جيد لزراعة الحبوب، وإلى جانب الحبوب كانت الزراعة تشمل العنب وبعض أنواع الفواكه.

جنديرس اليوم

بلدة جنديرس هي اليوم مركز ناحية تابعة إدارياً لمنطقة (عفرين)، وتتبعها ٦٢/ تجمعاً سكانياً منها ٣٣/ قرية و ٢٩/ مزرعة. المساحة الاجمالية حسب مديرية الزراعة تبلغ /٣٢٥.١٠/ كم ٢. ارتفاعها عن سطح البحر /٢٣١/م. بلغ عدد سكان جنديرس بموجب قيود السجل المدني لعام ٢٠٠٥م ٦٠٦٢٢/ نسمة، منهم /٣٠٤٤٢/ إناث و /٣٠١٨٠/ ذكور.

يتمتع سهل جنديرس بالتربة الرسوبية (الفيضية) التي تكونت خلال حقبة طويلة مما حملته السيول والأنهار من أتربة وحصى وأملاح معدنية، وأكاسيد ومواد عضوية، تفسخ بعضها مع بعض فاغتنت بالمواد المغذية للنباتات وتكونت بذلك بنية الأرض الزراعية الخصبة. تعتبر ناحية جنديرس من أهم مناطق الإنتاج الزراعي في منطقة عفرين (جبل الكردي)، ومن أهم المحاصيل الزراعية التي تغلها سهل جنديرس هي (زيت الزيتون)، وهي تحتل المرتبة الأولى في زراعة أشجار الزيتون في منطقة عفرين بالمقارنة مع باقي النواحي، حيث توجد فيها /٣٦/ معصرة زيتون منها /٢٢/ تعمل على نظام الطرد المركزي و /١٥/ مكبس بالإضافة إلى معمل واحد للمرجوم.

يأتي بعد زيت الزيتون الحبوب والشوندر السكري والكرمة والسّمسم، مع بقية أصناف الخضار والفاكهة. حتى الثلث الأخير من القرن العشرين

الميلادي كان ينتج من سهل جنديرس أنواعاً جيدة من البطيخ بنوعيه (الأحمر والأصفر)، كما ينتج سهل جنديرس أنواع جيدة من (التبغ)، ومن القرى التي تشتهر بزراعة التبغ في ناحية جنديرس هي قرية (جلمة).
تتمتع ناحية جنديرس بنشاط اقتصادي هام في منطقة عموم منطقة عفرين، خاصة في تجارة زيت الزيتون، إذ توجد فيها أكبر المشاتل لغراس الزيتون. كما توجد في جنديرس سوق أسبوعية تقام كل يوم اثنين، تعرض فيه جميع المنتوجات الزراعية والحيوانية وغيرها من السلع. هذا وتضم مدينة جنديرس المئات من المحال التجارية التي تتعامل بمختلف أصناف البضائع. هذا وتشهد البلدة حركةً عمرانية نشطة بسبب الهجرة المستمرة من القرى التابعة لها. وفي الجهة الغربية من البلدة وعلى مسافة /١٠/ كم تقريباً يقع موقع سياحي ترفيحي هي حمامات للمياه الكبريتية، في قرية (حمام)، الواقعة على الحدود الدولية التركية - السورية.

أخيراً يمكن القول أن المستوى التعليمي في جنديرس جيد، إذ يوجد في مركز البلدة خمسة مدارس تعليمية للمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية بفروعها علمي والأدبي وكذلك الفنون.

إنها جنديرس .. نعم إنها جنديرس مهد التاريخ والحضارة في غربي كردستان، فيها كل التاريخ والحضارة، وهي روضة من رياض الجمال الطبيعي بكل معانيها، بسهلها الفسيح هي غابة خضراء من الزيتون العفريني على مد النظر، وفي محيط هذه الغابة الزيتونية تتربع العشرات من القرى الكردية التي لكل منها قصة مع التاريخ والحضارة عبر التاريخ البشري الطويل، وقد تكون لنا عودة إلى أهم قراها.

المصادر والمراجع:

١- نوربرت كرامر. تعريب أ. محمد سالم قدور. إعداد: د. آزاد حموتو. جنداروس في شمال غربي سورية، أبحاث تاريخية وأثرية حول تاريخ الإستيطنان في العصور الهلينيستية والرومانية والبيزنطية. مطبوعة خاصة غير مخصصة للبيع، موضوعة في مراكز البحث العلمي في كل من سورية

وألمانية. واتخذت هذا المرجع كمرجع أساسي لهذا البحث وخاصة بما هو متعلق بالناحية الأثرية كون المؤلف والمعد عملا ولا يزالان يعملان في موقع جنديرس .

٢- انطون مورتكات. تعريب وتحقيق الدكتور توفيق سليمان. تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم. طبعة أولى - ١٩٨٥م. دار المجد النشر والخدمات الطباعية.

٣- مروان بركات. عفرين عبر العصور. بحث جيولوجي، تاريخي، جغرافي، أثري موثق. دار عبد المنعم - ناشرون، حلب سورية. الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٤- جرنوت فيلهلم. ترجمة وتعليق الدكتور فاروق اسماعيل. الحوريون تاريخهم وحضارتهم. دار جدل، حلب سورية.

٥- الحوليات الأثرية السورية. المجلد الخامس عشر الجزء الثاني ١٩٦٥م. مقالة بعنوان "حفريات أثرية في عين دارا" بقلم الأستاذ فيصل الصيرفي، المقال مترجم عن الفرنسية.

٦- الخوري أنطون الدويهي. ناسك القورشية. سلسلة الشهود، منشورات المكتبة البوليسية بيروت لبنان.

٧- المقطف العدد /١/ يوليو عام ١٩٣٨م. حضارة الميتانيين بقلم قيصر الصادر.

٨- المقطف العدد الصادر في يونيو عام ١٩٣٨م. مقال بعنوان "الحضارة الميتانية" الصفحة ٤٤.

٩- ابن الأثير. الكامل في التاريخ. المجلد الرابع. دار صادر بيروت ١٩٧٩م.

١٠- الدكتور توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، من أقدم العصور إلى عام /١٩٠٠ق.م/، دار دمشق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

عن "تل أبيض" وإشكالية التسميات العربية - الكردية

بدرخان علي

"تل أبيض" منطقة سورية تتبع إدارياً محافظة الرقة وتقع في شمالها بحوالي 100 كيلومتر، على الحدود السورية الشمالية مع تركيا. تركيبها السكانية اليوم أكثر من النصف عرب، وحوالي ٣٠% إلى ٤٠% كرد، وتوجد أقلية تركمانية صغيرة جداً ومثلها أرمنية فيها. أي هي منطقة عربية- كردية - أرمنية- تركمانية مختلطة مثل الكثير من المناطق السورية في الجزيرة وغيرها.

تسمية "تل أبيض" نسبة لتل أثري، وهي تسمية حديثة لها من العمر أقل من قرن من الزمان. مثل المدينة الحديثة نفسها. وأنا استخدم هذا الاسم "العربي" وليس الترجمة الكردية للاسم "كري سبي" لعلمي أن أهل المنطقة الأكراد أنفسهم يستخدمون تسمية "تل أبيض" دون حرج. إلا مؤخراً بدأ الترويج للتسمية الكردية "كري سبي" لمحاولة التأكيد على "كردية" المنطقة أو التواجد الكردي فيها وهذا خطأ برأيي. لكن هناك بالفعل تسميات كردية بحثة موجودة قبل إطلاق تسمية "تل أبيض" الرسمية، تطلق على تلال ونقاط علامة ضمن المنطقة نفسها مثل اسم "بوزاني" الذي يطلق الكهول الأكراد على ناحية "عين عيسى"، أو نقطة تابعة لها، التابعة لمنطقة "تل أبيض" جنوبي غربها بحوالي ٣٠ كلم. بما معناه أن تسمية "تل أبيض" العربية الرسمية لا تنفي الوجود الكردي إلى جانب العربي في المنطقة كما قد يستنتج البعض. لكن هذا الخطأ الذي يرتكبه النشطاء الكرد مؤخراً ينبغي ألا ينسحب على قضايا أخرى مثل حقيقة الوجود الكردي في المنطقة، أو أن يعني ذلك أن تل أبيض "منطقة عربية" بحثة ليس فيها أكراد.

ومن المهم القول أنه كان للأرمن دوراً رئيسياً في مدينة تل أبيض الناشئة حديثاً في أوائل القرن المنصرم، فالمنطقة التي سميت حديثاً بـ"تل أبيض" والتمتادية مع ريف عين العرب - كوباني من جهة الغرب (المسافة بين تل أبيض

وكوباني حوالي ٨٠ كلم)، ورأس العين- سري كانيه في محافظة الحسكة من جهة الشرق، هذه السهول الواسعة كانت لقرون متواصلة، وقبل ترسيم الحدود السورية التركية بكثير، غير مسكونة بشكل مستقر ومزمن، إنما ارتحال شبه دائم للقبائل الرحل العربية والكردية والتركمانية، سيما بعد تدمير معظم المدن والمراكز الحضرية في الجزيرة السورية بعد هجمات المغول المتلاحقة على المنطقة، وكانت الصراعات والتحالفات تجري بدوافع المصالح المعيشية والصراع على الموارد والهيمنة الشخصية والزعاماتية والقبلية، ولم تكن صراعات قومية بمفهوم اليوم، عرب متحالفين مع أكراد ضد عرب متحالفين مع أكراد. حصل ذلك أكثر من مرة في الجزيرة السورية. كما حصل تعريب لعوائل وأسر كردية، وتكريد لعوائل عربية الأصل، وتعريب وتكريد للعديد من القبائل التركمانية على مدار القرون الماضية في هذه المنطقة المختلطة إثنياً ودينياً.

كردياً كانت منطقة "تل أبيض" وخصوصاً جانبها القريب من كوباني - عين العرب، مجالاً حيويّاً لأهم تجمعين كرديين كبيرين بارزين ومتنافسين بنفس الوقت في هذه المنطقة، وهما "البرازية" وهو تحالف عشائري كردي مُهيمن في المنطقة وما زال إطاراً قبائلياً لمعظم السكان الكرد في المنطقة المشاركة حتى اليوم. في الواقع كان ثقل البرازية في منطقة عين العرب -كوباني القريبة من تل أبيض ويبدو أن العديد من الأسر والعوائل انتقلت إلى تل أبيض من عين العرب- كوباني في وقت ليس منذ أمد بعيد. وبحسب الباحث "جوردي غورغاس تيجيل" المتخصص في شؤون أكراد سوريا فإن "الكرد سيطروا في أوائل القرن السابع عشر الضفة اليسرى من الفرات وبعض أراضي من الضفة اليمنى، وذلك بعد تهجير السلطان لهم وتشكل على هذا النحو "التجمع البرازي الكردي" الذي كان يضم في الواقع جماعات متنوعة، بعضها يدعي الأصل العربي. كان البرازيون قبل وصول الفرنسيين وترسيم الحدود التركية السورية، يمارسون البداوة بين سهل سروج وجرابلس وهي منطقة جبلية نسبيّاً^(١).

مدينة سروج التي هي مركز سهل سروج المتماذي على جانبي الحدود بين سوريا وتركيا، كانت مركز "التحالف البرازي" وتقع خلف الحدود التركية، وتبعد عن شمال عين العرب- كوباني بـ ٨ كلم. يورد المؤرخ أحمد وصفي زكريا في كتابه الشهير "عشائر الشام" الذي نشر طبعته الأولى عام ١٩٤٥م، معلومات عن البرازية تفيد في معرفة مناطق انتشارهم في هذه المنطقة، أي في عين العرب- كوباني وريف الرقة.. ويخصص المؤرخ فرعاً من الاتحاد القبلي البرازي وهو "الشدادان" بمايلي:

الشدادان: أكراد من فرق البرازية..ولهذه الفرقة فخذ اسمه أوخ، ومن هنا كان اسم الفرقة شداد وأوخ، وتعد نحو ٣٠٠٠ نسمة ومثل هذا العدد منها في ناحية (تل أبيض) التابعة قضاء الرقة، إلا أن أكثر شداد وأوخ لا يزال داخل الحدود التركية، أما أماكنهم ففي شرقي قضاء عين العرب، وهم متصلون مع بقيتهم الموجودين في ناحية تل أبيض وهم ينجعون في فصل الربيع بوادي الرقة ويملكون نحو عشر قرى، وعندهم ٨٠٠٠ شاة، ونحو نصف لك من بقية الحيوانات (2).

التجمع الثاني هو "الاتحاد القبلي الملي" الذي أدى أدواراً تاريخية وسياسية بالغة الأهمية والخطورة في تاريخ شمال سوريا وبلاد الشام وكردستان بدءاً من القرن ١٦ من عمر السلطنة العثمانية، حيث شمل نفوذه التحالف الملي المنطقة الواسعة بين مناطق دياربكر، ماردين عامودا، رأس العين، أورفا، الرقة وحتى حلب، بدءاً من القرن ١٨م . أي بما يشمل بالطبع منطقة "تل أبيض" الحالية. "الاتحاد القبلي الملي" المكوّن من تحالف متنوع إثنياً- عشائر كردية وعربية وتركمانية- ودينياً وطائفيّاً مسلمين مسيحيين إيزيديين، بقيادة عائلة من عشيرة "ملان Milan" الكردية التي كانت نواة الحلف وقيادته. كان نموذجاً مميزاً من التشكيلات القبلية. عاصمة هذا الاتحاد القبلي الملي كانت مدينة "ويران شهر" التاريخية مركز عشيرة "ملان" الكردية الواقعة ضمن الحدود التركية حالياً، وهي لا تبعد سوى خمسين كيلومتراً عن مدينة رأس العين- سري كانيه السورية، وحوالي ١٢٠ كلم عن معبر تل أبيض على

الحدود السورية التركية. هذا الاتحاد الذي كان على تحالف وثيق مع المركز العثماني في منفعة متبادلة بين الطرفين، حيث استفاد العثمانيون من قوة هذا التحالف وانتشاره في التصدي لهجمات البدو "عنزة، طي، شمر" من الجنوب، و تم تشكيل "الفرسان الحميدية" لمؤازرة السلطنة العثمانية في حروبها. واستفاد قادة الحلف "عائلة إبراهيم باشا الملي الكردي" في ترسيخ نفوذهم واستملاك أراضي واسعة في السهول الممتدة في المنطقة المشار إليها ضمن سياسة "الاستيطان العثمانية" لهذه المنطقة شبه الخالية من السكان، وفي شمال سوريا خصوصاً بين رأس العين- سري كانيه وحتى تل أبيض وجرابلس، وفي الرقة أيضاً، حيث صار تيمور بك الملي والياً على مدينة الرقة التي كانت تتبع ولاية أورفا العثمانية في عام ١٨٠٠م.^(٣) إن الأراضي الشاسعة العائدة ملكيتها لعائلة "إبراهيم باشا المَلِّي" بين منطقة راس العين وتل أبيض وريف الرقة تم الاستيلاء عليها من قبل الحكومة في عهد الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨م، ووزعت على مواطنين معظمهم عرب، وكذلك أراضي عائلة "آل كردو" في تل أبيض على سبيل المثال، العائلة الخيرة خسرت مساحات كبيرة. ومن المفهوم أن تتم ترجمة هذه العملية كردياً على أنها تعريب سياسي وديمغرافي وليس عملية "إصلاح زراعي"

٢- التسميات الكردية والعربية

الكرد، بحكم الدين الإسلامي بما يتضمن ذلك من تعامل يومي مع اللغة العربية، والمجال الثقافي المشترك مع العرب والغياب شبه الكامل للمدونة اللغوية الكردية طويلاً لأسباب عديدة، كانوا يطلقون التسميات العربية على أولادهم ومناطقهم طيلة قرون. عشرات القرى الكردية في مناطق كردية لها مسميات عربية تبدأ ب "تل" و "عين"، "أبو" أو "أم". لم يبدأ الانحياز الواضح نحو التسميات الكردية البحتة إلا في العقود الأخيرة مع تصاعد المد القومي الكردي في المنطقة. وفي حالة "تل أبيض" لا أعني أن الأكراد هم الذين أطلقوا تسمية "تل أبيض" على المنطقة، بل أقول أن التسميات العربية شائعة جداً ومفهومة في الوسط الكردي ولا معنى للبحث عن اسم كردي بدل التسمية

العربية الأصلية. في العقد الأخير بدء نزوع كردي نحو الابتعاد عن المسميات الرسمية "العربية" للمدن والمناطق. وهي قد تكون تسميات أصلية فعلاً، وقد يكون من أطلقها هم الأكراد أنفسهم. من جهة أخرى هذا النزوع "التكريدي" أي الابتعاد عن التسميات الرسمية، هو من أعراض الاغتراب الوطني السوري كردياً، وفشل تحقيق وطنية سورية شاملة. لكن بسبب الشعبويّة والسياسويّة المفرطة للخطاب القومي الكردي ترى أن بعض ممثلي هذا الخطاب من نشطاء سياسيين أو مثقفين يرتكبون أخطاء فاضحة وتجاوزات منطقية لا يمكن القبول بها تحت أي حجة. نشرت مقالاً حول هذا الموضوع من حوالي عشرة سنوات، وتلقيت انتقادات كثيرة من محيطي الثقافي قبل السياسي، قلت فيه عن مثال قامشلو- قامشلي أن البعض يظن أنه "كلما ابتعدنا عن التسمية الرسمية للمدينة كان ذلك اقتراباً من الحقيقة القومية الأصلية". وانتقدت أكثر من مرة هذا، الميل والرغبة مثل الإصرار الخاطيء على أن كلمة القامشلي هي "تعريب" لكلمة قامشلو، وهذا غير صحيح. المدينة حديثة جداً عمرها أقل من قرن من الزمان واسمها كذلك. اللفظة الأخيرة "قامشلو" هي بالفعل طريقة لفظ قسم كبير من سكان المدينة وريفها لاسم مدينتهم، لكنها ليست الاسم "الكردي الأصلي" للمدينة.. بل بالعكس، كلمة "قامشلي" أكثر تماشياً مع الصرف اللغوي الكردي. حيث أن كلمة قاميش هي كلمة تركية - على الأغلب- أو كردية - احتمال أضعف - تعني القصب الذي ينمو على ضفاف الأنهار (هنا نهر جججغ الذي ينبع من شمال المدينة ضمن الحدود التركية). و"لي" لاحقة كردية تفيد "في" أي تصبح المدينة التي "فيها القصب". أو قد تكون الكلمة من اشتقاق تركي على وزن "دياربكرلي، اسطنبولي...". لا يمكنني الجزم. في الوثائق الفرنسية إبان الانتداب الفرنسي ترد المدينة باسم "قامشلية". وهناك تسمية "رأس العين" كمثال آخر. يجري القول هنا أن تسمية "رأس العين" هي تعريب (وأحياناً يقال "تعريب بعثي"!) لكلمة "سري كانيه" الكردية التي تأتي بنفس المعنى بالضبط. وهذا غير صحيح على الإطلاق. تسمية "رأس العين" قديمة جداً من قرون ومذكورة في كتب البلدانيين والرحالة (مثل ياقوت الحموي). أهل المنطقة الأكراد يلفظونها بكل بساطة سري كانيه بالكردية (أي

دون تكلف) ما يعني أن التسمية الكردية قديمة أيضاً، وليس تكريداً للاسم العربي. هناك داخل الأراضي التركية مدينة في مقابل رأس العين -سري كانيه السورية، معظم سكانها أكراد يلفظونها "سري كانيه" ورسمياً تسمى بـ "جیلان بینار". ما يرجح أن الاسم الكردي أيضاً دارج وغير مصطنع وليس تكريداً للاسم العربي. ولا الاسم العربي القديم هو "تعريب" للاسم "الأصلي" الكردي. وهذا معقول لأن الاسم في الحالتين جاء نسبة للعيون (الينابيع) الموجودة في المنطقة وبطبيعة الحال يميل الناس إلى تسمية مناطقهم بأشياء مميزة في الطبيعة أو في محيطهم الجغرافي. لكن هذا شيء مختلف عن القول أن اسم المدينة أو المنطقة جرى تعريبه لـ"رأس العين". أظن أن هذا المسعى السياسي الواضح يسيء لمصادقية الخطاب الكردي، فهناك في الواقع عشرات القرى بل المئات من الأسماء الكردية جرى تعريبها بالفعل خلال العقود الماضية. مثل مدينة "ديرک" في أقصى شمال شرقي سوريا (منقار البط كما تسمى تلك الزاوية في المثلث السوري التركي العراقي (التي جرى تعريبها إلى "المالكية". أو "جل آغا" التي عُرِّبت إلى "الجوادية" وهناك عشرات الأمثلة وربما المئات عن عمليات تعريب مؤكدة للأسماء الكردية أو ذات دلالات كردية.

هوامش ومراجع

- (١) جوردي غورغاس، الحركة الكردية التركية في المنفى، ترجمة جورج البطل، دار الفارابي، بيروت ط ١ آذار ٢٠١٣، ص ٥٢-٥٣
- (٢) أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر ط ٢ دمشق ١٩٨٣، الجزء الثاني، الصفحات ٦٧٠-٦٧١-٦٧٢.
- (٣) بعض المعلومات الواردة هنا بخصوص المثلثين مستقاة من دراسة د.آزاد أحمد علي بعنوان "الدور السياسي لعائلة ابراهيم باشا المليلي في غرب كردستان وشمال بلاد الشام" صدرت عن المعهد الفرنسي للشرق

الأدنى باللغة الفرنسية، ومنشورة باللغة العربية في عدد سابق من مجلة "الحوار". العدد ٦٤ ، تشرين الأول ٢٠١٢، ص ٩٢ إلى ص ١٢٢.

مدينة الحسكة

المحامي اسماعيل المحمد

مدينة الحسكة هي مركز محافظة الحسكة، تقع شمال شرقي سوريا يمر بها نهري الخابور والججج، الأول منبعه من مدينة رأس العين (سري كانيه - Serê kaniyê) السورية^(١)، أما الثاني فمنبعه من منطقة تقع شمالي مدينة (نصيبين) في كردستان تركيا^(٢) بحوالي /٢٥/ كم، ويلتقي النهران في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة. إدارياً يتبع المدينة (كمنطقة) ثلاث مديريات ناحية وهي (الهول، تل تمر، بئر الحلو). تبعد عن العاصمة دمشق مسافة /٦٠٠/ كم، كما تبعد عن مركز محافظة دير الزور مسافة /١٨٠/ كم، يمر بالمدينة خط العرض /٣٦,٣٠/ شمالاً وخط الطول /٤٥,٤٥/ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر /٣٢٨م/ مما يعني أن أيام الصيف طويلة وجافة ترتفع الحرارة فيها لتصل أحيانا إلى /٤٥/ درجة مئوية، وأن أيام الشتاء قصيرة تنخفض الحرارة فيها لتبلغ أحيانا /-٨/ درجة مئوية، تهب في الخريف رياح مغبرة، وتهطل الأمطار في الربيع غالباً. يبلغ عدد سكانها حسب التقديرات غير الرسمية حوالي أربعمائة وخمسون ألف نسمة.

تعرف الحسكة محلياً (بالحسجة- بشد الجيم)، ويرجح أن التسمية جاءت من نبات شوكة خشن تترعى منه الإبل يدعى بـ (الحسج) كان ينمو بوفرة في المدينة على ضفاف نهر الخابور، ولا يزال البدو يلفظون اسم المدينة بالحسجة. كانت تسمى في العهد العثماني بـ (كوكب) نسبة إلى جبل كوكب الذي يقع شرقي المدينة بخمسة عشر كيلومتراً. في بداية القرن العشرين لم تكن هناك مدن تفصل بين مدينتي ماردين (التركية حالياً) ودير الزور (السورية حالياً) بل كانت بركة تسمى (بركة ماردين). كان يوجد فيها تجمعات من البدو وأغلبهم من الأكراد في الشمال، ومن العرب في الجنوب يتنقلون بين المراعي الصيفية والشتوية حسب حاجتهم وحاجة أغنامهم ودوابهم.

أتى شخص يدعى (موسى عبد المسيح) ويلقب بـ (عمسي) في بداية القرن العشرين من قلعة (مرا) الواقعة شرق ماردين وبنى بيتاً في الحسكة، واستقر في الجهة الغربية لتل الحسكة المشرف على الضفة اليسرى لنهر الخابور.

بدأ العمران في مدينة الحسكة ببناء ثكنة عسكرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام /١٩٠٧م/ على تل الحسكة وذلك لأهمية الموقع من الناحية الاستراتيجية، وفي عام /١٩٠٨م/ سكنت مجموعة عوائل سريانية تتكلم اللغة العربية مدينة (الحسكة) بجوار الثكنة قادمة من قلعة (مرا)^(٣)، وفي الجهة اليمنى لنهر الخابور مقابل تل غويران كانت تسكن عائلة (العليوي) التي كان يتزعمها (عليوي عبد العزيز)، وفي ذات الوقت سكنت مدينة الحسكة مجموعة عوائل كردية من أشهرها عوائل تنتمي إلى عشيرة (الملية)^(٤) التي كان يتزعمها (ابراهيم باشا الملي) الذي قبضت السلطات العثمانية عليه عام /١٩٠٨م/ عندما حاول الدخول الى منطقة جبل العزيز وأعدمته، وتم دفنه في قرية (صفيا) الواقعة شمال مدينة الحسكة على بعد /١٢/ كم.

في عام /١٩١٤-١٩١٥م/ ارتكبت السلطات العثمانية مجازر بحق السريان والأرمن مما اضطرهم للفرار من بطشها باتجاه الجنوب نحو سورية، وسكن بعضهم مدينة الحسكة، فأصبحت قرية كبيرة توافد إليها البدو من الأكراد والعرب، وسكنوا فيها. بعد اتفاقية سايكس - بيكو بين بريطانيا وفرنسا عام /١٩١٦م/ أصبحت سوريا تحت سلطة الانتداب الفرنسي، ودخل الجيش الفرنسي مدينة الحسكة في شهر أيار من عام /١٩٢٢/ بقيادة الكولونيل (بيتغو غراندوت) في وقت اقتربت فيه المدينة من التحضر من ناحية العمران وأصبحت بلدة صغيرة، فقام الجيش الفرنسي ببناء ثكنة عسكرية على أنقاض الثكنة العثمانية. في العشرينات من القرن الماضي سكنت مجموعة عوائل عربية من عشائر (الجبور، والشمر، والطي) مدينة الحسكة، ومن أشهر تلك العوائل (عائلة المسلط) التي كان يتزعمها (جميل المسلط). كذلك سكنت عائلة (حاجو آغا) المدينة في عام /١٩٢٦م/ بعد أن نقلته سلطات الانتداب الفرنسي من منفاه في (تدمر) إلى الحسكة، ثم نقلته إلى مدينة القحطانية (تربه سبي - Tirbespî)^(٥)، وبقي البعض من أبناء حاجو آغا مع مجموعة عوائل كردية في مدينة الحسكة، ولا زالت هذه العوائل موجودة في المدينة حتى الآن.

في بداية ثلاثينات القرن الماضي أصبحت الحسكة مدينة كبيرة يسكنها الآلاف من المواطنين، فانفصلت الحسكة عن متصرفية دير الزور، وأصبحت متصرفية مستقلة بموجب القانون رقم /٢٣٩٢/ الصادر بتاريخ ١٩/٩/١٩٣٠م، وتم تعيين السيد (نسيب محمد صادق الأيوبي) كأول متصرف للحسكة بتاريخ ١٠/١٠/١٩٣٠م.

بتاريخ ١٠/١/١٩٣٠م. بنيت (السراي) في الحسكة وبذلك أصبحت مدينة تحتاج إلى محلات وأسواق، فبني سوق المأمون الذي يعد أول سوق تجاري فيها، وسوق الصاغة، وسوق الهال، وهذه الأسواق لا تزال موجودة حتى الآن، ثم بنيت العرصة (السوق) التي تم هدمها، وبني مكانها مصرف التسليف الشعبي.

بعد نيل سوريا استقلالها في ١٧/٤/١٩٤٦م. تزايد عدد الوافدين إلى الحسكة سواء من ريفها، أو من المدن السورية الأخرى حتى أصبحت بعد سنوات قليلة مدينة كبيرة مكتظة بخليط سكاني وفسيفساء متنوعة من الانتماءات العرقية والدينية. إذ يعيش فيها الأكراد والعرب والسريان، ودعت الحاجة إلى انشاء عدة أحياء تحيط بالمدينة من جميع الاتجاهات أهمها (العزيزية، الصالحية، غويران، النشوة، تل حجر، الناصرة، المحطة).

المواقع الأثرية

تتميز مدينة الحسكة بوجود عدة مواقع أثرية فيها أهمها:

- ١- تل أبيض: يقع على بعد /١٢ كم/ جنوب الحسكة على الضفة اليمنى لنهر الخابور، وقد اكتشفت بعثة التنقيبات الأثرية فيه بقايا قصر ملكي يعود إلى العصر الآشوري الحديث /٨٠٠ ق.م/ يتألف من /٤٥/ غرفة ومعبدتين وثلاثة أجنحة عثر فيها على تنانير ومخازن للحبوب وأحواض وحمامات.
- ٢- قلعة سكرة الأيوبية

تقع على بعد /٢٥ كم/ جنوب غرب الحسكة على سفح جبل عبد العزيز الشمالي.

- ٣- مدينة نهرين

أثبتت الدراسات الأثرية والجيولوجية وجود مدينة قديمة جاثمة تحت التراب في موقع ثكنة (عقبة بن نافع) يعود تاريخها إلى العهد (السوبارتي والسومري والأكادي والكلداني والبابلي والآشوري والآرامي)، وقد بنيت في عهد الملك (كيش ميسيليم)، وسميت بالنهرين لالتقاء نهري الخابور والججغع فيها، ويقع قصر الملك (كيش) تحت بناء كنيسة السريان الكاثوليك الحالية، ويقع معبد الإله شمشو (شمش) تحت بناء كنيسة الكلدان الحالية.

٤- تل غويران

يقع على الضفة اليمنى لنهر الخابور في مركز مدينة الحسكة.

المعالم الرئيسية لمدينة الحسكة

إضافةً للمواقع الأثرية تتميز مدينة الحسكة بوجود عدة معالم جميلة فيها أهمها:

- ١- كنيسة القديس مار جرجس للسريان الارثوذكس التي شيدت عام /١٩٣٦م/ في عهد المطران (مار اثناسيوس ثوما قصير)، وتعرف بين أبناء المدينة بالكنيسة الكبيرة.
- ٢- جامع الصحابي الجليل معاذ بن جبل وهو يشتهر بمئذنته العالية التي يبلغ ارتفاعها /٣٦م/ وقد تم بناؤه عام /١٩٥٢م/، ويعرف بين أبناء المدينة بالجامع الكبير.
- ٣- دار الحكومة (السراي) الذي شيد في عام /١٩٣٠م/ في عهد الرئيس تاج الدين الحسيني بعد أن أصبحت الحسكة متصرفية مستقلة.
- ٤- ثكنة عقبة بن نافع

وقد بنت على أنقاض الثكنة الفرنسية التي بنيت هي أيضاً على أنقاض الثكنة العثمانية التي تم بناؤها عام /١٩٠٧م/، وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية وجود مدينة قديمة جاثمة تحت التراب في موقع هذه الثكنة يعود تاريخها إلى العهد السوبارتي والسومري والأكادي والكلداني والبابلي والآشوري والآرامي.

٥- قبر ابراهيم باشا الملي في قرية صفيا

٦- تل مجدل

يقع جنوب نهر الخابور على مسافة /١٢كم/ من الحسكة، وهو باسم أحد زعماء عشيرة المليية.

٧- جلبي آغا

يقع على سفح جبل عبد العزيز جنوب غرب الحسكة على بعد /١٥كم/ من المدينة، وهو أيضاً باسم أحد زعماء عشيرة المليية.

٨- جبل كوكب

وهو جبل بركاني يرتفع /٥٠٠م/ عن سطح البحر، يقع شرق المدينة على مسافة /١٥كم/.

٩- جبل عبد العزيز

وهو سلسلة جبلية ترتفع /٨٠٠م/ عن سطح البحر ويقع جنوب غربي المدينة على مسافة /٢٥كم/، ويبلغ طول السلسلة /٩٠كم/ من الشرق إلى الغرب، وعمقها الانحداري من الشمال إلى الجنوب /١٠كم/، تتخللها مجموعة من التلال، وينمو فيه أشجار البطم واللوز والزعتر البري، والنعناع البري. أما أهم الحيوانات التي تعيش فيها هي (الجمال والبوم والذئب والثعالب)، وقد أنشأت فيه محمية للغزلان.

وقد مرت على مدينة الحسكة أحداث هامة لازالت معلقة بذاكرة وأذهان أبنائها وأهمها:

١- تأسيس جمعية مساعدة فقراء الأكراد: عام /١٩٣٠م/ بإشراف جمعية (خويبون)، وقد ترأسها (حسن حاجو آغا)، وكانت الجمعية تدعو الأكراد للالتفاف حولها وتقديم العون والمساعدة لها لتتمكن من مساعدة الطلاب والأسر الكردية الفقيرة.

٢- تأسيس جمعية (القديس منصور) الخيرية في ١٢/٥/١٩٣١م. التي كانت تهدف إلى تقديم المساعدات العينية والنقدية للفقراء من أبناء الطوائف المسيحية.

- ٣- فيضان نهر الخابور في يوم الجمعة ٢٤/١٠/١٩٦٩م. حيث ارتفع منسوب المياه إلى /٣٤٦سم/ وغمر كامل المدينة، فتضررت الكثير من المباني العامة والخاصة والمزروعات المحيطة بها.
- ٤- حريق سجن الحسكة الذي تم في يوم ٢٤/٣/١٩٩٣م. وراح ضحيته /٥٧/ شخص.
- ٥- تفجير ليلى نوروز ٢٠/٣/٢٠١٥م. في تجمعين منفصلين بين المحتفلين بايقاد شعلة نوروز راح ضحيتها /٥٤/ شهيد أغلبهم من النساء والأطفال.

الهوامش:

- (١) - سري كانيه - Serê kaniyê اسم كردي يعني بالعربية رأس النبع أو رأس العين.
- (٢) - يتكون نهر جججغ من نبعين لون ماء أحدهما مائل للسواد، والآخر مائل للبياض، ويسمان بحسب لونيها (Ava spî - أي الماء الأبيض، Ava reş - أي الماء الأسود) ينبعان من منطقة جبلية من سلسلة جبال باكوك تدعى (سري آفي - Serê avê) تقع شمال مدينة نصيبين الكردية وتبعد عنها حوالي /٢٥/ كم، وهي كلمة كردية تعني (رأس الماء - منبع الماء).
- (٣) - معروفة بقلعة (مرا) أي قلعة (السيدة)، وتعرف أيضاً لدى البعض بقلعة (الأمراء).
- (٤) - عشيرة المليية هي عشيرة (ملان، ملا - Milan) الكردية المشهورة.
- (٥) - تربه سبي (Tirbespî) تعني (قبور البيض) حيث تم إطلاق هذه التسمية عليها كترجمة لاسمها إلى العربية، ثم تم تغيير اسمها لاحقاً فعربت ثانيةً وسميت (القحطانية).

المراجع:

- ١- إسحق قومي - دراسة في تاريخ الحسكة.
- ٢- محمد السموري - التاريخ الشفهي والذاكرة الجمعية (الحسكة نموذجاً) عام ٢٠١٢م.
- ٣- ابراهيم يامن - الدرباسية ماضياً وحاضراً عام ٢٠٠٩م ..

- ٤- أحدم شرف مارديني - محافظة الحسكة دراسة اقتصادية طبيعية، بشرية،
تاريخية عام ١٩٨٦م ..
٥- صبحي عبدالرحمن - كاليفورنيا الشرق الجزيرة .

=====

مدينة الدرباسية وريفها

مسعود داوود

"إنّ الإعمار الكردي في سوريا أقدم كثيراً ممّا يتصوّره المرء".

الدرباسية مدينة حديثة العهد بالنسبة لأمّهات المدن السورية، تتربّع على سهول واسعة، عُرفتُ بخصوبة أراضيها، ووفرة مياهها العذبة، كانت ولا زالت موصوفة بهوائها العليل ومناخها الجيّد اللطيف، وتقع على الخطّ المسمّى بخطّ العشرة أيّ خطّ المطر، وهي منطقة واسعة تجثم فوق خزّان مائيّ كبير من المياه الجوفيّة، لذا تنتشر في قراها الكثيرة المشاريع الزراعيّة المرويّة بالأبار الارتوازية، ويبلغ عدد قراها /٢٠٩/ قرية بالإضافة إلى أربع قرى غريبة عن سكانها (قرى الغمر)، حيث تعرضت المدينة لحمولات تعريب خلال السنوات الماضية طالت أسماء قراها ومعالمها فتمّ استبدالها بأسماءٍ عربيّة بعيدة عن قواميس جغرافيتها وتراثها الكردي الأصيل، تبلغ مساحتها مع ريفها /١٠٠٠/ كم٢.

تقع الدرباسية شمال مدينة الحسكة، وتبعد عنها قرابة /٨٠/ كم، وغرب مدينة عامودا على مقربة من الحدود التركية، وهي القسم السوري من مدينة بنفس الاسم في تركيا، انقسمت إلى شطرين إثر وضع سكة قطار (الشرق السريع)، وكانت عبارة عن مقرّ عسكري للفرنسيين.

يذكر شهود العيان والمعمرين أنّ السيّد (انطوان قره زيوان)^(١) من عائلة السيّد (عبد المسيح قره زيوان) أوّل من سكنت المنطقة التي سميت بالدرباسية وكان هذا صاحب مطحنة، ثمّ (فرنسيس بحدي) وكان تاجراً للحبوب، ثمّ (عزيز بهنان سعيدو)، وهذا قد نزع من ماردين عام /١٩١٨م/ ترافقه عشر أسر، تمّ اختيار موقعها كمركز لمحطة السكة الحديدية عام /١٩٠٥م/، ثمّ مقرّاً للفرنسيين فيها ثكنة عسكريّة ومصرف وجمارك، وفي عام /١٩٢٤م/ توسّعت قليلاً بعد أن تم نقل بعض الأسر السريانية إليها من قرية (القرمانية) تحت مبررات حمايتها، وذلك إثر خلاف جرى وقتها، حيث تمّ تشكيل لجنة في اليوم التالي للخلاف من كبار التجّار وأصحاب الحوانيت، وأغلّقوا السوق نهائياً وأخذوا مفاتيح الحوانيت، ثم ذهبوا إلى القامشلي لمراجعة السلطات المختصة الفرنسيّة، فأوعزوا لهم أن يعمّروا الدرباسية وينتقلوا إليها، فضلاً عن أنّه لا

أملاك للمسيحيين هناك^(٢). وإذ أصبحت الدرباسية حينذاك مركزاً للناحية بدلاً من القرمانيّة التي كان يسكنها أكراد من عشيرة الكيكية فخذ (أيزان)^(٣)، وهي تتبع إدارياً لمنطقة رأس العين (سري كانييه - Serêkaniyê) - محافظة الحسكة.

يعود بناء المدينة بشكل أساسي إلى شهر نيسان من عام/١٩٣١م/، عندما أراد الفرنسيين نقل مركز المدينة من قرية (القرمانيّة) إلى مركزها الجديد، والتي تبعد عنها شرقاً حوالي/٥/ كم، لقد قام الكابتن (قاسم) الضابط في الجيش الفرنسي بشراء الأرض من (كرمو نايف درباس)، وهو كرديّ، يسكن أولاده حالياً في الطرف الآخر من الدرباسية الواقع في تركيا، والتي تسمى هناك بـ (شنيورت). حيث قامت الحكومة الفرنسيّة ببناء ما يقارب خمس وسبعون حانوتاً من اللبن الطيني، وبعد إتمام البناء تمّ الاتفاق على يوم الانتقال إلى المدينة المشيّد في /١٨/ تشرين الأوّل/ من نفس العام، ووزعت على أصحابها بالقرعة. كان كلّ حانوت بسعر إحدى عشرة ونصف ليرة ذهب، أمّا بيوت السكن فكانت مساحة كلّ بيت /٤٠٠/ متراً مربّعاً، وسعره بقيمة الطابع الذي يلصق على الطابو ليرة واحدة، أمّا من ناحية الغرب فتّم تخطيطها لزراعة أشجار الكرمة كلّ هكتار على حدة، وكان سعره بقيمة الطابع الذي يلصق على الطابو الممنوح للمشتري من أجل هكتار واحد /٢٥/ ليرة، وبُنيت فيها مدرسة عام /١٩٣٢م/ بإدارة القس (يوسف رزقو)، وعُيّنت المدرّسة (عطية جرجس قاووغ) المعلمة الوحيدة والمسؤولة عن المدرسة، وفي عام /١٩٣٤م/ تمّ بناء كنيسة (مار جرجس) للكاثوليك، حيث بناها الأب (يوسف رزقو) وبمساعدة بعض التّجار، وفي نفس العام تمّ تشييد (الجامع الكبير) أيضاً، أمّا منذنتها فبُنيت في الخمسينات، وكان إمام الجامع الكبير آنذاك الشيخ (عبد الجليل السعدي)، كذلك عيّنت الحكومة (نجيب غنيمه) مديراً للناحية، والسيد (سليم عبد النور) رئيساً للبلديّة، و(عبّاس جاويش) خفراً للدرك، وتمّ تعيين (اسكندر كسبو) للبريد، وأوّل من سكنوا فيها كانوا من المسيحيين الذين فروا من بطش النظام التركي عام /١٩١٥م/، على إثر مذابح الأرمن من مدينة (ماردين) المشهورة في تركيا والقرية من الحدود السوريّة، وتركزوا في قرية (القرمانيّة) و(تل أيلول) وقرية (الكوسكا "العم كيا")، ومن ثمّ توزّعوا إلى (السيكر) وبعض القرى المجاورة لها ومنها (الدرباسية) آنذاك والتي كان قد سبقهم إليها (انطون قره زيوان)^(٤). فأراد الحُكم الفرنسي أن

يجمعهم لضرورات أمنية وبدون إرادتهم على أساس حمايتهم في المدينة الجديدة، وشاطرهم الحياة المهاجرين من منطقة أومريا (omerya)، التابعة لولاية ماردين والمناطق الأخرى، إمّا بحثاً عن لقمة العيش، أو هرباً من الخلافات العشائريّة، وأغلبهم هاربين من (سفر برك - الحرب العالمية الأولى)، وقلّة من العشائر الأخرى، حيث دبّت الحياة في المدينة الجميلة، فأصبحت مركزاً للتسوّق والتسويق من القرى المجاورة، وأغلبية القاطنين فيها يعملون في الزراعة، والقسم الأقلّ ككسبة في التجارة، والصناعة، ومنهم كأيادي عاملة. واتّسعت دائرتها سنة بعد أخرى، فالمواسم عادت تبشّر بالخير بعد سنة جفافٍ وعوز سنة بنائها، وازدادت الهجرة إليها من القرى المجاورة، إمّا بحثاً عن العمل أو طلباً للراحة.

وإذا ما انتقلنا إلى محيط مدينة الدرباسية حيث السهول المترامية وبعض التلال التي تحتضن قرى عشيرة (الكيسان - Kîkan)، وهي عشيرة كردية قويّة ذات نفوذ وكثرة عدديّة تتجاوز حالياً الخمسين ألفاً، ولها تاريخ قديم في هذه المنطقة يقول (بيير روندو): "إنّ الإعمار الكردي في سوريا أقدم كثيراً ممّا يتصوّره المرء إذ أنّ بعض الجماعات الكردية مثل (الكيكية - كيسان Kîkan) في الجزيرة العليا كانت منذ الأزمان الغابرة تحتلّ مكانها الحالي كما أنّ بعض الجماعات التي تجاريها في القدم لم تترك سوى بعض الآثار التي من الصعوبة تمييزها"^(٥)، ولهذه العشيرة سبعة أفخاذ حسب عادة العشائر، ويمتازون بكرمهم وشخصيتهم المميّزة، وأخلاقهم، وعاداتهم السموحة والمتطوّرة، وأفخاذهم السبعة، هي: (أزيان- أومران- سمعيلة- رمّاكة- سروخانا- هيسكا- كوسكا)، وبعض الخلجان، ومن أكراد ديار بكر (آمد) آل جميل باشا، وعشائر كردية أخرى ... وكذلك بعض العشائر العربيّة السادة (بني سبعة - الحرب)، وعشائر السريان (القصورانية- المنصورية).....الخ.

واسم الدرباسية مشتق - حسب بعض الآراء - من اسم عشيرة من قبيلة الخلجان الكرديّة تسمّى (درباس- dirbasiya بالكردية)، وبانيها (درباس) والتي كانت تقيم في القسم التركي من المدينة قبل رسم الحدود وتقسيم المنطقة، وهذه التسمية دارجة في المنطقة منذ القديم. بينما يقول البعض إنّ اسم المدينة مرّكب من الكلمتين: (درب - آسيا)^(٦). أيّ أنّها كانت بمثابة محطة في طريق القوافل التجاريّة القادمة من الجنوب والغرب باتجاه الشمال

والشرق (أي باتجاه آسيا)، وهذا ضعيف لأنه لم يكن وقتها الحدود مرسوماً بالشكل الذي نراه اليوم، فموقع الدرباسية كان بريّة لماردين. ويرى المعمّرون بأنّ التسمية مشتقة من الكلمة الكردية (درباسبه- derbasbe)، أيّ (المرور - العبور) لأنها كانت نقطة المرور للأهالي والمهريين من (تحت الخط - binxet - سوريا، إلى فوق الخط - serxet - تركيا)^(٧)، وهذه التسميات الأخيرة لازالت دارجة حتى يومنا على السنة المعمّرين وعامة الناس.

تمّ تخطيطها وبنائها في العهد الفرنسي ولازالت بعض المعالم الفرنسية موجودة فيها كمستودعات مكتب الحبوب الحالية، والتي بُنيت عام/١٩٤٣م، وغيرها من المعالم الفرنسية، وقد بُنيت المنازل على ترتيب متناسق، ورسمت الشوارع بشكل هندسي متقن على شكل مربعات الشطرنج بحيث يمكن للناظر أن يرى جميع الاتجاهات من أية زاوية كانت، أيّ كلّ /١٦٠٠/ متر مربع تقع على /٤/ أربع شوارع، وعرض الشارع /١٠/ أمتار، وفيها ثلاثة شوارع من الشمال إلى الجنوب بعرض أكثر من /٢٠/ متراً، وتقسّم هذه المربعات على أربع قطع مساحة كلّ قطعة /٤٠٠/ متراً مربّعاً لكلّ منزل. كان نموذج السكن فيها طيني قديم على الغالب، بالإضافة إلى النموذج الإسمنتي الحديث على نطاق ضيق^(٨). قديماً قسّمت المدينة إلى قسمين كالتالي:

الحيّ الغربي: ويضمّ المسيحيون ومعظمهم من المهاجرين من مدينة ماردين وقرائها بعد الانتداب الفرنسي عام /١٩٢٢م/ مع بعض الأرمن وكان المسيحيون مسيطرين على تجارة السوق، ومعظم الصناعات والمهن اليدوية من حدادة وتجارة وصبغة القشّ والأقمشة، وصياغة الذهب والفضة.. الخ.

القسم الشرقي: ويضمّ الكرد، وبعض العرب الذين قدّموا من منطقة ماردين ومن القرى المجاورة، ويعمل معظمهم عمال بناء وفي الرعي والقليل منهم يعمل في مجال التجارة، وفي الوقت الراهن أغلب سكّانها من الكرد مع بعض العائلات العربية، وذلك بسبب هجرة معظم المسيحيين^(٩)، ونسبة كبيرة من الكرد إلى المدن الأخرى (حلب، الحسكة، القامشلي...)، ومنهم من هاجر إلى خارج الوطن حلاً بحياة أفضل، والرزق والعيش، لذلك فقد تأثر نمو المدينة بالهجرات العديدة منها، وعلى فترات، ممّا تسبب بتوقّف نموّها وتطورها تقريباً، وحتى السنوات القليلة الماضية، وفي فترة متأخرة بدأت المشاريع (الصغيرة) فيها تحرك البلدة، وتطوّرت الخدمات فيها نسبياً وتحسّنت الطرق

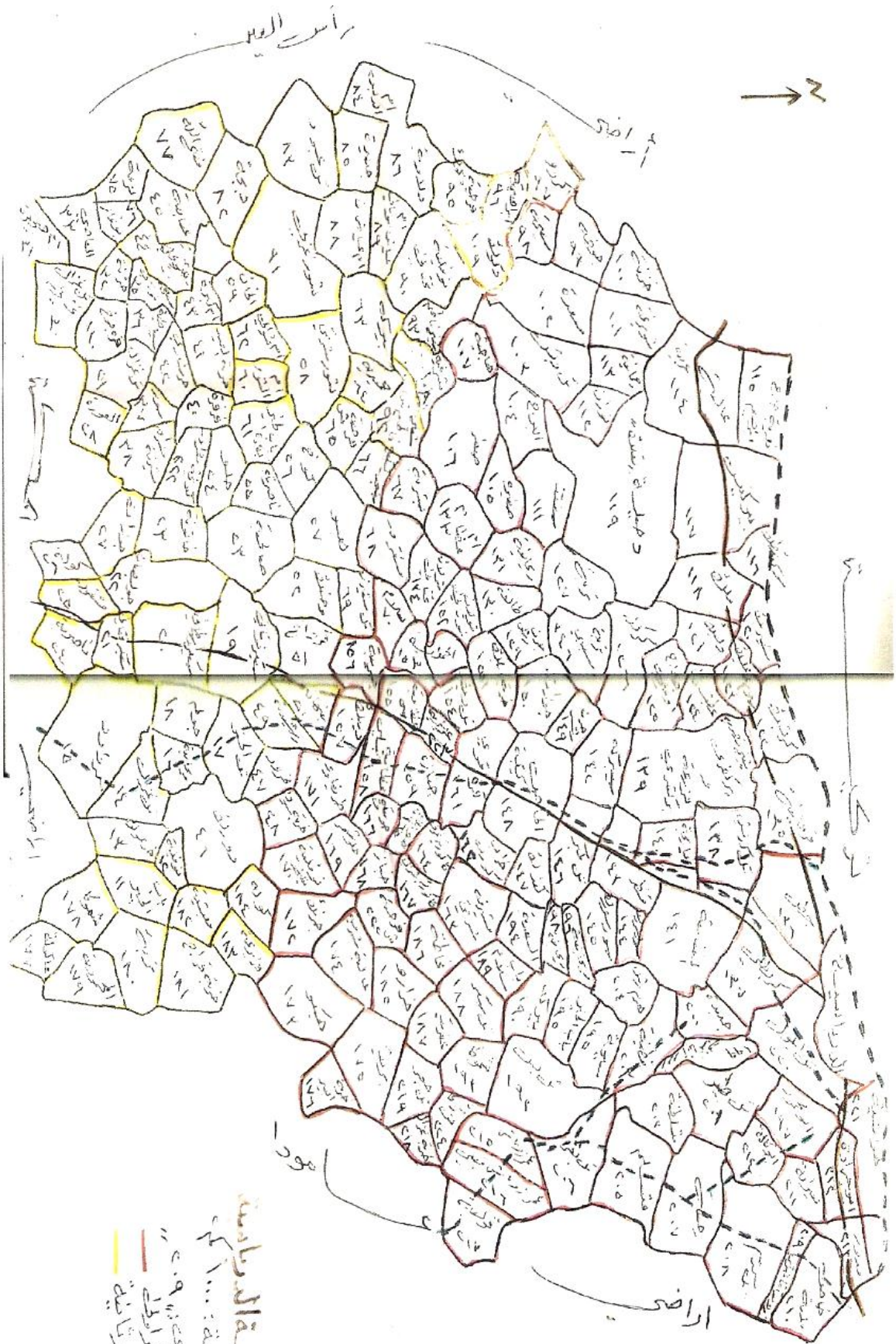
فيها وتوفّرت مياه الشرب، والكهرباء، والرعاية الصحيّة والمدارس، وهذه موجودة منذ البداية إلاّ أنّها كانت محدودة الانتشار^(١٠)، فالظروف المعيشيّة الصعبة دفعت بالكثير من العائلات من مختلف العشائر والطوائف إلى التشتت في بقاع العالم، وحيث لا يشكّلون أيّ وزن بعد أن كانوا في بلدتهم مع عشائريهم يشكّلون وزناً ومكانة اجتماعيّة^(١١).

ويقدر عدد سكّان الدرباسيّة وريفها بأكثر من ثمانين ألف نسمة أغلبيّتهم من الكرد، منهم قرابة /١٨/ ألفاً في مركز المدينة، وفي مركزها ما يقارب اليوم /٣٥/ بيتاً مسيحياً أغلبهم سريان أرثوذكس، وفيها بعض العائلات العربيّة، وفي ريفها المحاذي للشريط الحدودي قسم من عشيرة (الولدة) التي غمر أراضيها بحيرة (الأسد) الفراتية (المغمورين) الذين أسكنتهم الحكومة على شكل مستوطنات لتغيير ديموغرافية المنطقة (الحزام العربي)، وإقامة حاجز بشري بين الشعب الكردي في كردستان الشماليّة (تركيا) وكردستان سوروية، وهذا القرار اتّخذته القيادة القطريّة لحزب البعث والذي يحمل الرّقم /٥٢١/ بتاريخ ٢٤/٦/١٩٧٤م، وكان للدرباسيّة نصيبٌ من هذا القرار المشؤوم كما كانت لأخواتها في باقي المناطق الكرديّة، حيث تمّ توزيع أراضيها على العرب الذين جيء بهم من محافظتي الرّقة وحلب بدلاً من أهلها الذين كانوا بأمس الحاجة إليها.

تاريخياً تعايش أبناء الدرباسية بدون أيّة مشاكل، وكلّما تحدثت مشاجرة وفتنة سيئة يتلافها الوجهاء والعقلاء من كبار السنّ، وكانت محبّتهم لبعضهم بعضاً مضرب المثل وكانوا يتعاونون في السراء والضراء ويشتركون بعضهم بعضاً في الأفراح والأحزان إلى يومنا هذا، فالاحترام سائد بين الجميع وبدون تمييز، فالآن في الوقت الحاضر لازالت هناك بعض العائلات المسيحيّة في المدينة وهي تُحترم من قبل الجميع ويحضرون أفراحهم وأتراحهم، وكلّ أهل البلد يفتخرون ويعتزّون بأنهم من الدرباسية (أصبحت لهم كنية مشهورة)، وحتى الآن في حلب والحسكة عندما يتوفّى أحد أهالي الدرباسية يحضر الجميع ودون استثناء وتمييز ولا فرق بين صغير وكبير وغني وفقير، وفي بعض الأحيان عندما يتقابل اثنان من الدرباسية يتعانقان ويتصافحان بكلّ محبة وإخلاص وهم شعب كريم ومضياف، حتّى الآن لا يوجد فيها فندق، في المدينة عدّة مضافات، فالشخص الغريب يبيت في بيت صديقه من دون أيّ إخراج^(١٢).

تشكّل الزراعة في الدرباسية عصب الحياة، حيث أنّها تمتاز بأراضيها الخصبة ومزارعيها المخضرمين في الزراعة، أمّا اليوم فقد أصبحت غالبيتها مروية، وتمّ حفر الآبار الارتوازية، حيث أنّ المياه الجوفية متوفرة بشكل جيّد، والأراضي الخصبة، لذا فالزراعة في هذه المنطقة ناجحة ومزدهرة لأنّها تقع ضمن ما يسمّى بـ(خطّ العشرة).

تُعتبر الدرباسية حالياً من المدن المهمّة والتميّزة في منطقة الجزيرة، حيث تُعتبر من المناطق الأولى في الزراعة في البلاد، زراعة الحبوب بأشكالها، والأقطان ناجحة بشكل منقطع النظير حيث يعمل غالبية أهلها في الزراعة، وتمّ هدم أغلب المنازل القديمة المبنية من اللبن والطين وحلّت محلّها المنازل الحديثة والفيلات والأبنية ذات الطوابق، ولا زال البناء والعمران على قدم وساق وكأنّها ورشة عمل، وتحولت أراضي الكروم إلى فيلات حديثة وذلك من زيادة التعداد السكاني فيها. أصبحت فيها الدوائر الحكومية اللازمة كافة في أبنية عصرية، وتمّ افتتاح المدارس بمراحلها كافة وفي القرى التابعة لها، فامتدّت جنوباً حتى قرية (كربطلي)، وتوسعت غرباً كثيراً باتجاه قرية (جطل)، وشرقاً مع قرية (تليلون). يوجد فيها مكتب وصوامع للحبوب لتكون من الأكبر في البلاد، وكذلك بني فيها مصنع لتصنيع منتجات الحبوب، ويضمّ سوق الدرباسية اليوم أنواع المتاجر كافة، وفيها جميع أنواع البضائع من المواد المطلوبة للحياة اليومية والمعدات والقطع اللازمة للعمل الزراعي بحيث لم يعد الأهالي بحاجة للسفر بقصد التسوّق. قام بعضُ الفنيين بتشديد وبناء ورشات صناعية لإنتاج وصيانة المعدات الزراعية، والأهمّ من كل هذا لا يزال كلّ أهل الدرباسية أكراداً وعرباً ومسيحيين محافظين على عاداتهم وألفتهم ومحبتهم التي غرسها فيهم الأجداد والآباء، حيث يقفون وقفة الرجل الواحد في الفرح والحزن والمصائب، ولا يزال سكانها الحاليين والمهاجرين يفتخرون بانتمائهم للدرباسية البلد الجميل المعطاء.



منطقة القارونية
- المساحة: ١٠٠٠ كم^٢
- عدد طرقات: ١٠٩
- امتداد الطرق
- الامتداد الريانية

الهوامش والمراجع:

- ١-حسين حمدان العسّاف، المملكة الأدبية، مدن الجزيرة السورية، ٢٠٠٨، نت. (التحديدات ١-٥-٦).
- ٢-إبراهيم يامين، الدرباسية ماضياً وحاضراً، الناشر دار ماردين/حلب ٢٠٠٩./ (٣-٧-١٠-١١).
- ٣-أحمد شريف مارديني، محافظة الحسكة، دراسة طبيعية - اقتصادية - بشرية - تاريخية، تحولات وآفاق مستقبلية، ١٩٨٦م، (٩).
- ٤-منتديات قرقيسيا اليوم، الحسكة عروس الجزيرة السورية ٢٦-٧-٢٠١٢م (٨-).
- ٥-بيير روندو- أكراد سوريا ١٩٣٧، (٤).
- ٦-محمد السمّوري، التاريخ الشفهي والذاكرة الجمعيّة "الحسكة أنموذجاً" الطبعة الأولى ٢٠١٢م. الناشر دار اليمان، دمشق، (٢).
- ٧-سرخت - Serxet (فوق الخط)، بنخت - Binxet (تحت الخط) كلمتان كرديتان تدلان على شمال (فوق) الحدود السورية - التركية وجنوبها (تحت).
- ٨-الإحصائيات بحث ميداني في الدوائر الحكوميّة الرسميّة. (عدد السكان - القرى ...).
- ٩-الباحث عمر بكر، مطوية شهرية (نشرة) يصدرها المجلس المحلي للمجلس الوطني الكردي في سوريا ومجلس السلم الأهلي في الدرباسية.

=====

تربه سبي (القرية والبلدة)

دراسة تاريخية اجتماعية

رضوان شكر

تمهيد

تربه سبي (القبور البيض) أرض الله المباركة تغفو وتنام على نهر جراح، أيقونة الحالمين تستحق أن نوليها أهمية واهتماماً بأهلها وتاريخها، لا سيما وأنها نشأت في بقعة ليست ببعيدة عن المواقع الحضارية المجاورة كتل ليلان الأثري (شخنا "الحورية" وفيما بعد "شبات انليل" العاصمة الآشورية) وتل شعير وغيرهما.

لعبت دوراً متميزاً منذ نشأتها وحتى الآن فهي أشبه بمدن الممالك القديمة تدار منها السياسة، و يخرج منها الفرسان، في العهد الفرنسي القصير^(١). منذ الاستقلال وحتى الآن يكاد يكون تاريخها متطابقاً نسبياً مع تاريخ المنطقة الكردية.

لعب حاجو آغا وأبنائه من بعده دوراً محورياً في أحداث المنطقة. حيث تكاد المدينة ألا تعرف إلا بهم ولا يعرفون إلا بها، لن نخوض كثيراً في هذا الجانب السياسي لتشعبه ليكون بحثاً منفصلاً وسنكتفي بالجوانب التاريخية والاجتماعية.



الموقع

تقع مدينة تربه سبي في موقع بين مدينة القامشلي /٣٠كم/ غرباً، ومدينة المالكية (ديرك - Dêrika hemko) /٧٠كم/ شرقاً، وجبال باكوك^(٢) /٢٥/ كم تقريباً شمالاً، وسكة الحديد الفرنسية والخط الدولي إلى العراق /٣/ كم جنوباً. يحيط بها مجموعة من القرى المتناثرة كاللؤلؤة دوكرى (Dugirê)، وحلوة من الغرب، وشلومية (Şelûmiyê) ودرجيك (Dirêcîk) من الشمال - كرداهول (Girdahol)، وكرشيران (Girşêran) من الجنوب- وكرديم حليمة (Girdêm) وكري بري (Girêpirê) من الشرق. في منطقة منخفضة بالنسبة إلى القرى المجاورة. تتربع المدينة وسط واحة خضراء من السهول



الفسيحة ذات التربة الخصبة التي تقع ضمن الخط المطري المجاور لتركيا لذلك تتلقى هطولات مطرية كافية مما سمح لأهلها بالاستفادة من ذلك في الزراعة.

دلالات الاسم

سميت المدينة بهذا الاسم نسبة إلى الشواهد البيضاء للقبور المكتشفة بالقرب من التل الذي بنى عليه الفرنسيون الثكنة العسكرية فيما بعد. ترجمت إلى العربية فعرفت بـ (قبور البيض) حيث كان يأتيها الرحل من البدو فيقولون ذاهبون إلى (قبور البيض) أو عائدون منها، وعرفت بتلك التسمية إلا أن هذه الترجمة الحرفية للمدلول الكردي لم تعجب غلاة الشوفينيين فاستبدلوها بأخرى لا تمت للمكان ولا للزمان بصلة، وليس لها علاقة بأهلها لتكون جزءاً من سياسة تعريب كل شيء ليتفق ذهنهم بتسمية (القحطانية)^(٣) القادمة من اليمن البعيد في وقت لم يكن فيها أبناء عدنان أو قحطان، وتعرف (تربه سبي) بهذا الاسم (القحطانية) منذ /١٩٦٩م/.

عائدية المدينة

كانت تربة سبي جزءاً من المنطقة التي عرفت بيرية (خلف آغا)، وكان مركز خلف آغا مدينة (أزناور) في كردستان تركية. حيث كانت عبارة عن بضعة منازل لآل (عجوكوشي) منذ عام /١٨٤٥م/ إذ جاء إليها وسكن فيها.

الوثيقة الأولى المرفقة التي تعود للعهد العثماني في زمن السلطان (عبد المجيد الأول) الذي اعتمد على قائد المجموعة الإصلاحية (مصطفى رشيد باشا) وكان أمراء الأكراد إحدى قوى الدولة العثمانية الضاربة، وقد حصلوا على امتيازات لقاء ذلك^(٤)، وكان خلف آغا أحدهم. تبين هذه الوثيقة إن أراضي المنطقة كانت أراضي أميرية (ميرية - ملك للأمرء) تقع في قرية (تربه سبي) ناحية (أزناور) قضاء (نصيبين) لواء (ماردين) حيث اشتراها حسن عجو قبل مجيء الفرنسيين وآل حاجو آغا.

في الوثيقة الثانية التي تعود إلى ١١/٣/١٩٥٢م. نجد أن (علي سليمان عجو) يتقدم بشكوى على آل حاجو بأنهم استولوا على أراضيهم بمساعدة الفرنسيين، كما أنه تقدم بشكوى أخرى قبل هذه الدعوة في عهد الرئيس (حسني الزعيم)، وقد ردت الدعوى بالرفض.

مكونات المدينة

يعيش في تربه سبي موزاييك جميل يعكس تنوعاً إثنياً ودينياً من كرد مسلمين وإيزيديين ومسيحيين (أرمن، سريان) وأهلها يعيشون في ألفة ومحبة قل نظيرها في المدن الأخرى يتواصلون مع بعضهم البعض في كل المناسبات، والاحتفالات فالزيارات متبادلة بين كل مكونات هذه المدينة، وكان كل مكون يتقن لغة المكون الآخر حيث يتكلم الكردي السريانية بطلاقة والسرياني يتكلم الكردية النقية.



بعد سيطرة حزب (البعث) على السلطة اتبع سياسة التعريب على نطاق واسع، وتم تشجيع العرب بالتوجه نحو تربه سبي والإقامة فيها، حيث تم مصادرة مساحات شاعة من الأراضي من (آل حاجو) وتوزيعها على العائلات العربية وتوطينهم بها، إضافة إلى موجات أخرى متلاحقة من العرب الذين غمرت أراضيهم بمياه نهر الفرات (المغمورين) تم استجلابهم من محافظتي الرقة وحلب، وأسكنوا في شرق المدينة وشمالها بهدف تغيير ديمغرافيتها؟! في حين تناقض عدد الإيزيديين باضطراد لسوء أوضاعهم المعيشية غالباً. إذ كان الكثير منهم (مجردين من الجنسية السورية)، ويمارس بحقهم اضطهاداً مضاعفاً لكونهم أكراداً من جهة، ولكونهم إيزيديين من جهة ثانية، ولكونهم مجردين من الجنسية من جهة ثالثة، فاضطر الكثير منهم للهجرة إلى الخارج خاصةً باتجاه أوروبا.

العشائر

من أهم عشائر تربه سبي (زاخراني، جومري، جودكا، دوركا، دل ممكا، مهاجرا، المحلمية، القبالية، دوماننا، سالها، أومركا، سيدية، قرتمينيا.....)، ومعظم هذه العشائر كردية، لهذا نجد أن (محمد طلب هلال) يدعو إلى تهجير تلك العشائر^(٥) ليغير من التركيبة السكانية للمنطقة وديمغرافيتها.

الأسرة

تعتبر الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع الكردي بشكل عام تتكون من الأب والأم والأبناء، وحال الأسرة في تربه سبي مثل حال الأسرة الكردية في كل مكان، فالعلاقة قوية بين أفرادها، وكلما كان عدد أفراد الأسرة من الأبناء الذكور أكثر كانت الأسرة ذات هيبة حظوة وسلطة، وتحكمها تراتيبية شديدة، فالأب هو الذي يملك بيده كل أمر، له المكان الأول في الأسرة، ولا يحق لأفراد الأسرة أن يتحادثوا بحضوره إلا إذا أذن لهم^(٦).

وهو المرجع في معظم الأمور التي تخص أفراد العائلة، ومن أبرز الأسر في تربه سبي (آل حاجو، عائلة خاشو، آل عجو، عائلة العزم، آل شرف.... وغيرهم).

جدير ذكره إن في تربه سبي بعض الأسر السريانية مثل (ملكي حوبو، حنا إيليا، جورج كبرائيل، مورو شمعون... وغيرهم)، ومن الأسر الإيزيدية (عمر خالد - عمر جانكير... وغيرهما).

المرأة

تميزت المرأة في تربه سبي بالنشاط والفراسة والحكمة، شأنها شأن المرأة الكردية بشكل عام، وقد أشار المستشرقون إلى ذلك بأنها متحررة غريزياً، حيث نجدها بارعة ومبدعة في تدبير المنزل وتربية الأطفال، ومشاركة الزوج في أعمال الزراعة والحصاد، وتقوم مقامه في حال عدم وجوده في المنزل، تقدم الطعام والوفادة للضيوف حتى مجيء، كما كانت تنشغل بأخذ الصوف إلى نهر الجراح لغسله على النهر، وكانت هناك منطقة في النهر المذكور مخصصة للنساء حيث يقمن بغسل الصوف والملابس المتسخة فيه، وفي مواسم الحصاد تذهب النساء إلى الحصاد والى البيادر، وتجلب التبن إلى المستودعات (الكادين - Kadîn) لخرنه واستخدامه كعلف للحيوانات في فصل الشتاء، ولأمور منزلية أخرى، وتجلب القش إلى البيادر لوضعه على سقف البيت الطيني أو لطحنه وتحويله إلى تبن، والمرأة الكردية عامّة - ومنها نساء تربه سبي) بارعة في عمل (خبز التنور) الذي كان المصدر الوحيد تقريباً لتأمين الخبز للعائلة فيما مضى.

وتختلط نساء الأكراد مع الرجال غالباً، ويتحدثن بحرية ويعبرن عن رأيهن بصراحة وجرأة، وليس من عادة الأكراد الحد من حرية نسائهن، ذلك لأن هؤلاء النسوة فاضلات مع تأنق و ظرافة ولباقة.

يقول (مينورسكي): في ذات يوم أقام الأكراد على شرفي حفلة رقص شعبي فما أن ارتفع صوت المزمارة مع الطنبور حتى كانت النساء قد لبسن أجمل زينهن ويختلطن مع الرجال في حفلة الرقص^(٧). كانت هذه حال النساء في تربه سبي أيضاً، ما أن تكون حفلة في المدينة حتى يتقاطر الشباب والفتيات إلى الدبكة (ديلان - Dîlan).

المنازل

كانت المنازل تقع في وسط تربه سبي الحالية وهي عبارة عن حيين: شرقي النهر وغربي النهر. في الشرق كانت حارة (الجومرية) ومنازل السريان مختلطة، ولا تزال تعرف بـ (حارة الجومرية) وكانت البيوت متواضعة وبسيطة معظمها من اللبن الطيني مكونة من غرفتين وإيوان (يشبه الموزع في البناء الحديث) في الوسط، تفتقر إلى الصرف الصحي، وكان يخصص في زاوية إحدى الغرف غرفة للاستحمام تسمى (سرشوك - Serşok) أي (مغسلة الرأس بمعناها الحرفي). عموماً كانت المنازل القريبة للنهر مهددة بالفيضان سقوفها من القصب والقش وأعمدة خشبية، ويتم وضع طبقة من الطين حتى تصبح قادرة على الصمود أمام الأمطار، وغالباً ما كانت مياه الأمطار والثلوج تتسرب من خلالها. أما بيوت آل حاجو آغا كانت مصممة بشكل هندسي يراعي الظروف الصحية والراحة، مبنية من الحجر والإسمنت. هذه القصور موجودة حتى الآن ومحاطة بحوائط من الأشجار. إن هذا النمط في العمارة يدل على اطلاع آل حاجو على العمارة المتقدمة سواءً في تركيا أو في دمشق أو تأثراً بالفرنسيين. جدير ذكره أن بعض هذه القصور تم استخدامها من قبل الدولة وبعضها تم بيعها، وتحولت بعضها الآخر لدوائر للدولة مثل سجل النفوس القديم وغيرها.

أوقات الفراغ

كان الرجال يمضون أوقات فراغهم في الاستماع للموسيقى كما لا تنفصل الموسيقى عن الرقصات والأغاني^(٨)، وكذلك الذهاب للمقاهي، وفي الليل يلعبون لعبة المحبس (كوستيلك - Gustîlk) حيث يتكون في اللعبة فريقين

يقوم أحدهم بإخفاء الخاتم مع أحد لاعبي الفريق ليقوم الفريق الآخر بالاعتماد على الفراسة في معرفة مع من يكون الخاتم، ويصاحب اللعبة فرح ومرح كما يقيمون السهرات والاستماع إلى الأغاني والأشعار، وكذلك الحكايات، وكان أبرز الذين يصفون الحيوية على تلك السهرات عبد اللطيف نادو



(لطو). بالإضافة للعبة كرة القدم، فقد ظهرت فيها عدة فرق لكرة القدم منها (النهضة، العودة، الإخوة "براتي"، الفتح) وغيرها، ومن أبرز اللاعبين في هذا المجال (فخر حاجو، وزانا حاجو، وغازي دريعي، وسردار أوسي) وغيرهم من الذين لعبوا لنادي (الجهاد)

المعروف في قامشلو ونادي (الجيش) السوري والمنتخب الوطني السوري. لقد جعل جو كردستان من سكانها أناساً أصحاء أقوياء وذوي هيئة قاسية غالباً. إلا أن الإنسان الكردي ذو مزاج تفاؤلي في هذا الجو. خلاصة القول، رغم الأوضاع الصعبة للحياة اليومية فان لحظات الاستراحة والفراغ لها مكان رغم كل تلك الصعوبات^(٩).

معالم تربيته سبي الهامة

جامع ملا عباس: بني هذا الجامع في الجهة الشمالية من تربيته سبي، كان إمام الجامع الملا عباس يقوم بإمامة المصلين وإقامة الأذان ثم بعد وفاته استلم إمامة المسجد الملا أحمد، ليبقى حتى الآن إلا أنه أصبح طاعناً في السن، ولم يعد يستطيع القيام بما كان يقوم به في السابق فيساعده أحد أبنائه وبعض "أصحاب الخير" مثل (ملا وحيد حزني). وبعد اندلاع انتفاضة الحرية والكرامة في آذار/٢٠١١م/ أصبح الجامع نقطة تجمع للمتظاهرين يخرجون من أمامه كل يوم جمعة.



الكنيسة (الدير): كنيسة السيدة العذراء (مريم)

للسريان الأرثوذكس بنيت عام /١٩٢٨م/. كانت في البداية مبنية من الطين وألحق بها مدرسة، وكان من الذين قاموا بإدارة أمور الكنيسة القس (عبدالله ملكي) والقس (مراد إيليا)، وبعدهم القس (سليمان حنو)



والخوري (سمعان عيسى) ولا يزال في موقعه الديني حتى الآن. جدير ذكره أن القس سليمان عندما توفي دفن في قبو الدير حيث ألبس ثيابه الدينية وأجلس على كرسي، وكان أمراً لافتاً لأهل تربه سبي بشكل عام، وشارك في مراسم العزاء جميع أهل تربه سبي عكس انسجاماً طويلاً الأمد بينهم.

الثكنة العسكرية (Qejle): بنيت على التل الواقع جنوب البلدة من قبل الفرنسيين لتكون نقطة عسكرية في المنطقة، ومقرّاً يخلد إليه الفرنسيين للراحة مؤلفة من غرف للضباط وقاعات للتدريب، وقد أصبحت تابعة للدولة بعد الاستقلال، أراد آل عجو وآل حاجو وغيرهم شرائها إلا أنها بيعت لـ (عزيز زورافا، وأسمر يوسف، وكبرو حوبو، ويوسف توما).

المقاهي: كان في البلدة مضافة لآل حاجو تعرف بـ (أوده ode) يلجأ إليها أهل تربه سبي، ويتبادلون الأحاديث التي تتعلق بحياة أهلها، ولا يزال أهلها يسمون تلك المنطقة بمنطقة أوده - وكان هناك مقهى في المنطقة التي تشغلها الآن بعض المحال التجارية كان يرتاده آل حاجو وبعض أتباعهم.



بخجي مزن - bexçê mezin: حينما نتحدث عن تربه سبي لا بد أن نذكر الحديقة الكبرى (بخجي مزن) الذي كان عبارة عن بستان كبير لآل حاجو زرع فيه أشجار الحور، والفاكهة كـ (الكروم والرمان واللوز، ... الخ) عهد إلى (أحمدي سيد) و(سيد حسن) وغيرهم خدمة هذا

البستان لآل حاجو. في هذا المقام يجب أن لا ننسى أن النهر من دريجيك في الشمال إلى الجنوب الغربي للبلدة، زرع على جانبيه أشجار الرمان والكروم، وأشجار الحور حتى أن المرء كان يصاب بالرهبة والخوف وهو يدخل بين هذه الأشجار الباسقة، لكنه هذه تعرضت للقطع وتم زرع الحبوب مكانها خاصة بعد مشروع (الإصلاح الزراعي) الذي تبنته الدولة ومنحت الكثير من الأراضي للعرب (المغمورين) أما بخجي مزن فتحول إلى ملعب في البلدة، وفي العشر سنوات الأخيرة أصبح مكاناً للاحتفال في ليلة عيد النوروز.

الطاحونة المائية (aşê avê)

بنيت في شمال البلدة بالقرب من جامع ملا عباس وهي من الحجارة البازلتية، ولا تزال أساساته ظاهرة حتى

الآن. بناها (حسن عجو) سنة ١٨٩٥م/ لطحن الحبوب. وكانت تعتمد على قوة المياه قبل أن يجف النهر، وقد بني في نفس الوقت طاحونة أخرى في (روتا) القرية السريانية غرب المدينة تعمل على الديزل، وكان يعمل فيها عامل أرمني اسمه (آرتين) ثم (موشي شمعون). أما الذي قام بالإشراف عليها كان (عبد الكريم يوسف).

قبور الأطفال: وهي تقع خلف الجامع والطاحونة، يدفن أهالي البلدة أطفالهم في هذا الموقع القريب حتى يسهل على الأهالي زيارة فلذات أكبادهم.

شھاري كركي (Şiharê kerkê)

يقع هذا الموقع شمال المدينة في منطقة أصبحت حالياً مركزاً لتجمع الكرد من قامشلو والمناطق المجاورة في يوم عيد النوروز/٢١/ آذار من كل عام. وبحسب الأهالي بالنسبة للموقع فإن المنطقة الواقعة شمال النهر كانت تزرع بالرز وفيما بعد بالقمح.

من أبرز المعالم الأخرى التي استحدثت بعد السبعينات من القرن الماضي فهي العديد من المدارس، وكان معظم الطلبة من آل حاجو والمسيحيين. عموماً فقد أولى أهل تربه سبي الكرد اهتماماً بالعلم فتخرجوا من المدارس، وحصلوا على الشهادات الجامعية، وفي فترة (البعث) ونتيجة المضايقات من شببية الثورة وبعض المدرسين العنصرين، وكذلك نتيجة الفصل من المعاهد وانسداد آفاق المستقبل أمام المتخرجين من الجامعات في فترة الثمانينات من القرن الماضي وما تلاها شهدنا عزوفاً عن الاهتمام بالعلم ليترك الكثير من سكان البلدة أبواب الهجرة إلى أوربا بشكل خاص الشباب منهم.

أهم الأحداث التي مرت على تربه سبي

الفيضان أو الطوفان (şape): حدث في ٢٨/٤/١٩٦٢م. أمر جل عظيم لأهل تربه سبي البسطاء الذين لم يتوقعوا من النهر أن يفعل بهم يوماً ما فعل، حدث الفيضان بعد هطول أمطار غزيرة وبرد لم يرى أهل المنطقة مثيل له، لتتجمع المياه وتسير نحو المنطقة المنخفضة في النهر إلا أن تخطيط البلدة وخاصة المحال التجارية شكل سداً أمام صرف هذه الكميات من الأمطار القادمة من الشرق لأن المحال كانت بموازاة النهر، فعادت المياه إلى المناطق

السكنية لتغمرها، وأدى ذلك إلى انهيار المنازل والمحال التجارية، وجرفت المياه الكثير من محتويات المحال التجارية من أقمشة والملابس وغيرهان كما أدى إلى فقد ثلاث وعشرون شخصاً لحياتهم، ويقال ستة وعشرون جراً هذا الفيضان، منها عائلات بأكملها مثل عائلة (حنا طوبال) المكونة من ستة أشخاص، وكذلك عائلات ((حانا كورية، وملكي حدو، وجلال عيسى (جلو))، وغيرهم. أما قصة السائق (محمد) الذي كان يعمل سائقاً لدى آل دريعي فكانت مؤثرة جداً لأنه أنقذ طفلة لكنه غرق وهو ينقذها.

وفي هذا اليوم البائس أزهقت أيضاً أرواح الكثير من الحيوانات والطيور، ولولا لجوء الأهالي إلى مضافة آل حاجو (أوده) وكذلك القصور لكانت الخسائر أكثر وأعظم، وتحدثت عن هذا الفيضان العظيم إذاعة (مونتي كارلو)، ولا تزال أحاديث الطوفان أو الفيضان وآثاره جارية على ألسن سكان تربه سبي الكبار كما تحدث (كلو- وهو صاحب محل جرفت مياه الفيض محتويات محله) عندما رد ساخراً على سؤال أحدهم عن الأضرار التي لحقت بمحله إثر الفيضان: "المهم لم يعد بإمكان الفئران إزعاجنا" وهذه جملة التي قالها بالكردية: (ev tir ji mişka re ne ma)

معركة ديارى طوبي مع الفرنسيين (Diyre Topê)

حيث توحد أهالي المدينة مع القرى المجاورة ضد الفرنسيين فأردوا القائد الفرنسي (روغان) قتيلاً ليسطروا تاريخاً خالداً في مقاومة المحتلين، ولن نتوسع في تفاصيل هذه الحادثة لنخصص لها دراسات مقبلة حيث لعب أبناء المنطقة والعشائر الكردية وبعض عشائر العرب دوراً في التصدي للفرنسيين في تربه سبي و(بياندور القريبة) منها.

الخاتمة

تلك هي تربه سبي منذ أن كانت عبارة عن عدة منازل تتوسع وتكبر منذ أن قدم إليها (حاجو آغا) مع أتباعه لتشهد نمواً فيما بعد، ولتساهم بدور بارز في تاريخ المنطقة السياسي والاجتماعي ليس على مستوى الجزيرة فحسب بل كان لشخصيات منها مثلاً (حسن حاجو، وجميل حاجو) دوراً مؤثراً على المستوى الوطني السوري، وكذلك إسهامات مميزة في تشكيل الوعي القومي

الكردي في بدايات القرن الماضي. حالياً هي مركز ناحية تتبع إدارياً لمنطقة القامشلي - محافظة الحسكة.

الهوامش والمراجع:

- ١-مجلة برس (Pirs) التي تصدر باللغة الكردية، العدد/٥١/ سنة ٢٠١٢م.
- ٢-جبال باكوك (Bagok بالكردية) وهو جزء من سلسلة جبال طوروس يقع شمال مدينة المالكية (ديرك).
- ٣-ن محب الله - موقع الأكراد وكردستان تاريخياً وجغرافياً وحضارياً - ط١٩٩٢الصفحة١٥١.
- ٤-مجلة الاجتهاد - العددان/٤٥-٤٦/ شتاء وربيع /٢٠٠٠/ الصفحة /٢٣٤/.
- ٥-محمد طلب هلال - دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية (وثيقة) ط١٢٠٠١/ رابطة كاوا للثقافة الكردية - أربيل الصفحة /١٥/.
- ٦-باسيل نيكتين - الكرد - قدم لها وراجعها ودققها صلاح برواري - منشورات آسو/١٩٩٢/الصفحة /٩٧/.
- ٧-باسيل نيكتين - نفس المرجع السابق ص/٨٧/.
- ٨-الأب توماس بوا- معرفة الأكراد - ترجمة بافي آرام - منشورات آسو - بيروت- الصفحة /٦٧/.
- ٩-باسيل نيكتين - نفس المرجع السابق ص/٨٩/.

كركي لكي (Girkêlegê)

القرية القديمة والبلدة الحديثة

لوند كاردوخي

لمحة عن الموقع والحدود والمساحة:

حينما يتجه المرء شرقاً في سوريا باتجاه الجزيرة السورية وفي الشمال الشرقي، سوف يمر بأرض هي أجمل ما أبدعها يد الخالق من روعة إلهية في الطبيعة الفاتنة والأرض الزراعية الخصبة، وخاصةً عندما تتزين بأجمل ما عندها من ألون طبيعية استعداداً لاستقبال فرح الربيع.

تربعت على هذه الأرض فيما مضى قرية صغيرة هادئة تحولت حالياً إلى بلدة وادعة، إنها كركي لكي (Girkêlegê) التي تشغل بقعة من الجزيرة (محافظة الحسكة) وتشكل قطعة من نسيجها، تقع في أقصى الشمال الشرقي لسوريا ملاصقة لمدينة رميلان العمالية النفطية، وتتبع إدارياً لمنطقة ديريك.

تمتد بين دائرتي العرض /٣٦.٣٠ - ٣٧.٣٠/ شمالاً، وخطي الطول /٤١.٩٠ - ٤٢.٠٠/ شرقاً. يحدها شمالاً عقارات قرى (تل جمان والمصطفاوية وكورتبان)، ومن الجنوب عقارات قرى (شيرو والصالحية "قسروك"، وكرزيارتي جولي)، ومن الشرق عقارات قرى (تل جمان ودوكركه)، ومن الغرب مدينة رميلان العمالية النفطية، وعقارات قرى (كرزيارتي جولي وسيكركه).

وإذا اعتبرناها مع ما يحيط بها من قرى منطقة جغرافية فتكون حدودها على الطبيعة كما يلي: مدينة ديرك ونهر دجلة شرقاً، وبلدة جل آغا وتربه سبية غرباً، وتركيا شمالاً، والعراق جنوباً، أراضيها سهلية بشكل عام، وهي ليست بعيدة عن جبل كرا تشوك (قره جوخ Qereçox) /٧٦٩ متر/ شرقاً، وبعض السلاسل الجبلية التابعة لتركيا شمالاً.

تبعد عن مدينة ديرك (Dêrik) بـ /٢٥/ كم غرباً وعن مدينة القامشلي (Qamişlo) بـ /٦٥/ كم شرقاً.

المساحة الطبوغرافية (ضمن مخطط تنظيمي /٢١٥/ هكتار).

سبب التسمية ومعناه:

من اسمها يتبين معناه، توجد تلة متوسطة الارتفاع بمساحة (٥٠٠٠) متر مربع وسط البلدة، وهي الآن مقبرة إسلامية مسورة بتصوينة إسمنتية لحماية المقبرة (قامت البلدية بتصوینها سنة ٢٠٠٩) وكان لطائر اللقلق عش فوق هذه التلة، وقد شاهد الكثير من المعمرين الأوائل في كركي لكي هذا الطائر وهو يطير على التلة، وعلى أشجار القرية لذلك سميت بكركي لكي أي تلة اللقلق.

عربت حكومة البعث اسم البلدة في إطار حملة التعريب إلى / معبدة / كباقي القرى والمدن الكردية في مشروعها العنصري الشوفيني لطمس المعالم الكردية، وتغيير ديموغرافية المناطق الكردية، ولإسم معبدة ومدلولاتها روايات عدة منها:

-سميت بمعبدة نسبة إلى الطريق العام المعبد بالمجبول الزفتي المار به الذي يربط بين ديرك وقامشلو إذ كان حجريا قديماً (قبل الاستقلال).

- ثمة رواية أخرى مفادها أنه حينما زارت القرية لجنة التعريب الشوفينية، وفي إطار بحثها عن اسم معرب لها لاحظت أن سكانها يرتادون الجامع للصلاة بكثرة، فسموها بمعبدة نسبة إلى التعبد.

- الرواية الأخرى تقول أنه عند مرور مطران أو قسيس مسيحي بكركي لكي في رحلته من قامشلو متجهاً إلى ديرك استضافه مختار القرية (الحاج حسين)، وعند دخوله إلى المضافة شاهد حجراً أسوداً وطويلاً يستعمل كدرج للمضافة، فتوقف عند الحجر وتفحصه بإمعان وقال: هذا الحجر المقصوص هو لمعبد ولذلك أسمى القس القرية بمعبدة نسبة إلى المعبد.

بناء وتأسيس القرية:

تم تعمير وبناء قرية (Girkêlegê) في عام ١٩٣٨م/ على يد (حجي حسين بركات) و(حجي إبراهيم غزاله) الذين توافدا إليها من قرية كاني كرك (Kanî kerk)، وأستجلبوا العمال من قرية شيرو (Şêro)، فبدأوا ببناء ثلاث منازل من اللبن والقش والطين حول التلة كونهم وجدوا فوقها قبراً قديماً، وحفروا أول بئر بجانب منزل حجي خليل وسموه (البئر ذات الدرج)، ثم توافدت بعض العائلات إلى القرية من أهل حجي حسين وتم بناء المنازل حول التلة التي أصبحت حالياً وسط البلدة تقريباً، ولكن الباشا الشمري (من آل العاصي) الذي كان يبسط نفوذه في المنطقة بمنطق القوة، لم يرضيه أن يتم بناء هذه القرية، فحاول منع بناءها عدة مرات، ونشبت عدة معارك فيما بينهم، لكن بالنهاية تم بناء القرية، وتوسعت شيئاً فشيئاً حتى تحولت إلى قرية كبيرة، ومن ثم إلى بلدة نتيجة موقعها الجغرافي الهام.

حضارة ومعالم كركي لكي:

قبل بنائها كانت عبارة عن خربة أي أنها كانت تحوي آثار عمرانية قديمة، إذ وجدت في التلة الكثير من الفخاريات وجرار من الفخار، وامتازت القرية بوجود الكثير من الآبار القديمة المهجورة والخالية من المياه وأبرز هذه الآبار هي:

- ١- بئر بجانب منزل (حجي طاهر) يقع شرقي التلة.
- ٢- بئر يقع غرب التلة بجانب منزل (حجي قاسم كلو).
- ٣- بئر بجانب منزل (عبدالله مراد ورمي تاج الدين) عندما قاموا بتنظيفه وجدوا فيه هاون (Hawin) من النحاس مكتوب عليه عبارات غير مفهومة، وأيضاً ختم من النحاس.

آثار الخربة والقبر فوق التلة والآبار المهجورة، والفخاريات والأشياء التي وجدت في البئر، جميعها تدل على أن هذه القرية كانت فيما مضى مركزاً عامراً مفعماً بالحياة، وموقعاً لحضارة قديمة، إذ أن أغلب التلال الموجودة في المناطق الكردية في الجزيرة هي تلال أثرية تدل على حضارات عريقة موغلة في التاريخ.

على أطرافها توجد تلال وأودية ومعالم جغرافية لا تزال أسماءها عالقة في ذاكرة شعب (Girkêlegê) الأصليين ومنها:

- girkê Miho Dawid (تلة محو داود): تقع شمال البلدة بحوالي /١/ كم.

- **besta Siloke** (وادي سلوكا): تقع غربها بـ /٢/ كم فيه مكان أثري يسمى فيزو (fîzo)، إذ غالباً ما يتم العثور على الجرار الفخارية في تربته حتى الآن، وقد حاول آل عمو السكن فيه قديماً لكنهم ما لبثوا أن هاجروه ليسكنو كركي لكي نظراً لقلّة المياه في الآبار التي حفرها هناك.

- girkê Hêcî (تلة حاجي): يقع غرب البلدة وقد بنيت فوقه حالياً أبنية رميلان المعروفة بأبنية القرميد.

- **besta Kevirê Sor** (وادي الحجر الأحمر): يقع حالياً ضمن سور رميلان إذ تم بناء البرجين التابعين للرميلان فيه، وإلى الجنوب منه هناك بحيرة شيخ تمو وتلة شير (şîr).

- **besta wara** (وادي وارا): وتقع جنوب البلدة مكان سعدو من أكراد الكوجر

- **Mila bîra** (هضبة الآبار): شمال البلدة بـ /٢/ كم.

تطورها وتواريخ هامة:

- بنيت فيها أول مدرسة عام /١٩٥٨م/ في فترة الوحدة بين سورية ومصر، وأول المعلمين كانوا من مصر.

- تأسست الجمعية الفلاحية فيها عام /١٩٧٤م/، وكان عدد أعضائها /٢٩/ عضو.

- تم تأسيس مديرية حقول الحسكة النفطية في سنة /١٩٦١م/ في الرميلان، وأول بئر تم حفره في أطراف البلدة على يد الكردي ابن البلدة (سليمان يوسف)، وبتأسيس شركة رميلان تم اقتطاع الكثير من أراضي

- البلدة وخاصة أراضي (حجي إبراهيم)، وبالتحديد مزرعته المشجرة بأشجار الكرم (العنب)، وما زالت تزهر وتثمر في رميلان.
- تم افتتاح أول مقهى على يد (أحمد ترخاني الغرزي) سنة /١٩٦٥م/.
- تم تزويد البلدة بالماء من رميلان عبر أنابيب حديدية عام /١٩٦٥م/.
- توفي باني ومؤسس البلدة حجي حسين سنة /١٩٦٦م/ وسلم المخترعة إلى ابنه حجي شيخموس.
- تم بناء وافتتاح أول طاحونة في البلدة سنة /١٩٦٧م/ بشراكة بين آل بركات وعبود الديري.
- أولى المحلات التجارية في البلدة تم افتتاحها في نهاية الستينات وكان أول التجار هم: عبدالرحمن ابراهيم (عبدو عطار)، محمد كرو، ثم علي محمد (علي عطار) وكلها كانت محلات عطارة، ومن ثم تم تأسيس أولى محلات بيع الأقمشة على يد كل من (شيخ سعيد، حجي قاسم كلو، موسى عرب، حاجي رمو، عبدالعزيز أوسي، عبد اللطيف حاج علي، أمين عطار)، محل للخياطة (صليبي)، ومحل للحلاقة (سيد جميل)، محل ميكانيك (أيوبو)، ولازال قسماً منهم أصحاب محلات، وكان مركز السوق يقع في منتصف القرية بجانب منزل حجي طاهر وصالح مجدو.
- /١٢/٥/١٩٧٠م/ قدمت البلدة أول شهيد وهو المرحوم محمد بشير قاسم كلو.
- ومن ثم الشهيد عبدالله طاهر شبلي عام /١٩٧٣م/ ومن ثم عام /١٩٨٢م/ المرحوم الشهيد فاضل تمو.
- /١٩٧٨م/ أول فريق رياضي في البلدة كان اسمه (الإخوة) وكان مختلطاً فيه الكردي والعربي ثم تأسس فريق (فاسكو) المشهور على مستوى المنطقة.
- عام /١٩٧٨م/ تم تغذية البلدة بالكهرباء وبـ /٧٢/ عامود خشب.
- عام /١٩٨٣م/ تم الاحتفال بعيد نوروز في البلدة لأول مرة.
- أبو عبود من قرية تل داري (التابع لديرليك) هو من بنى واستثمر أول فرن حجري في البلدة وذلك عام /١٩٨٥م/.

- المرحوم علي محمد (علي كوركي) هو أول من بنى منزل على الشارع العام (الطريق الرئيسي بين قامشلي وديرك).

المناخ والجغرافية

يسود منطقة (كركي لكي) المناخ المتوسطي كعموم منطقة الجزيرة حيث الشتاء البارد الماطر، والصيف الحار الجاف، مع وجود فصلين انتقاليين معتدلين (الخريف والربيع)، أما الرياح فهي الرياح الشمالية الغربية على الغالب تتحول إلى جنوبية أحياناً مع غبار، الحرارة تصل صيفاً إلى /٤٥/ درجة، وتنخفض شتاءً إلى /٢/ ما دون الصفر.

معدل الأمطار /٤٥/ مم، ترتفع البلدة بـ /٤٥٠ - ٥٠٠/ متر عن سطح البحر. مساحتها كاملة /٩٠٠/ هكتار يزرع منها /٦٠٠/ هكتار و/٢١٥/ هكتار فقط نظم بها مخطط تنظيمي عندما تم إحداث بلدية فيها، /٨٥/ هكتار منها فقط ملك خاص (طابوا)، والباقي مطوبة باسم "أملاك الدولة"، طول البلدة المبني (ما عدا الأراضي الزراعية) /٢.٥/ كم شرق غرب، و/٣.٥/ كم شمال جنوب.

تطور الواقع الاقتصادي والخدمي في البلدة:

كانت كركي لكي قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها /٥٠/ نسمة، والآن سكانها أكثر من /٣٢٠٠٠/ نسمة بعد أن صدر بها قرار بأحداث بلدية بتاريخ ١٢/١١/١٩٨٨م. وتم تنفيذ البلدية عام /١٩٩٢م/ وألحق بها مزرعة رميلان النفطية فتطورت بشكل كبير ونمت وتوسعت أفقياً وعمودياً. يبلغ عدد الدور السكنية الآن حوالي /٣٢٠٠/ منزل وذلك بسبب الخدمات والأعمال التي نفذتها البلدية من جهة، ومن جهة أخرى بسبب قربها من رميلان النفطية التي يسكنها أكثر من /١٦٠٠/ عائلة ويعمل فيها عمال يقدر عددهم بـ /٨٠٠٠/ عامل ينفقون أكثر رواتبهم في سوق البلدة، وأيضاً لكونها تتوسط شبكة طرق ومواصلات تربط بين قامشلو وديرك وتل كوجر، وهي ملتقى القرى التابعة لمنطقة (آليان) بالكامل وقرى مناطق (الكوجرات) و(السويديات).

تستقطب البلدة سنوياً آلاف العائلات التي تستقر فيها، معظم السكان يعيشون في مستوى معيشي متوسط نظراً لتوفر مجالات عمل نسبياً، وأغلب السكان الأصليين فلاحين يعتمدون على الزراعة وهم أقلية، ونسبة لأبأس بهم موظفين من ذوي الدخل المحدود، وقسم من سكانها يزاولون مهن تجارية وحرفية وصناعية ضمن السوق الذي يمتد من أول البلدة إلى نهايته على الشارع العام، والذي يقسم البلدة إلى قسمين شمالي تقع فيه القرية القديمة وجنوبي حديثة البناء، وهذه المحلات عددها /٣٥٠٠/ محل منها /١٨٠٠/ محل مفتوح ومستثمر والباقي مغلقة وتستعمل كمستودعات وهناك /٤٠/ قيصرية.

قامت البلدية بتنفيذ شبكة صرف صحي يخدم أصحاب المحلات التجارية والدور السكنية بنسبة ٩٥ % وقامت بتنفيذ شبكة مياه حديثة بالتنسيق مع الوحدة الإدارية لمياه الشرب، ومن الآبار الارتوازية البالغة /١٣/ بئر، ولسد حاجة البلدة من مياه الشرب قامت بجر مياه سد السفان أيضاً، وتم تنفيذ شبكة إنارة للبلدة /٣٦٠٠/ عداد كهربائي مسجل في البلدة، وتم تخديم البلدة بالهاتف الآلي /٢٦٠٠/ مشترك، كما تم تنفيذ تزفيت بالمجبول الزفتي لأغلب الشوارع ضمن البلدة مع الشارع الرئيسي مع تنفيذ أرصفة وأردفة للشوارع مع تبليط الشارع العام قامشلو - ديريك بالانترلوك، وأيضاً تم تنفيذ سبعة حدائق مع تشجيرها لأكثر من مرة، وتقوم البلدية بتجميع وترحيل القمامة بواسطة العمال والآليات وحرقتها في المحرق المخصص لذلك، وتم شراء آلية قمامة ضاغطة مع حاويات لتغطية العجز الحاصل في نظافة البلدة نتيجة التوسع الكبير لها، وبهذه الخدمات والتحسينات وبوجود رميلان بجانبها، أصبحت البلدة موضع اهتمام الكثير من سكان المناطق المجاورة، وأصبحت عاصمة تجارية لما حولها، وتحولت الدور السكنية المبنية من الطين والقش والخشب إلى أبنية نظامية من الاسمنت المسلح بطوابق /٢-٣-٤/ وبطراز حديث، وبنيت فيها جمعيات سكنية حديثة كجمعية رميلان التي تضم /٧٠/ شقة، جمعية معبدة /٥٤/ شقة، والآن تم البدء بتنفيذ جمعية الحياة /١٧٤/ شقة وهناك أكثر من /٣/ جمعيات أخرى مشهورة ولم تبدأ بتنفيذ مشاريعها بعد، وهناك إحصائية تقول

أن حوالي /٣٠٠/ طن من الاسمنت الأسود تباع في سوق البلدة يومياً، أصبحت البلدة من بين الأعلى في أسعار العقارات، وهذا ما ذكرته إحدى القنوات المشهورة عربياً في نشرة اقتصادية مفادها أن بلدة (Girkêlegê) تعتبر البلدة الأحدث والأعلى عقاراً على مستوى سورية، وبعض دول الشرق الأوسط خاصة بعد إصدار قرار أحداث ناحية فيها بالقرار رقم /٢٤٨/ ن تاريخ ٢٣/١٢/٢٠٠٨ تم البدء بتنفيذ مركز الناحية ويتبع لها /٥٤/ قرية ومزرعة وبذلك سوف تصبح البلدة أكثر أهمية ومركزاً إدارياً وتجارياً كبيراً.

المؤسسات الرسمية والثقافية والخدمية في البلدة:

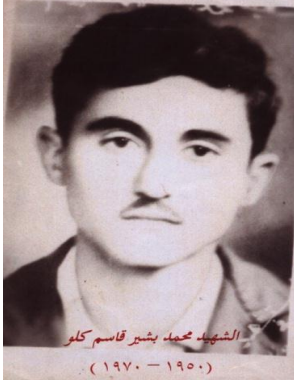
مركز بلدة، وحدة مياه، مركز طوارئ كهرباء، وحدة إرشادية. مستوصف حكومي، مشفى خاص، مدارس تعليم أساسي عدد /٥/ خمسة. ثانوية خاصة واحدة، معاهد خاصة عدد/٢/ اثنان، الكثير من المدارس الثانوية والمهنية بالرميلان، مركز ثقافي بالرميلان، محطة محروقات عدد/٢/ اثنان. عيادات أطباء عدد /٤٥/، صيدليات /٢٥/، مخابر طبية ودور أشعة، روضة أطفال، مدرسة خاصة لتعليم قيادة السيارات، فرن آلي واحد وفرن حجري واحد، طاحونة واحدة غير مستثمرة، معامل رخام وحجر عدد /٣/ ثلاثة، صالة أفراح عدد/٢/ اثنان، مكاتب لبولمانات نقل الركاب وهي كثيرة، سوق لبيع المواشي.

وأخيراً وبعد بدأ الثورة السورية تم افتتاح الكثير من المكاتب والمقرات التابعة للأحزاب الكردية، ومراكز ثقافية، وصلات وقاعات، ومراكز تعليم اللغة الكردية حيث يمارس شعبنا الكردي في هذه المكاتب والمراكز الكثير من النشاطات الثقافية واللغوية والسياسية بعد أن حرموا منها لأكثر من /٥٠/ سنة.

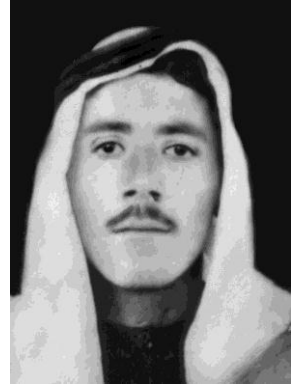
عانت كغيرها من المدن والبلدات والقرى الكردية مؤخراً من تداعيات الحرب والأزمة السورية، وهجرة أبنائها، وتغيير في تركيبها السكانية والديمغرافية.

المصادر:

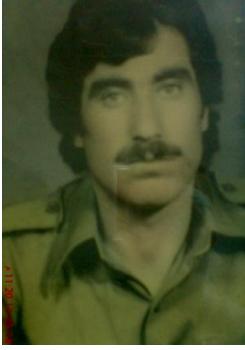
- دراسة و بحث عن كركي لكي ورميلان للاستاذ عبدالحليم علي
- مجلس بلدة كركي لكي ومؤسسات رسمية أخرى
- دراسة عن البلدة للاستاذ حسن صالح
- بعض من سكان البلدة الأصليين



الشهيد محمد بشير كلو



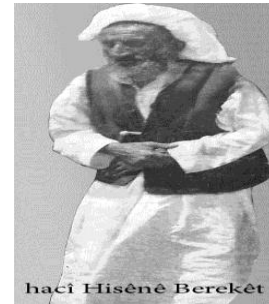
الشهيد عبد الله طاهر شبلي

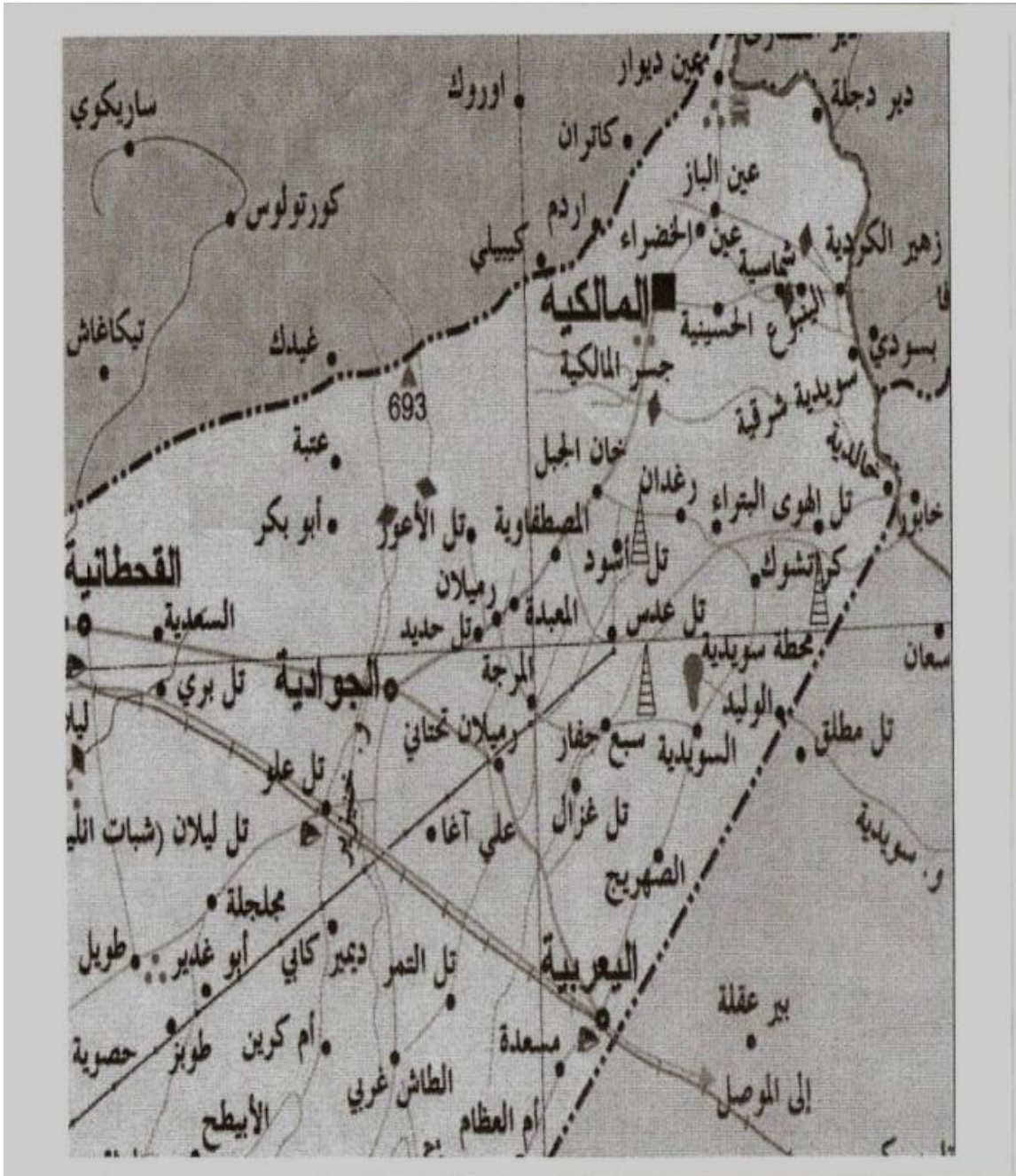


الشهيد فاضل تمو



صورة للشارع الرئيسي في كركي لكي





موقع (كركي لكي) على الخارطة

ديرك مدينة في منقار البطة*

محمد قاسم (ابن الجزيرة)

كنت لا أزال طفلاً لم يتم السادسة عندما أردف المرحوم والدي خلفه على ظهر بغل كان يركبه متجهاً من كركي سلمان (الصحية) إلى ديرك^(١) عبر ممر ضيق يقطع السهول والمرتفعات البسيطة والمغطاة في كثير منها بالحجر الأسود، سوى تلك الساحات التي امتدت إليها يد الفلاح العامرة لتحيلها إلى مزروعات مختلفة تمد البشر بضرورات الحياة.

ولا أتذكر كم من الوقت استغرقت رحلتنا - وهي ليست طويلة واقعياً - ولكنها بدت لي، حينذاك مملة. غير أن وصولنا إلى ديركا حمكو التي كنت أحلم دوماً - وكأي طفل ريفي - برويتها، خفف عليّ شعوري هذا، بل انقلب إلى سرور ونحن نجتاز كروم البلدة المخضرة، والتي كانت عناقيد العنب المختلفة تتدلى منها، وتظهر حيية من خلف أوراق الكرم الساترة.

وعندما نزلنا في دار خالي، الحاج محمد عمر - وهو واحد من مصادرنا الميدانية لهذا البحث - كدت أطير فرحاً بلقائهم، واستقبالهم البهيج لنا. ومما لازلت أتذكره - كحادثة طريفة - أن خالي نقدي وابنه إبراهيم - فرنكين، فاشترى كل واحد منا كأساً من الخرت - كما كانت تسمى - وهي عبارة عن بشر الجليد في الكأس وإضافة شراب حلو - غالباً ما كان صنعا محلياً، من الماء والسكر ومادة ملونة - وعندما وضعت ملعقة منه في فمي اشتدت برودته على أسناني فلم أحسن الاستمرار، لذا ناولت الكأس لابن خالي الذي تناولها مني فرحاً، وكان قد انتهى من كأسه فلهفها بسرعة وشغف، كما فعل في الأولى وأنا أنظر إليه بعين الحسد.

وفيما بعد انتقلت إليها للدراسة فيها، وعلى الرغم من الانتقال إلى قامشلي والحسكة ودمشق لدراسة المراحل التالية إلا أن صلتي بالمدينة بقيت مستمرة عبر زياراتي المستمرة، وقضاء شهور الصيف فيها غالباً إلى أن استقرت فيها نهائياً^(٢).

من هنا نشأت صلتي بهذه البلدة التي تحولت إلى مدينة تكبر يوماً بعد يوم خاصة في التسعينات من القرن العشرين ولا تزال.

كانت ديرك لا تزال بلدة صغيرة في مطلع الستينات هي عبارة عن حيين أحدهما في الجهة الجنوبية من الدوار الذي كان يحتضن تمثال الرئيس، والذي

أزيل بعد الثورة. وهو حي ناله التخطيط والاهتمام أكثر من جهة سلطات البلدية في تلك المرحلة، فكان أفضل تنظيماً من الحي القديم - القرية المسماة ديركا حمكو، الاسم الذي هو مسمى المدينة كلها.

فالقرية ديركا حمكو- الحي الشمالي من المدينة - وهو أقدم من الحي الجنوبي - كانت تتجمع بيوتها حول دير السيدة العذراء، والذي تم بناؤه في عام ١٩٥٤- وهو في وسط إسلامي كردي يشير إلى رابطة إنسانية ينبغي أن تؤسس وتقوى باستمرار. وفي أيام السبت عصاراً تتوافد الجماعات ذات النذور أو الآمال - فضلاً عن المتعبدة - إلى هذا الدير عبر شوارع وأزقة الحي الإسلامي - الكردي. وينسب البعض اسم ديرك إلى وجود هذا الدير الوحيد، قبل ان تبنى أديرة وكنائس بحسب حاجة أو رغبة كل طائفة، دير الأرمن ودير الكلدان... ودير السريان الذي جدد بناؤه بالاسمنت المسلح... الخ. كلمة (ديرك) هي تركيب من: دير- يك في اللغة الكوردية، أي الدير الوحيد. لكن المذاهب في التسمية تتعدد. يقول جمال الولي: ((.... كان يطلق عليها اسم ديريك؛ إلى تاريخ صدور المرسوم رقم ٣٤٦ تاريخ ١٩٥٧/٣/٢٤ فأطلق عليها اسم المالكية ... ويشق اسم ديريك من (ديروني) وهي كلمة سريانية، تعني الدير الصغير))^(٣).

هذا الرأي لا يوافق الواقع، ففي أكثر من موقع سميت الأديرة الصغيرة بلفظها كما في قرى (ديرونا قلنكا) أو (ديرونا آغي)، أو (ديرون كفنك) مثلاً في منطقة آليان. ويرى بعضهم أن الاسم مشتق من: دي ريك - أو (ده ريك = Dêrik، Dirêk) أي: الطريقان، حيث كان طريقان يمران بها، تربطان بين قرية (عين ديوار) حيث المستشار الفرنسي وباقي المناطق. واعتبر الأستاذ (صبري محمد) أنه أت من (ده هرك - Dihêrk) حيث (دو) تعني اثنين و(هرك) تعني مرتفع يكثر فيه الحجر الأسود. ذكر ذلك في محاضرة قرئت في كروب ديرك للثقافة الكوردية^(٤).

ديركا حمكو، نسبة لمالكها "حمكو" و لا يعرف عنه الكثير - عرفت حفيدة له- بعضهم يقول أنها ابنته - اسمها عدوله توفيت حوالي /١٩٥٥م/ عن عمر ناهز الثمانين، كانت تقطن في منزل بجانب كنيسة العذراء- بحسب ما تقول الحاجة وضحة رمضان حاجو^(٥).

- يقول يوسف القس ((وفي عام /١٩٥٧م/ وبقرار وزاري سميت المالكية، وتحولت فيها القيود والسجلات الرسمية. وألغي اسم (ديرك)). ويشير

إلى ظروف إلحاق الجزيرة بسورية، بقوله: ((.....وفي عام ١٩٣٠م/ ألحقت منطقة الدجلة - المالكية بأراضي الجمهورية العربية السورية تحت الانتداب الفرنسي ... وبعد عام ١٩٣٠م/ نزحت إلى هذه المنطقة مئات من العائلات المسيحية قادمة من أزخ وأفسس وقرى طور عبيد (جبل الأزل) وسكنوا قراها بعد أن عمروا بيوتها وفلحوا أراضيها وزرعوها...))^(٦) ويقول في ص ٢١ من الكتيب نفسه: ((بعد إلحاق هذه المنطقة في ربيع عام ١٩٣٠م/ بأراضي الجمهورية العربية السورية وتحت الانتداب الفرنسي نزحت إليها المئات من العائلات السريانية قادمة من أزخ وأفسس وطور عبيد، وكذلك من جبال البختيين وشمال العراق وجبال الزوزان، وسكنوا في ديريك وقراها...)).

ديرك بين الأمس واليوم

((كانت ديريك قرية صغيرة لا تتجاوز مساحتها (٥٥) هكتار بموجب المخطط التنظيمي الذي صدر عام ١٩٦٦م/ وصدق عام ١٩٦٧م/ أما اليوم فإن مساحة المالكية وفق المخطط التنظيمي تجاوزت (٨٧٨) هكتاراً...))^(٧). يعود بناء ديرك إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر/ ١٨٤٠-١٨٤٨م/ بحسب السيد - إسماعيل إسماعيل^(٨) - استناداً إلى حديث جرى بين المستشار الفرنسي وجده المرحوم إسماعيل حسين من مواليد قرية كرزك /١٨٧٥- ١٩٤١م/ كما تؤكد وثيقة صورة إخراج قيد جده الذي يعود تاريخ تسجيله فيها إلى ١٩٣٢/١٢/٢٦م.

سأله المستشار الفرنسي: من عمر هذه القرية؟ أجابه: والدي. قال المستشار: متى؟ قال: منذ حوالي ثمانين عاماً. (أي حوالي ١٨٤٨م). وكانت ذات بيوت من الطين.

و من سكان ديرك القدماء بعض من أقاربه مثل: رسول سلو، رمو موسى، حسين عبدو...وفيما بعد رمضان حاجو، وبعض أقاربه وهؤلاء جميعاً لا يزال ورتتهم يعيشون في المدينة.

وقد عرض إسماعيل إسماعيل صورة عن إخراج قيد- لدي صورة عنها- مدون فيها (المحلة أو القرية: ديريك حمكو). وهذا ينفي لفظة (حنكو) التي دسها بعضهم في ذهن السيد الولي فأوردها في كتابه المذكور.

ومن المعالم التي لا تزال إما ماثلة للعيان، أو مخزونة في الذاكرة عن (بلدة ديرك) والتي أصبحت (مدينة ديرك) فيما بعد:

١- الثكنة الفرنسية: يقول السيد جمال الولي: ((قدمت قوات فرنسية من (دمرقابو) أي باب الحديد (قرية زخيري -Zexîrê) في أيار أواخر الثلاثينيات. ثم بنوا ثكنتهم الكبيرة في ((ديريك))^(٩). ولا تزال أطلال هذه الثكنة قائمة. وهي في موقع مرتفع مطل على المنطقة من جهاتها الأربع.

٢- دير السيدة العذراء: الذي سبقت الإشارة إليه، ويقال أن موقعه كان آثار دير قديم، وبعضهم - يوسف كامل - يقول: إنه كان دار سكن اكتشف تحت أركانه صليباً على حجر، فاعتبر مؤشراً على وجود دير قديم، فتبنى أوقاف السريان بناءه وفق النموذج الحالي.

يقول يوسف القس: ((وفي عام /١٩٥٤م/ قرر المجلس الملي السرياني الأرثوذكسي في ديريك ترميم بناء الكنيسة))^(١٠).

٣- عدد كبير من ينابيع الماء: قبل أن تجف جميعاً - ومنها (العين العسكرية)^(١١) التي بقيت تحت أركان جسر على طريق عين يوار. أهدرت البلدية برئاسة السيد (جوزيف أنطي) معلماً أثرياً عمره يقرب من القرن. ومن العيون الأخرى، عين للرجال، وعين للنساء، وعين إبراهيم حمسيه، وهي كلها متقاربة، قريبة من منطقة العين العسكرية^(١٢) على طريق عين ديوار.

٤- دار بلدية: زالت آثارها، وربما ذكرها من ذاكرة الأغلبية، كانت في موقع دار المرحوم (محمود عبود كرو) الحالية على طريق مبنى التجنيد، وكانت تحيط بها حديقة تشمل موقع مؤسسة الكهرباء القديمة ودار خليل الماكينجي الآن، مسورة بأعمدة من حديد وسيم. وبالقرب منها - من الجهة الجنوبية - مبنى دائرة النفوس، لم يتبق منه شيء وتحولت إلى دور سكن علمياً بأن إحداث البلدية كان ((بموجب المرسوم ١٤١٤ تاريخ ١٨/٧/١٩٣٣م. - جمال الولي)).

٥- بحسب ما يذكره حاجي شاهين^(١٣) كانت مدرسة ابتدائية في موقع دار يوسف شلبي الآن - قريبة من الجامع الكبير - وكان بواقها يسمى (كليرو)، ويرجح أنها تعود إلى الفترة قبل العام /١٩٤٧م/ العام الذي تم فيه بناء أول مدرسة رسمية في ديرك، وسميت "مدرسة المأمون الريفية" هي الآن مكان لبعض دوائر التابعة لوزارة التربية، وبنيت أول مدرسة سريانية ملاصقة لكنيسة السريان عام /١٩٣٢م/ من الطين والخشب، مكونة من غرفة واحدة حوالي تسعة أمتار ...

أما أولى المدارس في المنطقة فقد كانت في قرية (عين ديوار).

٦- مبنى السراي - دار مدير المنطقة - كلاهما قائمان، يعودان إلى بدايات الخمسينيات من القرن الماضي (العشرين) - وكان مبنى للقائمقامية والقضاء في موقع قبلي الجامع الكائن غربي بناء مؤسسة البريد. وبجانبه استراحة للموظفين تحول جميعها إلى محلات ومكاتب وعيادات... يقول المهندس الزراعي محمد سيد أبو كاوة^(١٤). إنهم كانوا صغاراً يلعبون في هيكل بناء السراي في مطلع الخمسينات.

٧- مستوصف في موقع شعبة حزب البعث العربي الاشتراكي ((عام/١٩٤٣م/ كان أول عام يتم تلقيح التلاميذ ضد الأمراض السارية (الجدري والحصبة) في مستوصف ديريك - في شارع الأخطل - حالياً).
(كتاب المالكية - ديريك - جمال الولي).

٨- الجامع القديم (الجامع الكبير الآن): بجانب المطحنة (ومعمل الجليد) على طريق عين يوار، وكان مبنياً من الحجر والطين وسقف خشبي، وفي باحتها بركة ماء مبنية من الحجر ركب عليها صنابير ماء للوضوء فيما بعد، وفيها بئر يسحب الماء منه بالدلاء للوضوء بأباريق، وكان وقفاً من السيدة عائشة والدة الحاج صالح استلي الذي اضطر للذهاب مع أخيه محمد علي وأهلها إلى القامشلي - خوفاً على حياتهم - من بعض الأرخيين المستقوين بالفرنسيين حينذاك. بحسب (الحاجة وضحه).

٩- في موقع تمثال الرئيس كانت مجموعة من الدكاكين تابعة للبلدية ومؤجره إلى بعض المواطنين، وفي الجهة الشرقية والجنوبية منها صفوف من كولبات (كولك) مصنوعة من خشب وتتك تستخدم كمتاجر. وفي الجنوب الشرقي منها كان تنور أم سمعان والتي كانت وافدة مع أبنائها من حوران ومنهم المهندس الزراعي القدير (ماجد شماس) الذي كان مدرساً ومديراً لدار المعلمين بالحسكة في ستينات القرن الماضي.

وكانت توجد مقاه ومطاعم متواضعة تلبية حاجة المتسوقين... ومعالم أخرى دراسة لم يعد لها أثر ولا ذكرى إلا في ذاكرة قلة من الناس. منها مثلاً ((إحداث مخفر للدرك على نفقة النقيب في الجيش، حسني الزعيم وقد قام بتأجيره للدولة- جمال الولي)).

((وكان أول إنارة بالكهرباء في الخمسينات تقريباً من قبل ساغاتيل))^(١٥).
كتاب الحسكة، أحمد مارديني ص ٣٥٦.

التطور في الأداء الإداري لديرك

((أول قائم مقامية أحدثت فيها كانت عام ١٩٣٨م/ وعين الشيخ /رضا الأيوبي/ أول قائم مقام لمنطقة الدجلة. وكانت المنطقة والقائمقامية سابقاً في عين ديوار حيث قصر المستشار الفرنسي.

ويمكن الإشارة إلى أن منطقة ديريك أصبحت تابعة لسوريا بعد أن تم تخطيط الحدود بين سوريا وتركيا عام ١٩٢٨م - جمال الولي).

ويزيد الأمر توضيحاً، السيد أحمد مارديني في ص ٦٩ من كتاب الحسكة ...

((بعد الحرب العالمية الأولى خضعت البلاد للانتداب الفرنسي، وفي عام

١٩٢٢م/ أصبحت منطقة الحسكة ورأس العين قضاء مركزه الحسكة، وألحق

بمتصرفية دير الزور، وفي عام/١٩٢٣م/ أخذ التواجد السوري يتغلغل نحو

الشمال الشرقي، فأحدث قضاء ثان سمي بقضاء (بياندور) وفي عام

١٩٢٥م/ خرجت حملة عسكرية فرنسية من الحسكة نحو الشمال واستقرت

في قبور البيض (القحطانية)، وفي عام ١٩٢٨م/ تم تخطيط الحدود مع

تركيا، فألحق القسم الواقع في أقصى الشمال الشرقي للجزيرة (محافظة

الحسكة)، فجعل قضاء سمي بقضاء (عين ديوار).

وقد مرت تسمية ديرك بثلاث مراحل:

أ- مرحلة قائم مقامية الدجلة:

أول قائم مقام: رضا الأيوبي /١٩٣٨ - ١٩٤٣م/.

آخر قائم مقام: اسكندر حمامة /١٩٤٥ - ١٩٤٦م/.

ب- مرحلة قائم مقامية ديريك:

أول قائم مقام: ماجد المالكي /١٩٤٦ - ١٩٤٩م/.

آخر قائم مقام: محمد مهدي سلطان /١٩٥٩ - ١٩٦١م/.

ج- مرحلة مديرية منطقة المالكية:

أول مدير منطقة: الرائد محمود الحوراني /١٩٦١ - ١٩٦٢م/.

(تفاصيل هذا التقسيم في صالون السراي على لوحة بجانب باب مدير

المنطقة وفيه جميع أسماء القائمقامية، ومدراء المنطقة، وتواريخ إدارتهم).

يلاحظ أن حركة التعريب طبخت منذ بداية عهد الاستقلال، حيث أن سوريا قد

نالت استقلالها عام/١٩٤٦م/ ولكنها (حركة التعريب) اتخذت طريقها إلى

التطبيق في مطلع الستينات (عهد الانفصال بين سورية ومصر)، وتكرست

في عهد استيلاء البعث على السلطة في ٨ آذار ١٩٦٣م. بتبني نظام البعث

العربي الاشتراكي نهج الملازم (محمد طلب هلال) والذي تشير إلى إحدى

تطبيقاته، كراسة صادرة عن منظمة داد (DAD) لحقوق الإنسان، وفي

الصفحة /١١/ منه: ((تم تنفيذ المشروع العنصري في عام /١٩٧٣م/ على طول الحدود السورية مع كل من تركيا والعراق في محافظة الحسكة (الجزيرة) بطول /٥٧٣/ كم، وعرض ما بين /١٠-١٥/ كم، وقد تم بموجبه توطين الآلاف من العوائل العربية في هذه المناطق. جيء بهم من محافظتي الرقة وحلب.

أقامت لهم القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم /٤١/ مركز استيطاني وهي: ((١- عين ديوار، ٢- تل الصدق، ٣- الصحية، ٤- مصطفاوية الغمر ٥- تل أعور الغمر، ٦- حمراء الغمر، ٧- تل علو رقم ١، ٨- تل علو رقم ٢، ٩- جوادية الغمر، ١٠- شبك الغمر، ١١- توكل الغمر))، ووزعت عليهم أكثر من ثلاثة أرباع مليون دونم من أخصب الأراضي الزراعية من المساحات المستولى عليها من أراضي المواطنين الكرد، وحرمت الآلاف من العائلات الفلاحية الكردية من أراضيهم الزراعية^(١٦).
قائم مقامية الدجلة (المنطقة التابعة لها)

كانت عين ديوار قضاء باسم (قضاء عين ديوار)^(١٧) حوالي /١٩٢٨م/، بعد إلحاقها بسورية. ثم انتقلت إلى ديرك التي أصبحت فيما بعد التعريب (المالكية). فما هي المناطق التي كانت تتبع هذا المركز الإداري سواء في عين ديوار أو في ديرك..؟

يقول مؤلف كتاب: الجزيرة في عهد الاستقلال والحرية^(١٨):

((وتسمى مدينة ديريك وملحقاتها، عين ديوار، ديرونة آغا، تل علو وتل كوشك - Tilkoçek (مركز هام وفيه محطة تل كوشك الشهيرة؟)، وهي واقعة على السكة الحديدية بحدودي العراق وسوريا)، وهي أول محطة سورية من الشرق، وقد لعبت دوراً كبيراً في الحرب، وتزورها شخصيات كثيرة، ولو عني بها جدياً لأضحت من المحطات المنظمة والمزدهرة - تل كوشك، و(جل آغا) بقضاء الدجلة لوقوعها على مقربة من نهر الدجلة)).
ويقول:

((في الجزيرة عشائر متنوعة وكثيرة، ولها رؤساء وزعماء ناصرُوا القضية الوطنية في أطوارها، وهي قسمين: عشائر عربية وعشائر كردية، ولهذه العشائر مصلحة حكومية منظمة مركزها في الحسكة تسمى مصلحة العشائر وهي تدار اليوم من قبل الملازم أول (بكري قوطرش) الذي استطاع بأخلاقه العالية، ونشاطه الكبير وإخلاصه أن يزيل كثيراً من الخلافات ...))،
فالمنطقة التي كانت تدار من قبل قضاء الدجلة - أو المالكية فيما بعد - كانت

واسعة تصل حتى قبور البيض (تربه سبي) المعربة إلى (القحطانية)- وناحيتنا تل كوجر(تل كوشك) ، وجلاغا أو (جل آغا) التي عربت إلى (جوا دية)، ولكن بعض الإجراءات الإدارية طرأت عليها: إحداث ناحية (كركي لكي) المعربة إلى (معبدة)، و إلحاق ناحية (تربه سبي) بمنطقة قامشلي^(١٩) .
يقول السيد إسماعيل إسماعيل:

"استقدم جدي (كبرو الحكيم) من أزخ لمعالجة ابن عمه (رسول سلو) الذي جرح في قتال مع بعض العشائر التي حاولت قطع الطريق أمام (نايف مصطفى باشا) في إحدى رحلاته من زوزان إلى منطقة جبل (قره جوخ - كراتشوك) ثم الطلب إليه السكن عنده. وكان كل من القس (أفرام كوركيس كني) جد (د.ريمون)، وإبراهيم سيدكي (والد المحامي المرحوم صبري) قد جاؤوا قادمين من (آزخ - هزخ)، و(أسفس - هسپست) هربا من الأتراك، وسكنوا القرية معه^(٢٠) .

ملكية ديريك

لم يقبل حسين وابنه إسماعيل تسجيل ديرك باسميهما تعففاً- بحسب حفيدهما اسماعيل - على الرغم من كونهما البناة الأوائل لها، لأن ملكيتها تعود لشخص اسمه (رزقو). فمن هو رزقو؟ وكيف امتلك ديرك؟
الآراء متفاوتة حول ذلك وسنوردها، ثم نعلق عليها إذا وجدنا ما يستدعي التعليق.

١- كان رزقو أنطون هو مالکها وقد اشترها من بعض الملاكين من جزيرة بوطان (جزيرة ابن عمر)، ولكنني لا أذكر أسماءهم (تاج الدين قدري عبد الغني).

٢- كانت ديريك ملكاً لثلاثة أشرف من جزيرة بوطان هم كل من:

(أ) محمد حاجي حافظ (صاحب قصر دلا) - (ب) عبد الكريم أفندي (أبو درويش) - (ج) سيد سليمان. قتل بعضهم أخاً لـ (رزقو)، ووضعوا جثته أمام دار أحد الملاكين (محمد حاجي حافظ) فاضطر - تحت ضغط اتهامه - إلى مصالحة بالتنازل عن حصته لـ(رزقو) واشترى آل عبد الغني (قدري واخوانه) بعضاً من حصة رزقوا الذي مات ولم يكن له أولاد يرثونه فجاء ابن أخيه (سليمان أفندي) من العراق، وباع حصته لأوقاف السريان - الذي تمثله الكنيسة - لقاء مبلغ /١٥٠٠٠/ خمسة عشر ألف ليرة سورية (عن إسماعيل هيببت).

٣- كانت ملكية ديريك تعود إلى كل من: أ- عبد الله شعبان - من أشرف

الجزيرة. ب- يوسف أفندي أخو رزقو. وكان والدهما رئيساً لبلدية جزيرة بوطان - يتفق معه إسماعيل هيبب في هذه المعلومة- وقد جاء يوسف أفندي بمساعدة من (إسماعيل حسين) إلى ديرك ثم ببشاور (فش خابور) هرباً من الترك. وقد ترك خلال هذه الرحلة وديعة عند جدي - مسدساً - بقيت لديه على مدى خمسة عشر عاماً، وقد حمل جدي أحد المهربين دعوة إلى رزقو الذي كان يسكن في العراق للمجيء إلى ديرك وتسلم ملك أخيه. فحضر مع زوجته (شفيقه)، وسكنا دار جدي مدة حتى جهزت داره، أخبره جدي بخبر ملكيته لديرك خلفاً لأخيه (يوسف أفندي) مناصفة مع (عبد الله شعبان)، ثم سلمه وديعة أخيه - المسدس - وبعد وفاة رزقو تفاهم أوقاف السريان - تمثله الكنيسة - مع آل عبد الغني - وكلاء عبد الله شعبان على تقاسم ملكية ديرك بواقع الثلثين - للأوقاف - والثلث لآل عبد الغني (إسماعيل إسماعيل).

٤- كانت القرى المحيطة بديرك حتى (عين ديوار) تحت سيطرة مصطفى باشا - كما تقول الحاجة وضحة رمضان حاجو-^(٢١) وتتابع القول: وكان وكيله عبد الكريم أفندي قبل أن يجيء رزقو الذي استلم ملكية ديرك من ابن أخيه (صبري)، والذي كانت أخته زوجاً لـ (سليمان حاج إيليا)، وعلى أساس ذلك ظل سليمان هذا يتصرف حتى وقت متأخر - في بيع قطع من أراضي ديرك - ولم تعرف كيف تم انتقال الملكية إلى أوقاف السريان، ولكنها قالت: بأن آل عبد الغني يمثلهم قدرتي، حصلوا على ما حصلوا عليه عن طريق السيدة (لطفية) زوج (عثمان أفندي)، ومن ثم (عبد الكريم أفندي)، وكانت ترتبط بصلة قرابة مع آل عبد الغني، وقد أيد (يوسف كامل)^(٢٢) هذه المعلومة دون ذكر للسيدة لطفية، ولكنه قال: عن طريق عبد الكريم أفندي وابنه، وكانا ينزلان في ضيافة رزقو الذي - بحنكته - تسلم البلدية والمخترة أيضاً على الرغم من معارضة البعض مثل ((داوود متو، سلو حاجو، كامل عثمان (والد يوسف.))، ووجدوا بسبب موقفهم تعنتاً من السلطات الفرنسية التي أرادت إجبارهم على القبول به.

٥- (حمكو) كان مالك ديرك وهو من (جزيرة بوطان)، وقد اشترى رزقو منه ملكية ديرك.

هذه الروايات المتعددة تتفق على أن:

١ - ديرك كانت ملكاً لأشراف جزيرة بوطان. والد رزقو كان رئيس بلدية جزيرة بوطان، فلا يستبعد - في هذه الحال - أن يكون واحداً من أشراف الجزيرة الذين لهم حصص في ديرك، أو أنه حصل على حصة عبر وظيفته

كرئيس للبلدية.

٢- كانت المنطقة كلها تتبع جزيرة بوطان التي كانت إمارة كردية توالى عليها أمراء تمثلت في آخرها (البدرخانيون) الذين جرت حروب بينهم وبين الحكومة التركية - العثمانية - وكانت النتيجة نفيهم أو هروبهم إلى سوريا، وبلدان أوربية مختلفة، وقد أصدر أحدهم (مدحت عالي بدرخان) أول جريدة كردية والمسماة (كردستان) التي صدرت عام ١٩٩٨م/ في القاهرة، ويحتفل الكرد بتلك المناسبة كل عام، في ٢٢ نيسان.

٣- من كان يتمتع بوعي مدني يعتمد على المعرفة بالقراءة والكتابة، كانت الفرص متاحة له للحصول على الأراضي والقرى، وتسجيلها باسمه أيضاً بحسب (حنا بولص عميريني)^(٢٣) الذي يستمر قائلاً: "وهذا يفسر أن بعض الناس لديهم الوثائق في حين أن الكثير من المتصرفين بالأراضي ظلوا فلاحين بلا وثائق" منهم في ديرك مثلاً: رمضان حاجو، داوود متو، آل جانكو، آل إسماعيل حسين وأقربائهم، (عن بولص عميريني)، وهم من السكان الأقدم فيها.

عين ديوار

قرية عين ديوار كان المركز الأول للمستشار الفرنسي تعرف بقضاء عين ديوار، ثم قضاء الدجلة قبل أن تصبح ديرك قضاء الدجلة ومركزاً للمستشار الفرنسي ولدوائر الدولة المختلفة.

هذه القرية تطل على نهر دجلة الذي ينساب حيناً، ويهدر حيناً آخر، ينشر الحياة حيث يجري، ومن جهة أخرى فهي تطل على مدينة (جزيرة بوطان)، والجسر الأثري المعروف بـ (Pira Bafid) كما يسميه الكرد، و(الجسر الروماني) كما يرد في الأدبيات العربية، ويعد أهم أثر (... يتألف من ثلاثة أقواس تحتوي على أبراج كما يبدو إنها كانت تستخدم لرصد فصول السنة من خلال اتجاهات الشمس - جمال الولي)^(٢٤).

((ويذكر السيد جمال الولي بأن طبيباً فرنسياً كان في عين ديوار قتل لأسباب أخلاقية، فحل محله الطبيب الكردي الشهير (أحمد نافذ بك) في صيف حزيران عام ١٩٣٠م/ اقترح على رئيس بلدية عين ديوار حينذاك السيد (عبد الكريم ملا صادق) أن يتم تجميع المياه في حوض كبير، وتزرع حوله الأشجار المثمرة، نجح المشروع، وزرعت عين ديوار بالأشجار المثمرة ((^(٢٥)، وتوجد آثار عدة منها (مناروك)، و(عين غيدا) أدنى الجسر الروماني، وبجانبه أطلال يقال أنه لجامع. هذه القرية السياحية الجميلة - المهملة من

المعنيين بكل أسف - مرشحة لأن تكون أفضل موقع سياحي يجمع بين جمال التضاريس والتواء نهر (دجلة) الموغل في التاريخ، المشبع بالأحداث والحكايا، والمطل على جزيرة بوطان حيث ملحمة (مم وزين) الخالدة، والتي خلدها (أحمدي خاني) شعراً، وترجمها إلى العربية الدكتور (محمد سعيد البوطي) في عدة طبعات أهمها الطبعتان الأولى في دمشق وأواخر الخمسينات من القرن الماضي، والثانية مطع الستينات في بيروت قبل أن تحذف مقدمته بطلب من السلطات السورية عندما رغب في إعادة طبعه إثر محاولة سرقة من مخرج أردني تحت عنوان: عندما يبكي الربيع (القصة المذكورة في مقدمة الطبعة الثالثة)، وتتميزان بكونها مقدمة تعد جريئة سياسياً حين صدورهما. ثم توالى كتاب كورد في معالجتها كل بطريقته. فضلاً عن مكانتها في الثقافة الأوروبية وغيرها. مدينة جزيرا بوتان (جزيرة ابن عمر) مدينة حبلى بحكايا التاريخ العلمي والإداري والعسكري، ومنها حكاية ندرجها لطرفتها: سأل الأمير مستشاره (علو): ما أطيب طعام في لقمة؟ فقال: البيض.. وسكت الأمير حتى مر عام كامل، وفي نفس اليوم قال: علو بماذا؟ فرد علو سريعاً: بالملح أيها الأمير!! إنها من علامات الذكاء والآداب في الحكم.

وأود أن أختتم هذا البحث بالحديث عن أول إمام وهو (الملا عبد السلام الجزيري)، لأول جامع في ديرك - الجامع القديم^(٢٦) - الذي مرت الإشارة إلى أن السيدة (عائشة أم صالح استلي) عمرته على نفقتها^(٢٧) - لكنه لم يدم في ديرك طويلاً بل ذهب إلى قامشلي خوفاً من بعض الأزرخين^(٢٨) الذين تناغموا مع الفرنسيين واستقووا بهم فكانوا يقتلون المسلمين - وهم الكرد هنا- مما أوجد ارباكاً في المنطقة، تمخض في بعض حالاته عن استقدام الإنكليز على يد والد (يوسف القس) - (كما يذكر كتاب المالكية - ديريك - جمال الولي) لضرب القرى الكردية ومنها قضاء رجب (قزرجب) والتي أشعل النار فيها، واحترقت فيها العديد من البيوت ، وكذلك أول ديوان شعري للملا عبد السلام الجزيري، الذي كان من ساكني القرية- الحوار) كما دخلوا قرية (حناوية أو حنيوية) بعد مقتل (رمي فقه) والد الشاعر الضرير (سلو كورو) الذي حفظ الكثير من أشكال الغناء والملاحم إلى جانب غيره من شعراء الكرد الغنائيين، ومنهم (رموي دنك بيژ) شاعر آل حاجو الذي قضى ردهاً من الزمن في ديرك يرعى شؤون دراسة أولاده فيها، ولا يزال الكبير منهما مقيماً في ديرك، أخبرني إنه يحاول جمع تراث أبيه الغنائي.

وأما الملا عبد السلام فقد كتب عنه مفتي قامشلي، الملا (أحمد بن الملا محمد

الزفركي) في شرحه لديوان الملا الجزري المشهور والذي سماه: (العقد الجوهري في شرح ديوان الملا الجزري) - قال في خاتمة الجزء الثاني منه: ((ولكن الحق يقال إن الذي لقيت منه معونة في ابتداء عملي كان المغفور له العالم الفاضل الملا عبد السلام ناجي الجزري رحمه الله. والذي كان من أعيان علماء الجزيرة وكان إماماً ومدرساً في (المدرسة الحمراء) بجزيرة ابن عمر - التي بناها الأمير (شرف خان) في القرن العاشر الهجري، المعاصر للملا - رحمه الله - والتي دفن فيها الملا أيضاً - يقصد الشاعر الملا الجزري صاحب الديوان - ثم هاجر الملا عبد السلام لأسباب سياسية ودينية إلى سوريا وكان إماماً في الجامع الكبير بمدينة القامشلي ... فرحمه المولى رحمة واسعة وأسكنه غرف جنانه أمين))^(٢٩). (ويمكن الإضافة بصدد الملا عبدالسلام الجزري، أنه قد قام فعليا بشرح مهم لديوان الجزري، وقد تم طبع نسخته للشرح في إقليم كردستان العراق، بإشراف العلامة عبدالرقيب يوسف، الذي هو بدوره من أبناء جزيرة ابن عمر. كما توجد النسخة المخطوطة من شرح الديوان عند حفيده، عزالدين بن زين العابدين بن عبدالسلام. هذا وستقوم الحوار بنشر دراسة موجزة عن الملا عبد السلام في الأعداد القادمة.)

وآخر ما نختم به البحث، هي العبارات التالية التي وردت في دراسة عن منطقة المالكية (ديرك) في أحد أعداد نشرة (الطريق)^(٣٠). ((عند القيام بأي بحث أو دراسة حول منطقة المالكية لا بد من العودة إلى تاريخ إمارة بوطان (جزيرة ابن عمرو) نسبة إلى الحسين بن عمر بن الخطاب، واسمها القديم بالأرامية (كازار تاي كوردو)).

((كانت إمارة بوطان أسوأ حظاً من الولايات الكردية. إذ تجزأت إلى ثلاثة أقسام، القسم الأكبر منها في سوريا، وجزء صغير في العراق، والباقي ظل في تركيا، مع بقاء الجزيرة نفسها داخل تركيا ..))، وهذا ما جعلنا نزاوج قليلاً بين الحديث عن جزيرة بوطان وعن ديرك. ونأمل أن نكون قد قدمنا عرضاً مفيداً ولعلنا سنتبعه بعرض آخر فيه تفاصيل أكثر، ونتناول حكايات وقصص وأحداث أخرى. بتوفيق من الله.

*١- برغبة من السيد شفان دهوكي كتبت بحثاً موجزاً عن ديرك ترجمه إلى اللغة الكوردية بالأحرف العربية، ونشره في مجلة "ميرك" التي تصدر في

كوردستان العراق - العدد ٣٤ آذار / ٢٠٠٨م، ثم أتبعته بعدة حلقات نشرتها في المواقع تحت عنوان "ديرك مدينة في منقار البطة"، وهو مصطلح جغرافي يقصد به منطقة الجزيرة السورية. وأطمح ان أستكمل البحث ليصبح شاملاً يصلح لأن تجمعه دفنا كتاب إن شاء الله. لذا أمل من كل من يود أن يفيدني لإغناء الموضوع، أو تصحيح ما أخطأت فيه، أو إضافة... مرفقاً بالوثائق والثبوتيات، فليتكرم بالاتصال بي على:

الهاتف /٧٥٠٥٤٣/ أو الموبايل /٠٩٤٥٣٥٦٣٧٢/ الإيميل: m.xane@hotmail.com أو لقائي مباشرة

١- بدعوة مشكورة من مجلة (الحوار) التي أقدر جهودها في الغاية والمنهج والاستمرار - عبر هيئة التحرير- فقد هيات هذا البحث، وهو عبارة عن إعادة صياغة للحلقات التي نشرت على الانترنت تحت عنوان "ديرك مدينة في منقار البطة".



الهوامش والمراجع:

- (١) كنا نربع في هذه القرية (كركي سلمان) الغنية حينها بالماء و الخضرة.
- (٢) انتقلت إليها لدراسة الصفوف (الأول والثاني والثالث والرابع) الابتدائي ١٩٥٩-١٩٦٢م/ ثم التاسع/١٩٦٧م، وعلمت فيها ما بين /١٩٧٦ - ١٩٧٩م/ لأعود إليها لتدريس الفلسفة في ثانويتي يوسف العظمة والطليلة للبنات منذ عام /١٩٨٣م/ حتى عام استقالتني /١٩٩٣م/، وقد استقرت فيها نهائياً.
- (٣) كتاب المالكية - ديرك ص ١٠٢ - وبذكر السيد احمد مارديني في كتابه محافظة الحسكة ص ٢٢٠ ((وفي عام /١٩٣٦م/ أصبحت مدينة المالكية - ديرك آنذاك - مركزاً للمنطقة وقد تبدل اسم ديرك فأصبح المالكية وذلك في عام ١٩٦٠/١٩٦١م)).
- (٤) " كروب ديرك للثقافة الكوردية" تجمع ثقافي أسسته مجموعة شباب من مثقفي المدينة عام /١٩٩٥م/ بوحى من دعوة الكاتب الكوردي (محمد أمين بوز أرسلان) الذي دعا ليكون هذا العام عام ملحمة (مم و زين) و(أحمدي خاني)، واستمر في أنشطته الثقافية حتى العام /٢٠١١م/، وجمدها بعد أن كثرت التجمعات الثقافية والسياسية. استضاف معظم مثقفي الكورد في الجزيرة.
- (٥) الحاجة (وضحة) زوج المرحوم الحاج صالح كولكي - نسبة إلى -كولبة - كولك بالكوردية - كان يستخدمها للبيع والشراء مطلع مجيئه الى ديرك ثم تحسنت حاله، واقتنى دكاناً، ومن أولاده الطبيب (سليمان صالح)، وغيره حصلوا على شهادات عليا بما فيهم بناته، وكل ذلك بفضل والدتهم التي تمتعت بوعي مميز كامرأة في ظروف غلبت الأمية والجهل فيها رجال المنطقة ونساءها. - وكانت هي أيضاً أمية -.
- (٦) يوسف القس، كتيب كنيسة السيدة العذراء، ص ٢٠، وهو نفسه مؤلف كتاب (آزخ رجال وأحداث).
- (٧) جمال الولي - كتاب المالكية - ديرك.
- (٨) حفيد اسماعيل حسين الذي عمر والده قرية ديرك، وكان هو مختاراً فيها.

(٩) جمال الولي - كتاب المالكية - ديرك.

(١٠) كتيب (كنيسة السيدة العذراء ولمحة عن المالكية).

(١١) عين ماء جهزه الفرنسيون ليكون نبعاً لماء نقي ظل سكان ديرك يستخدمون ماؤه لغلي الشاي خاصة قبل تمديد شبكة المياه الى البيوت.

(١٢) كان هناك عين جار في موقع شرقي الحديقة الشمالية العامة، يسقى منه الخضار والقطن لغزارة مائه وتصب مياهه في الوادي المحاذي لطريق عين ديوار وكان يسمى (عين كنعو - kaniya kin,o)، كما كان يعرف بعين (أجدان) الذي كان ضمن أرضه ويستثمرها، واجدان هذا من مناطق حلب وفد مع الفرنسيين، وحصل على هذه الأرض وغيرها. وعيون أخرى كثيرة متفرقة المواقع..

(١٣) حاجي بن موسى المعروف بـ"موسى إيرسي" أخو مدرس الرياضيات (جميل شاهين)، نقلت عدداً من المعلومات عنه، كان يتذكرها، قبل أن ينتقل إلى رحمة الله.

(١٤) المهندس (محمد سيد أبو كاوة) من أوائل الطلبة في ديرك، وكان من المتميزين فأوفد للدراسة، وحاز على الهندسة الزراعية، وكان خبيراً نشطاً في مؤسسة إكثار البذار، توفي منذ فترة - رحمه الله - وهو من عائلة متميزة بتحصيلها.

(١٥) ساغاتيل كان أحد أغنياء البلد، أرمني، ولا يزال أحد ابنائه يقيم في ديرك معروف بـ"كربو".

(١٦) كراس منظمة داد للدفاع عن حقوق الإنسان والحريات العامة - التقرير السنوي لحالة حقوق الإنسان في سوريا لعام ٢٠٠٦م/، وقد ذكرنا هنا فقط المراكز التابعة لديرك.

(١٧) أتساءل عن سر صياغة اسم عين ديوار من كلمتين إحداها عربية "عين" والثانية كوردية "ديوار" ويعني جدار؟

(١٨) عز الدين السمان، وشوقي البعاج، كتاب: الجزيرة في عهد الاستقلال والحرية ص ١٤. (مع ملاحظة أن الاسم الأصلي (تل كوجر تحور على اللسان

العربي إلى تل كوشك ربما لأنه أسهل أو لغاية تعريب).
(١٩) إذا كانت المصادر جميعاً تعتبر اشتقاق اسم قامشلي من اسم النبتة المعروفة في استعمال اللغة الكوردية بـ "قامش" فلماذا لا نلفظها "قامشلي" بدلاً من قامشلو ذات الصيغة الشعبية. بغض النظر عن محاولات البعض نفي الصفة الكوردية عنها بأي وسيلة.

(٢٠) إسماعيل إسماعيل حفيد إسماعيل حسين الذي عمر قرية ديرك. كان المراقب في دائرة نفوس ديرك لفترة طويلة، وهذا قد يكون وفر إطلاعاً على معلومات مفيدة.

(٢١) الحاجة (وضحة رمضان حاجو) زوج الحاج (صالح) المعروف بـ (صالحي كولكي) - رحمه الله، من أولادها الطبيب (سليمان)، والصيدلي (أنس)، وطبيب العيون (مصطفى)، وآخر دكتور في الآثار اسمه (مامون)، وغيرهم، وقد استطاعت أن تدفع أولادها للدراسة والتحصيل العلمي بما فيهم بناتها ومنهن: (أميرة - إجازة جامعية) مع أنها أمية، فهي نموذج المرأة الناجحة في حسن إدارة أسرتها.

(٢٢) يوسف كامل يناهز الخمسة والستين من العمر، أبوه كامل من الذين سكنوا ديرك منذ البدايات، ولا يزالون وهم فلاحون في أرضها.

(٢٣) حنا بولص عميريني ويعرف في النفوس بـ (حنا إسرائيل) كان يعمل في البريد في ديرك، وهو من جيل (يوسف كامل) كما كان والده فلاحاً مع والده. تعزز بعض الروايات هذا التفسير بالقول: كانت ملكية رزقو مقصورة على مساحة صغيرة ثم تمدد في الأراضي-يوسف كامل- كما فعل ملاك ديرك بعده(الأوقاف المسيحية وآل عبد الغني). ويذكر أن رزقو كان على وشك الهروب إلى قامشلي بسبب تهديد بعضهم لكن "والدي تكفل بحمايته" فاستقر.

(٢٤) ما سمعته من المرحوم (واديملا عبد الكريم حسين) حكاية يتم تداولها في الأثر الشعبي، أن باني الجسر اعتذر للأمير عن بنائه، لكن ابنة الأمير الذكية أقنعتة بالبناء بطريقة ذكية وطريفة، إذ استصحبته إلى موقع الجسر، فلما قال: لا أستطيع، رمت كيساً من الذهب في الماء وقالت له: ضع ركناً هنا ورمت كيساً آخر قائلة: والركن الثاني هنا ولما لاحظ البناء أنها مستمرة في ذلك، قالت: أميرتي سأبنيه. ويقال أن الأمير قطع إحدى يديه لكي لا يبني مثله

في مكان آخر. لكنه تحدى إعاقته وبني جسر (دلال) في (زاخو). وهو جسر مماثل أو شبيهه.

(٢٥) جمال الولي، كتاب المالكية - ديرك ص ٢٤.

(٢٦) ذكرت الحاجة (وضحة) أن جامعاً من طين كان موجوداً قبله في القرية - المنطقة المحيطة بكنيسة السيدة العذراء - وكان فيه إمام ثم خلفه الملا (أحمد مدهي) المعروف بـ "ملا أحمدي خليفة"، وكان أعزباً لم يتزوج قط فيما أعلم. وكان ذا صوت شجي وهو يترنم بقصائد ديوان الملا (أحمد الجزيري)، وكان يميل إلى أن شرح المفتي للديوان أكثره يعود للملا (عبد السلام). التقيته مرات كثيرة - رحمه الله - شاركه اتجاهه هذا المرحوم (ملا إسماعيل) المعروف بـ (ملا إسماعيل الجزيري) أو (ملا إسماعيلي شيرو) نسبة لقرية (شيرو) الواقعة بالقرب من بلدة (كركي لكي) التي تبعد عن ديرك حوالي /٣٠/ كم كم باتجاه القامشلي، وكان إماماً فيها قبل انتقاله إلى كركي لكي حيث لا يزال أبناؤه. وقرية شيرو هذه ذات ذكريات أليمة لمقتل كل من (شاكرو وعفراء) فيها إضافة إلى ابنة الأخيرة، وهي لا تزال طفلة صغيرة حوالي العام /١٩٥٨م/ أو /١٩٥٩م/، وربما كانت الحادثة من أسباب التوهج القومي الكوردي في المنطقة بسبب الطابع العرقي لمجريات هذا الحدث. وهي قصة لا يزال يتذكرها بألم الذين عاصروها.

(٢٧) الحاج صالح استلي وإخوته كانوا في ديرك، ولهم عدد من الدكاكين لكنها اغتصبت بحيل مختلفة بعد أن هدد بعضهم بقتلهم فلجأوا إلى قامشلي، ولا يزال من بقي حياً منهم، وورثتهم يعيشون فيها. ومنهم المراسل (دانيال عبد الفتاح) والدكتور الجراح (خالد...).

(٢٨) الحاجة وضحة، يوسف كامل، عبد الرحمن رمضان حاجو.

(٢٩) أحمد بن الملا محمد الزفندي، كتاب (العقد الجوهري في شرح ديوان الشيخ الجزري) - الجزء الثاني - طبعة ثانية - مطبعة الصباح ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٣٠) مجلة الطريق كان يصدرها (حزب الشغيلة الكردي) الذي انقسم على نفسه فقاد جناحاً فيه المرحوم (صبغة الله سيدا)، وعاد إلى الانضمام إلى اليسار الكردي... (ما الجناح الرئيسي فقد تحول إلى حزب الشغيلة الديمقراطي الكردي، عام ١٩٩٠، ليندمج في حزب الوحدة الديمقراطي

الكردي "يكيبي" عام ١٩٩٣. جدير ذكره أن مجلة الحوار في أحد أوجهها هي استمرارية لمجلة الطريق التي أورد ذكرها الاستاذ محمد قاسم، حيث تشكلت نواة هيئة التحرير من أسرتها، كما أن المواد الرئيسية للعدد الأول من مجلة الحوار هي من أرشيف مجلة الطريق، وكان من المفروض أن تصدر في آخر عددها منها، إلا أنه فضلنا أن ندرج ضمن الخط - المسار الثقافي والسياسي الجديد، متمثلاً بمجلة الحوار الحالية. ملاحظة من رئيس التحرير.

=====

حوار مع الكاتب واللغوي الكردي

درويش غالب درويش

أسرة الحوار

بداية، نرحب بكم ضيفاً كريماً على صفحات مجلة "الحوار". حبذا لو تفضلتم بالتعريف عن هويتكم الشخصية والأدبية؟

شكراً لكم على الترحيب... اسمي درويش غالب من مواليد ١٩٤٥ عشت طفولتي الباكراً في قرية نجم الواقعة على طريق قامشلو-عامودا. لم تكن دراستي الابتدائية منتظمة وأكملت الإعدادية بين مدرستي عمر والسريان، ودرست الثانوية في مدرسة العروبة في قامشلو ثم ذهبت إلى أوروبا للدراسة، وحصلت على شهادة هندسة الكومبيوتر من تشكوسلوفاكيا، وبعدها عدت إلى قامشلو حيث أسكن الآن.

س١: إستاذ درويش، كيف كانت بدايات اهتمامك باللغة الكردية، ولمن يعود الفضل الأول في تعلقك بها؟

ج١: في ذلك الوقت كانت اللغة الكردية هي بوابة الدخول إلى أي نشاط اوتجمع كردي، حتى الأميين في القرية كانوا ينشدون أشعار ملاي جزيري، جكرخوين وغيرهم. بعد الصف التاسع انضمت إلى "البارتي"، لم تكن هناك دورات منظمة نتيجة الظروف الصعبة. أهم شيء كان مفهوم أن اللغة جزء أساسي من الانتماء القومي. ويتطلب هذا أن يستطيع كل كردي الكتابة والقراءة بطلاقة والتعبير عن أفكاره وأحاسيسه بلغته الام.

س٢: في تشيكوسلوفاكيا الإشتراكية حيث درست فيها هندسة الكهرباء ستينات القرن الماضي. كيف كانت اهتمامات الطلبة الكرد بقضية شعبهم القومية

آنذاك ولغة آبائهم وأجدادهم؟ وبمن التقيت هناك من القادة الكردستانيين؟. ماذا تتذكر من تلك الأيام؟.

ج٢: في أوروبا كانت هناك عادة جميلة ومفيدة وهي: عندما يتكلم أحدنا ويرد في حديثه كلمةً أجنبية، وإذا كان من بين الموجودين من يعرف مرادفها باللغة الكردية، يقطع الحديث ويذكر المفردة الكردية.

بعد ذلك يتابع المتكلم حديثه مباشرة بعد أن يعيد المفردة الكردية.

في أوروبا تعرفت على عدد من الشخصيات الكردية: الأمير كامران بدرخان، والدكتور عبد الرحمن قاسم، وكلاهما غنيان عن التعريف.

كان الأمير متواضعاً، وكان الأكراد والفرنسيون ينادونه "أميري"، والشيء الثاني، هو أن الأمير لم يكن يذكر اسم الخالد ملا مصطفى البرزاني إلا مع لقب جنرال، أي "الجنرال برزاني".

لقد كان الأمير هو المثقف الكبير، يفهم العقلية الأوروبية والمفردتين (الأمير والجنرال) يعنيان الكثير، فالأمير تعني إن هذا الشعب حتى فترة قريبة كان يحكم نفسه بنفسه، والجنرال تشير إلى وجود شخصيات من بين هذا الشعب قادرة على تأسيس وإدارة الدول بفاعلية، وبالتالي من الغبن أن يبقى هذا الشعب دون كيان.

كان الدكتور قاسم مثقفاً كبيراً ودبلوماسياً ذكياً. في الاجتماعات، كان يتكلم بلغة كردية يفهمها كل الحاضرين ومن مختلف أجزاء كردستان. وكان يشرف على جريدة كردستان (جريدة الحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران) كانت باللهجة الصورانية والحروف العربية، ورغم معلوماتي اللغوية المتواضعة جداً، كنت أواظب على قراءتها، وأستطيع فهمها بشكل جيد على خلاف الجرائد الكردية الأخرى بتلك اللهجة.

س٣: لقد قمتم بإصدار مجلة *Ziman* باللغة الكردية وأقمتم العديد من دورات اللغة الكردية لجيل الشباب في ظروف المنع والقمع التي كانت سائدة في

البلاد آنذاك، وتم اعتقالك لعدة شهور على خلفية تلك النشاطات. ماذا تحدثنا عن تلك التجربة وذكريات السجن؟.

ج٣: أشكرك على هذا السؤال وأعتقد أن هيئة تعلم اللغة الكردية جربت الكثير الذي يمكن الاستفادة منه.

كما ذكرتم / كان القمع سائداً في ذلك الوقت. إن منع شعب من لغته هي جريمة، هي إبادة ثقافية لذلك الشعب وفي القوانين والأعراف الدولية تقترب من جريمة الإبادة الجسدية.

حاربت الحكومات السورية المتعاقبة اللغة الكردية بشتى السبل، العنيفة والإقتصادية، وفي نفس الوقت تسعى إلى إخفاء هذه الحقيقة تحت مسميات أخرى مختلفة. فقد كانت تسمح أحيانا بطبع كتب وتغض الطرف عن صدور مطبوعات باللغة الكردية. أي ان الحكومة السورية تشن حرباً على اللغة الكردية غير معلنة تجنباً لاتهامها على المستوى الدولي بإبادة ثقافة شعب.

من جانبي كنت أرى أن نضع الحكومة السورية أمام خيارين:

١ - إما أن يسمح أن نتعلم لغتنا علناً، وبهدف تجاوز الخوف من السلطة وبالتالي انضمام أعداد كبيرة من الناس الى دورات اللغة.

٢ - أو أن يمنع علنا تعلمنا للغتنا على ألا نترك له أية حجة أخرى، عدم فتح مقر لتعليم اللغة، وكانت الدورات تجري في البيوت وأي مكان آخر لكي لانتهم بتجاوز القانون، وأن تكون الدورات دون أية رسوم ورفض كل مبادرة في هذا الخصوص وإبعاد تعلم اللغة عن السياسة، أي أثناء تعليم اللغة والاجتماعات المتعلقة بها لا يطرح أي موضوع سياسي او اجتماعي ابداً، أما خارجها فكل انسان حر فيما يعمل ليس لنا علاقة به

استجابة للرسالة التي وجهتها الى الأحزاب الكردية، تأسست (هيئة تعلم اللغة الكردية) في ٢٠٠٣/٧/١٥ من ممثل عن كل حزب انتخبت رئيساً لها، وبعد

أكثر من سنة تم تغيير التمثيل في الهيئة واعتبارنا أن "الناشط فيه والأساس التقييم".

رغم بعض التخريب تطورت الهيئة بشكل لا يصدق اعتماداً على جيل الشباب بين ١٩-٢٢ سنة منهم محمد حسو الذي كان أول المنتسبين حتى آخر يوم من عمر الهيئة.

نشاط الهيئة كانت تمتد من بيروت الى ديريك وبقية المدن، وحصل على شهادة الهيئة ٥٨٠٠ شخص والكثير منهم مازالوا نشطين في مجالات ثقافية وإعلامية.

أصدرنا ٣٧ عدداً من مجلة " زمان " وحسب احصائياتنا تعلم منها المئات.

أصدرنا ثلاثة أعداد من مجلة "زار" وأنشأنا موقع إلكتروني باسم "زمان"

أقمنا الندوات واللقاءات وأصدرنا مجموعة كتب خاصة بالمتطوعين اذكر منها محاضرة ل "وزير آشو" حول دور الحكومات في تشويه ثقافة المستضعفين

س٤: كيف ينظر الأستاذ درويش إلى الواقع الراهن للغة والأدب الكرديين؟

ج٤: هناك تطور كبير خاصة في جنوب كردستان وفي شمال كردستان، إذا أخذنا بعين الاعتبار وضع اللغة الكردية السابق نرى التفاوتاً جماهيرياً واسعاً، ولكنها مازالت بعيدة عن التمنيات، فمازال الملايين يتكلمون التركية في بيوتهم.

أعتقد أن المثقفين لا يقومون بواجبهم كما يجب، ويستغلون الأوضاع السياسية. كمقارنة ما قبل الحرب العالمية الثانية والظروف الصعبة وضعف وسائل الاتصال، تمكن المثقفين من تجميع عدة لهجات في لهجة واحدة وتكون لهجتين رئيسيتين بدل العشرات.

من واجب المثقفين الكرد السعي إلى توحيد اللغة الكردية، وأعتقد أنهم سيتلقون الدعم اللازم من الحركات السياسية فيما إذا وضعوا مشروعاً علمياً يأخذ الوضع الكردي والسياسي بعين الاعتبار.

س٥: كيف تنظر إلى العلاقة بين الأدب والثقافة من جهة مع السياسة؟ وهل هي حقول منفصلة أم متداخلة تؤثر على وتتأثر ببعضها؟. ماذا تقولون في هذا الصدد؟.

ج٥: الأدب والثقافة والسياسة ونشاطات أخرى هي نشاطات تخدم المجتمع، يكمل الواحدة منها الأخرى - إن صح التعبير - هي نوع من توزيع العمل الإجتماعي. من ناحية أخرى فالسياسي - إن لم يكن مدعياً- هو بالأساس مثقف.

السياسي يؤثر فيه كل الظروف المحيطة ويتفاعل معها، لذا في المجال الممكن وخلال فترة قصيرة ينحني أحياناً للظروف الصعبة ويستخدم لغة بهدف تحشيد القوى، قد يستخدم لغة مبطنه أو غير مباشرة أو جزئية الخ.

المثقف عليه أن يحلل جذور القضايا التي يعالجها وبيئتها وتفاعلها معها، والاختيارات المتوفرة القريبة والبعيدة الخ. لذا من مواصفات المثقف الصراحة والجرأة والاخلاص الواضح. إن أصاب المثقف في مسعاه ففيها خير لكل المجتمع، وإن أخفق هو وحده يتحمل النتائج.

س٦: كيف تصنف أعمال ونتائج الأدباء الكرد الذين يكتبون نتاجاتهم بلغات أخرى، هل تدرج في المكتبة الكردية أم في مكتبات اللغات المكتوبة بها؟.

ج٦: بالتأكيد ما يكتب باللغة الكردية هي التي سيستفيد منها الشعب الكردي، أما الكتابة باللغات الأجنبية أحياناً ضرورية وخاصة مواضيع الدفاع عن الشعب الكردي وثقافته.

أعتقد أن المسرح والقصة والشعر، والأجناس الأخرى من هذا النوع يفترض أن تكتب باللغة الكردية.

س٧: كيف تنظر إلى حركة الترجمة من وإلى الكردية، وما مدى تأثير الترجمة على التواصل الثقافي بين الشعوب بنظركم؟.

ج٧: هناك حركة ترجمة إلى اللغة الكردية جيدة. بالنسبة لهجة الكرمانجية قليل منها ما تطبع.

س٨: ماذا تشكل المرأة في عالم درويش؟

ج٨: المرأة إنسان مكمل للرجل.

س٩: ما هي مؤلفاتكم المطبوعة والمخطوطة، وما هي مشاريعكم الأدبية التي تعملون لتنفيذها مستقبلاً؟.

ج٩: المطبوعة :

البيان الشيوعي باللغة الكردية.

ترجمة مذكرات نورالدين ظاظا إلى العربية

حول أبيات خاني باللغة العربية

قياساً لحاجة الحرف باللغة الكردية

كيفية تعلم اللغة الكردية.

س١٠: كلمة أخيرة لقراء مجلة الحوار، ماذا تودون قوله؟

ج١٠: أشكر هيئة مجلة الحوار على هذه المقابلة وأشكرهم على ما قدموه ويقدمونه للتعريف بالثقافة الكردية وقضية الشعب الكردي.

ولكم كل الشكر على تخصيصنا هذا الجزء من وقتكم.

أحداث ومحطات تاريخية

آل قمش Aleqemşê

بين المجزرة والزيارة ... من يحيي موتانا؟!!

المحامي محمود عمر

بين المجزرة والزيارة لـ "آل قمش" مسافةً من الزمن تقارب التسعة عقود، وثالث آخر من المسافات لا يتجاوز كل منها الساعة الزمنية، في الأول تصل (آل قمش) وأنت تجتاز سهول نصيبين شرقاً وبموازاة جبال طوروس التي تبدو من خلال النظر كخطٍ يخترق اللانهاية، ومن خلال الثاني بإمكانك الوصول إلى قرية علي بدران متجهاً أيضاً بمحاذاة الحدود شرقاً ولكن هنا من مدينة القامشلي.

الفرق بين الاثنين هو أنك هنا تتجه جنوب الخط (بنخت) ضمن حدود الدولة السورية، وهناك تتجه شمال الخط (سرخت) ضمن حدود الدولة التركية، الحدود التي رسمها سايكس وبيكو!! في هذين الثالوثين ولقطع المسافة أنت بحاجة إلى أن تقلك سيارة، أما من خلال الثالث - ولولا الحدود - فتستطيع الوصول إلى آل قمش سيراً على الأقدام متجهاً إليها شمالاً من علي بدران - اللعنة على الحدود - زرع بذور الفرقة والجفاء في كل شيء وقطع حبل التواصل بين ذوي القربى على طرفيه، فأصبحت العائلة عائلتين والعشيرة عشيرتين، الأب (سرختي) والابن (بنختي) وكذلك الأخوة.

مات جدي وأثار الحراب على جسده رافقته إلى القبر، هذا ما كانت ترويه لنا (جدتي) دوماً عن حكاية جدي ومجزرة (آل قمش).

هناك وفي ذلك العام كان الثلج لتوه بدأ بالذوبان من على أعلى قمم الجبال والتلال العالية، ودجلة والفرات بدءاً للتو رحلتيهما السعيدة المعتادة كل عام في الفيضان، وبدأ الشتاء في لملمة خيمته آخذاً الإذن بالرحيل، لتدب الحياة في

كل شيء وتخرج الأحياء من سباتها الشتوي الطويل، وتستعد لاستقبال الربيع، ربيع يعم فيه الخير والنشاط على كل المكان، ومعه كان الناس في عموم المنطقة وبخاصة في قرى ومدن وقصبات كردستان في انتظار ربيع آخر، وعدهم به أتاتورك حينما مرَّ عليهم في مدنهم وقراهم وطلب منهم مؤازرته وعدم الوقوف في وجهه وسعيه لبناء تركيا جديدة يتساوى فيه الكورد والترک، وعدهم برفع كل المظالم التي خلفها السلطان الذي زج بأبنائهم في مشارق الأرض ومغاربها، في حروب لا تخدم سوى ضعف السلطان وأهوائه. السلطان الذي أورثهم كل هذا الفقر والأسى، حلف بأغلظ الإيمان بأن دولته ستقام على العدل والمساواة بين القوميات والأديان، وسينعم فيها الناس بالرخاء والازدهار والأمان، صدّقه الناس وماذا بيد هؤلاء البسطاء سوى ذلك، كانت عهود أتاتورك وعقوده معهم مبنية فقط على اللسان، الناس حينها ما زالوا يعتقدون أن دستور الرجال لسانهم.

(جدي) هذا كان من الناجين القلائل من المجزرة، لحسن حظه إن صغر سنه ساعده بالاختباء تحت الأجساد حيناً، وادعاء الموت كلما كان يقترب منه الجناة حيناً آخر، علماً أنه قد نال حظه الوافر من الحراب ولكن يبدو أن أيامه في الحياة - وكما يقال لم تنقض بعد - وصغر سنه هذا ساعده فيما بعد بالتعلق بثوب بعض النسوة اللاتي كن يثقبن جدران البيوت، البيت تلو الآخر بينما كان الجند غافلين في استراحة النصر- نساءً يحاولن النجاة بأرواحهن دون أن يمنحهم الخوف وغريزة الحياة فرصة الالتفات لصغارهن!! - العياذ بالله - هل هو يوم القيامة قد أصبح قاب قوسين أو أدنى في هذه القرية المسكينة، حتى "تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها".

أصل (آل قمش) منتصف نهار شتائي يغطي فيه الثلج وجه الأرض ومع برودة الطقس وصمت المكان والخوف المتجذر في العيون والنفوس، تحولت أحاسيسنا إلى ما يشبه الكرة الثلجية التي تتدحرج من قمة جبل شاهق الى وادٍ سحيق عميق دون أن تدري إلى أي مصير سيؤول حالها - الله أكبر- ما هذا الخوف الذي جعل كل شيء أسيراً له كل هذه السنين؟! وكأنّ الجنود قد

غادروا لتوهم القرية، كل ذلك لم يمنعني من أن اطرح أسئلتى الكثيرة على كل شيء وقع عليه حدسي أو نظري من بشر وشجر وحجر وقبور؟ أدهشني الأمر، الكل يريد الهروب من الأسئلة! أو لا يريد أن يتذكر شيء مما حدث - ما الذي حدث؟ وما الذي فعله هذا النمروذ، ليمتلك الرعب المكان والزمان بعد كل هذه العقود.

هاهنا وقبل تسعة عقود تقريباً، في الرابع والعشرين من شهر نيسان عام أربعة وعشرين وتسعمائة وألف (ومع التحفظ على التاريخ) كون المرحوم (جكرخوين) يعيد تاريخ المجزرة إلى عام (١٩٢٦) أي ضمن المجازر التي ارتكبتها أتاتورك بُعيد ثورة شيخ سعيد، ولكن أهل القرية - وهم أدرى بشعابها - يرفضون ذلك ويقولون أنّ أتاتورك قد قام بمحرقته في ذلك العام لخصوصية القرية وأنه قد شم أنّ ثورة ستقاد فأراد إرهاب الأهالي كي لا يكونوا وقودها فجعلها وقوداً لأحلامه الفاشية، ها هنا قامت القيامة حينما نصب أتاتورك من نفسه إلهاً، وأراد أنّ يحتفل بانتصاراته على طريقته الخاصة، حين كان يسعى لأنّ يمتطي صهوة حصان السلطة في تركيا، هكذا تبدأ القصة؟

قضم أتاتورك - حين بلغ مراميه - الدستور والوعود التي أبرمها بلسانه وبلع ريقها وهو يبتسم مستهزئاً من الذين صدقوه، يا لهم من مساكين ويا له من عقدٍ واه وواهن، بؤس الدستور دستورٌ يقوم على اللسان و"ان أوهن البيوت لبیت العنكبوت" - لتوه كان قد فرغ من حروبه منتصراً فيها وتحت وسادة مطامحه ومصالح أسياده أخفى اتفاقية سيفر لعام (١٩٢٠) وما فيها من حقوقٍ للكورد ونسخها واستبدلها معهم باتفاقية لوزان، التي فصلها على مقاسه وأهوائه عام (١٩٢٣). وملخصها إن كل من في تركيا هو تركي وهو له أب، ومن يدعي خلاف ذلك فعليه أن يكون عبداً لأسياده الترك وإلا سيلقى مصيره المحتوم، انقلب على الكورد ودهس على عمامة السلطان وواعد أسياده بأنه سيبنى على أرض الشرق دولة غربية بكل المواصفات، وليبين لهم صدق نواياه كان لا بدّ أنّ يمتثل شيئاً من أفعالهم، رسم معهم الحدود ومزق كلّ الإشارات التي تشير إلى العهد القديم (لمتخلف) وارتدى البرنيطة والزي

الغربي تأكيداً منه على علمانيته، ولكن هذا لا يكفي لا بدّ من شيءٍ يساوي أو يفوق ما أنجزوه أنها المحرقة واستعباد الشعوب وتشتيتها - عجباً لشعبٍ عانى الظلم والاضطهاد ويقوم باضطهاد شعب آخر، هل هذا ما قاله نهرو عن دولة كمال وحضارته هل سمع (بال قمش) ومثيلاتها فيما بعد ليقول هذا؟ ما إن وصل نبأ إن أتاتورك ينوي الاستعداد للقيام بمراسيم الاحتفال وان (آل قمش) من عداد قرى الكرنفال، حتى توجه الأهالي من فورهم هرباً نحو الجنوب صوب علي بدران وبقية قرى (بنخت) الحالية، بمحاذاة الوادي هرباً من الجحيم، تاركين خلفهم كل ما يملكون على قلته.

لماذا آل قمش؟ أنها قرية كبيرة ويسكن فيها عدد كبير من السكان. ومن عدة عشائر أنها صلة الوصل بين الشمال والجنوب، وهو ما سيجعل صدى احتفالنا ينتشر بسرعة أكبر بين الناس، هنا وفي عموم المنطقة، ولا تنسوا إنّ هؤلاء الأوغاد كان يوفرون الملجأ والغطاء لكل مطلوب إلى إن يرحلونه باتجاه الجنوب وهذه القرية كانت المحطة الأولى لكل أولئك الذين يريدون أن يلتحقوا بمن يريد أن يقف في وجهنا، وهؤلاء حموا وأسكنوا العديد من الأرمن وهرّبوهم فيما بعد، وستكون هذه القرية إحدى أهم المحطات التي ستدعم كل من يريد إن يقوم بالثورات مستقبلاً ضدنا، نعم يجب أن تكون آل قمش المسرح الأول لاحتفالنا الذي لن ينساه أحد! ألا تكفي كل هذه المبررات أيها الأحقق لتكون هذه القرية أول أهدافنا؟ في الجيش عليك ألا تعدم الوسيلة والمبررات لما ستقدم عليه، وإلا لا ينفع أن تكون جندياً في جيش الأب أتاتورك العظيم...

هذا ما ردّ به الضابط على أحد جنوده، وهو يستفسر عن مبررات إقحام القرية وحرقتها.

وصل الناس إلى (علي بدران) التي تقاسم أهلها الرغيف معهم، هؤلاء المساكين لم يكن معظمهم قد سمع بإن ثورة كردية ستقام، وإنهم ما أووا الأرمن إلا لأنّ أخلاقهم وتعاليم دينهم تفرض عليهم ذلك (استجب استغاثة المظلوم وان كان كافراً)، فكيف لا يستجيبوا استغاثة من تقاسموا معهم الحلوة

والمرة منذ فجر التاريخ، هذه فقط لا يستطيع أن يجيدها أتاتورك وبطانته التي لم ترضع سوى حليب الغدر والخيانة، بينما كان أهالي (آل قمش) وبفارغ الصبر ينتظرون الأخبار، كان جنود أتاتورك قد أصيبوا بالصاعقة حينما وصلوا القرية ولم يجدوا فيها ما يكفي لإعداد الوليمة صدرت إليهم أوامر العودة، وبدأ جواسيسهم ينتقلون بين القرى الكردية وهم ينشرون خبراً آخر مفاده إن الدولة قد أصدرت عفواً عن جميع المطلوبين وإنها تريد فتح صفحة جديدة مع مواطنيها، وإن كل ما أشيع من أنباء عن حرق القرى هي مجرد إشاعات فأبي دولة تريد حرق قرى مواطنيها وإن أتاتورك ما زال عند وعوده التي قطعها للكورد وعلى كل من هاجر أو حمل السلاح إن يتركه ويعود إلى موطنه مطمئناً، وصلت هذه الأنباء إلى علي بدران وحواليها وسمعتها أهالي آل قمش كغيرهم، شوقهم إلى قريتهم ورغبتهم في القيام بأعمالهم المعتادة في مثل هذه الأوقات من السنة كتقليم الكروم والأشجار وزراعة الخضار لم يسمح لهم بالتفكير في صدق الخبر من كذبه وما فيه من غدر، وحده الحاج أحمد دعاهم إلى التريث قائلاً: "إنه ليس لدى هؤلاء شيء اسمه الوعد".

لم يلتفت احد لمواعظه، فسار هو خلف القافلة وهو متيقن من أن أمراً جليلاً تخفيه هذه الأنباء وهو يتمتم الآية القرآنية التي تقول: "أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة"... فكيف إذا دخلها جنود أتاتورك؟ ولكن ما من مفر فلست بأفضل منهم وإن كنت بحق كبيرهم فليحل بي ما سيحل بهم، لم تكذب قوافل المهجرين من علي بدران وبقيّة القرى إلى آل قمش حتى كان الجنود قد أعدوا العدة وطوقوا المكان فرحين بالصيد الحنيذ.

استقبلوا الناس وابتسموا لهم وقالوا إن أتاتورك هو أب الكورد والترك وهو الذي يراهم دون تمييز. كان على الناس من قلة حيلتهم أن يصدقوا ما يقال لهم، بينما حدسهم يشير إلى إن هناك شيئاً آخر يعد لهم وإلا لماذا هذا الكم الهائل من الجنود والعتاد وجمع أهالي العديد من القرى المجاورة في آل قمش، يا ترى ما الذي يعد لهم؟

لا تخافوا ولا تحزنوا يتم جمعكم لتلاوة بعض التعليمات وأخذ الحيطة والحذر من بعض المجرمين الذين يحاولون هدم ما نبنيه لكم ولنا جميعاً هكذا كان يطمئن أعوان الطغاة أهل القرية وبقية من تم جمعهم، كان أهالي علي بدران يترقبون سماع الأنباء عما آل إليه مصير إختهم هناك ولكن الطوق الأمني حول الآ قمش وعلى الحدود لم يترك المجال حتى للطيور لنقل الخبر، بعد إن تيقن الطغاة بأن ما تم جمعه كاف لإعداد الوليمة وإيصال رسالة سيدهم إلى أسياده والناس أجمعين، اشتد الطوق العسكري حول القرية أكثر.

في صباح ذلك اليوم وبينما كانت البراعم تتفتح على الأغصان، وتزهر الأشجار المثمرة وتسقط قطرات الندى من أوراق النباتات والأزهار وينتشر عبق الورود والرياحين على أطلال (آل قمش)، كان الضابط وكتيبته المججلة قد اخترقوا منتصف القرية ووقفوا على أعلى التلة التي تتوسطها، هذا المكان جيد لإتمام المهمة ردد هذا الكلام وأمر بجمع الرجال في فسحة الدار الكائن شمال التلة والنسوة والأطفال في فسحة الدار الكائن جنوبها، أوتي بالناس فرادى وكان العديد من الجنود قد أحضروا السلك الشائك الذي كان الأهالي قد سوروا بها بساتينهم شددت المعاصم إلى بعضها طلبوا من الناس التزام الصمت وعدم الاستفسار عن شيء، وعن أي شيء سيستفسرون بعدها وهم يرون بأم عيونهم كيف إن الأيادي العزل تكبل مقابل هذه الآلة العسكرية الضخمة - الله أكبر- ومع ذلك كان خوف الجلاد أعظم!!!.

استغرقت العملية عدة ساعات كان خلالها تشد إلى أيادي النساء معاصم أطفالهم الصغار الذين كانوا من خوفهم يخفون رؤوسهم في ثياب أمهاتهم الواسعة، في حين كان بعض الجلاوزة مكلفين بتفتيش البيوت للتأكد من عدم وجود أحد فيها، احتار الجنود في أمر الرضع القابعين في مهادهم حيث تهددهم الملائكة وتطمئنهم بأن موعدهم مع ذويهم الجنة - صبراً آل ياسر وآل قمش فأن موعدكم الجنة - دلتم محاضرات أتاتورك في الحضارة إلى فكرة لا يستدل عليها الشيطان، وقفوا فوقهم وهزوا برؤوسهم ولم تكذب ابتسامتهم تنتهي حتى كانت الحراب تغرس في صدورهم، رفع الجنود

أجسادهم الغضة بالبنادق والحراب مغروسة فيها فوق رؤوسهم، وهم يقهقهون فرحاً بالانتصار - الله أكبر- أي قلب يسكن جوف هذه الحيوانات المتغترسة الظائمة لدماء البشر ومن صدر أية عاهرة ساقطة قد أَرْضَعُوا، يغادر روح الصغير البريئة جسده الصغير ليغدو طيراً من طيور الجنة، يستمر الجلادون في غيهم يقهقهون.

في إحدى البيوت الطينية وقع نظر جلادين على امرأة يبدو أنّها أرادت أن تهب الحياة لجنين بطنها الذي لم ير النور بعد قلة الحيلة لم يهداها سوى أن تضع رأسها في زاوية إحدى الغرف، أدرك الجلّاوزة أنّها تريد أن تخفي شيئاً ما، سرعان ما ركلها أحدهم برجله القذرة وشدها من شعرها وأدارها نحو وجهه النتن، وبدّ لهم ما كانت تريد أن تخفيه، انهال الدمع من عينيها بينما كانت يداها ما زالتا معلقتين ببطنها تريدان أن تحميا الجنين، احمرت وجنتا البرزاني من شدة الغضب وكانت علبة السجائر التي يحملها تهترأ...

في راحة كفه من الغضب وغزارة العرق الذي يتصبب منها وأضحت العلبة بما فيها مجرد قطع ورق كروية الشكل صغيرة ومبللة تسقط على الأرض دون أن يدري.....

حصل ذلك بينما كان أحدهم يروي له هذه القصة، كانت المرأة ترتجف خوفاً وتتوسل إليهما أن يبقيا على حياتها من أجل الجنين بينما كانا المتجبران يراهنان على جنس المولود الذي تحمله، وكان الرهان على علبة دخان يدفعها الخاسر للآخر، يقال: إنّ البرزاني من يومها لم يحمل علبة سجائر ملفوفة، تسابقا المجرمان على بقر بطنها بحرابهم، سقط الجنين ذكراً قهقه الزنديق منتشياً، إليّ بعلبة الدخان فقد فزت اليوم مرتين مرة بالدخان ومرة أخرى ها أنا ذا أتخلص من عدو قادم، قالها بينما كان الصغير بيتسم فوق رأسه والحربة مغروسة في صدره، وتصعد روحه البريئة عالياً لتقطع المسافات البعيدة نحو بارئها.

وبعد إنهاء الواجب المقدس هرب البعض من قتلة الصغار مع قهقهتهم خارج السرب نحو براري آلا قمش هل جن هؤلاء؟؟ كلا أنها سكرة ونشوة الانتصار على هؤلاء المتمردين الصغار!! الناس تنتظر من يأتيهم من آل قمش بالخبر اليقين، ولكن يبدو إن الحياة بكل آياتها قد توقفت في هذه القرية التي حكم عليها بالإعدام (حتى هدهد سليمان وعفاريت الجن لم تكن قادرة على ذلك)، لم يجرؤ أحد على الاقتراب أو الاستفسار، عاد المتجولون في القرية من الجنود وطمئنوا سيدهم بأن الدور أضحت خاوية من ساكنيها، وأبلغ أيضاً بأن الجمع قد اكتمل وهم بانتظار الأوامر.

يستمر الثلج في الذوبان كاشفاً الغطاء عن خضرة الأرض المزركشة بكافة ألوان الربيع من الورد والزنايق والخججوك (شقائق لنعمان) يزداد صوت خرير المياه في دجلة والفرات ونهر آل قمش الصغير المتجه جنوباً.

نُصب على عتبة باب الدار الذي يتوسط أعلى التلة قاعدة الرشاش، هذه العتبة المؤلفة من حجرة واحدة مستطيلة يندهش الناظر كيف تم قطعها وحفها وكيف أضحت ملساء وكيف رفعت إلى أعلى الباب - لم تكن هذه العتبة الوحيدة التي صنعت بهذه الطريقة في القرية ولكنها وحدها التي نصب عليها رشاش الطغاة، ربما لتكون الشاهد الملك والوحيد على أنّ الأهالي جميعاً رجالاً ونساءً صغاراً وكهولاً قد رموا بالرصاص من على ظهرها، وربما كانت هذه الحجرة آخر شيء يقع عليه نظرهم ويودعونه في قريتهم، اللهم يا من تجعل الحجر ينطق، اجعله يوم الحساب ينبئنا بما حصل لآل قمش يوم تحاسب الناس لديك.

أمر صغير أتاتورك رامي الرشاش بأن يوجهه أولاً نحو صدور الرجال، تمهل الرجل واحترار وفاضت عيناه بالدموع، اعتلى السيد العتبة وأشهر مسدسه في رأس الجندي وبزق في وجهه قائلاً: إنّ من يبكي لا يستحق أن يكون من رجال أتاتورك رد المسكين سيدي إنهم قد رفعوا أكفهم إلى السماء يكبرون، كان الحاج أحمد قد استطاع إن يخطو وهو مكبل خطوة ونصفها إلى الأمام واستدار نحو أهله ورفع صوته بعض الشيء قائلاً وهو يبكي: أيها

الناس تعلمون إن بيننا وبين الموت دقائق ولم يمهلنا هذا الطاغي أياماً لنكمل شهر رمضان لهذا العام، ارفعوا أكفكم نحو السماء قدر استطاعتكم وكبروا معي حتى نصلي صلاة العيد الذي داهمنا مبكراً، استندار الحاج أحمد وأم المصلين وكبرت الحناجر العيد (الله أكبر.. الله أكبر... لبيك اللهم لبيك!!!!)

سيدي أنهم يكبرون الله ردها الجندي مرة أخرى ودموعه تفيض، أيها الأحمق نحن هنا لنقتل فيهم العيد ورمضان والتكبير... (أن نكون في مؤخرة الدول الغربية خيرٌ من أن نكون في مقدمة الدول الإسلامية) ستطلق؟؟!! أو افرغ هذا المسدس في رأسك الغبي؟؟ غريزة الحياة فيه كانت أقوى ودفع بسبابته الملتفة على الزناد باتجاه الداخل وانطلق الرصاص كأنهمار المطر في ربيع آل قمش صوب الصدور التي كانت ومع تكبيرات: الله أكبر، تتهاوى نحو الأرض (لا تقتلوا دابة قبل أن تنهي شربها) فكيف يقتل الناس ولم ينهوا صلاتهم بعد - استمر الرصاص منهمراً، ولم يمهل السيد جنوده راحةً بعد الانتهاء من قتل الرجال، على الفور أمرهم بالتوجه نحو النساء والصغار فالمعركة في لحظاتها الحاسمة ويجب أن لا يمنح جيش الله هذا فرصة النجاة أو الفرار!! أسكت الرصاص عويل وبكاء الصغار وبعض الزغاريد التي كانت تطلقه بعض النساء عندما كان يتهاوى بعض رجالهم من الشباب خاصة، فهذه العادة متأصلة في الموروث الثقافي والشعبي الكردي منذ القدم حيث تزغرد النسوة حينما يقتل شاب أو يموت عزيز تيمنا بيوم عرسه - لم يبق أحد ليعد طعاماً لآل قمش بالرغم من أنهم اليوم مفجوعين ولمن سيعد الطعام - أزيز الرصاص الذي نقله الريح إلى الجوار قطع عليهم صمتهم وترقبهم الذي طال، بعدها أمر الطاغية جنده بالمرور بين الجثث وغرس الحراب في صدر كل من تدب فيه الحياة، وخاصة هؤلاء الملاعين الصغار الذين كنت ألاحظ إن العديد منهم ينتقل ونحن نطلق الرصاص هنا وهناك أو يحاول بعضهم التخفي تحت أجساد النسوة والاحتماء بها، لم يكن حقد الأوغاد قد شفي بعد فغرسوا حقدهم بالحراب من جديد في أجساد الجميع أحياء

وأموات والتمثيل بها عبر بقر البطون وكشف العورات واللعب بالأحشاء برؤوس الحراب، هل هؤلاء من بقايا ذرية تيمورلنك وجنكيزخان؟

كان جدي مع القليل من أقرانه نالوا نصيبهم من الحراب التي انتصرت عليها إرادة الحياة، كتموا أنفاسهم وتخفوا تحت الأجساد التي غرقت في الدماء، وتحت الأجساد تسير الدماء خائفة لتشكّل ساقيتين الأولى أسفل التلة جنوباً فيه يتجمع دم النسوة والصغار، والأخر بأسفلها شمالاً حيث يتجمع دماء الرجال التي تسير ببطء لتلتف حول التلة وتلتقي بأختها ليمترجا معاً بماء النهر ويشكلوا جميعاً جديلة حزينة تسير في الوادي نحو الجنوب، ألوان شقائق النعمان من حينها غدت أكثر حمرةً على طرفي الوادي!!.

كان أهالي (علي بدران) منشغلين بأعمالهم بدأ الدم يغلي في العروق حينما وشوش بعض الناس بأنّ أمراً عظيماً قد حدث؟؟ أرسلوا رسلهم باتجاه الشمال وقبل أن يصلوا كانت الأنباء قد عمّت الأرجاء بأن آل قمش وعن بكرة أبيها قد أبيت و(إذا آل قمش سئلت بأي ذنب قتلت) أمر الطاغوت جنوده بمغادرة ساحة المعركة وأخذ قسط من الراحة حيث يتم تبادل التهاني خلالها بهذا النصر المجيد ورفع التقارير بذلك إلى القيادة في انتظار المكافأة، الأرواح تكمل رحلتها في الصعود إلى بارئها ورويداً ورويداً تفارق الدماء الأجساد وتكمل رحلة سيرها في الوادي حيث تسرق الأرض قسطاً منها لترتوي بها.

كان البعض ممن قدر الله أن يبقيه على قيد الحياة من النسوة والرجال والأطفال قد بدأوا بلملمة جراحهم ومغادرة المكان خلسة والاجتماع في أقرب بيت، وعلى الفور قاموا بما توفر تحت أيديهم من أدوات بثقب الجدران تلو الجدار، كان البعض الآخر ممن استطاع التخفي في أماكن مستعصية من زوايا وأقبية وأكواخ الدواب حاول أيضاً أن يجد طريقه للوصول إلى الوادي ويتجه جنوباً بحثاً عن الحياة، قدر الله لهؤلاء النجاة، وأعمى عنهم عيون الطغاة الذين طالت استراحتهم وسكرتهم فيها ومن بينهم (بسي) هذه المرأة القوية الجبارة كانت كلما يقترب الطغاة بحثاً عن من ما زال تدب فيه الحياة تجر بكلتا يديها جثتين هامدتين لتغطي بها جسدها وتظل غائبة عن أعين

الطغاة، وفي استراحتهم المشؤومة استطاعت الهرب نحو الدار بحثا عن رضيعها الذي لم يتجاوز التسعة أشهر وجدته في مهاده يبكي من شدة جوعه، الحمد لله ان ذرية آبائي لن تنعدم فهذا الصغير سيكبر ويثأر لأبائه وأجداده، قالت ذلك وهي تحمله من المهد لترضعه وبينما كان الطفل منهمكا في رضاعته، انتبهت (بسي) الى حركة في فسحة الدار ولمحت جنديين يقتربان من الدخول الى الغرف، ماذا تفعل رفعت الصبي وأجلسته ورفعت الطوق الذهبي الذي كان يزين رقبتها، ووضعت بين يديه ليتسلى به وقفزت من فورها الى الجزء الآخر من الغرفة المخصص للحصان وأصبحت تراقب هذين الطاغيين اللذان أصبحا فوق رأس الصبي سرعان ما قبض احدهم على الطوق الذهبي ودسه في جيبه بينما بدأ الآخر بجمع بعض الحطب من فناء الدار ما الذي ينويه هذا السادي، أضرب النار في كومة الحطب ورمى بالرضيع فوقها بينما لم يكن أمام بسي فرصة حتى للبكاء على صغيرها جمعت ثوبها في فمها حتى لا تصدر صوتا مسموعا بينما كانت صرخات الصبي تشق عنان السماء تشكو بارئها وتستجديه ترى هل كان بكاء الملائكة أقل من بكاء (بسي) بقيت هكذا الى ان التهم النار فلذة كبدها بينما غادرت هي المكان كدابة تائهة في البراري وحكم على بذور آبائها بالفناء.

ناد أحد الجنود: سيدي وماذا بشأن الجثث؟ وكيف سنتخلص منها؟ فهقه المتجبر بسخرية وقال: سيظل عقل الجندي صغيراً قد قامت، يا بني: أنت لا تعلم تاريخ هذه المنطقة، أنا أعرفه، اترك مصير ذلك لي، لم يعلم الجنود نية سيدهم حينما أمرهم بلم الحطب وتفتيش البيوت من الداخل والخارج وجمع كل ما يمكن إن يتقد فيه النار، على الفور نفذ الجنود الأمر وجمعوا كل ما جمعه أهل القرية وما في بيوتهم من ثياب، وظلوا في انتظار ما ستفتق عنه مخيلة سيدهم!! وهم يتهامسون فيما بينهم عن مقصده من كل ذلك، لم تطل حيرتهم حينما ناداهم: في قديم الزمان وعلى مقربة من هذا المكان وفي مدينة أورفا ادعى إبراهيم - الذي يدعي هؤلاء بأنه جدهم - النبوة وتناول على سيده

نمرود وقام بهدم تماثيل الآلهة التي كانوا يعبدونها، واسترسل في سرد قصة سيدنا إبراهيم...

بعد إن فشل نمرود في نصح إبراهيم وردعه عن غيه وعصيانه حتى لوالده، كما فعل أصحاب هذه الجثث وحاولوا أو كان في نيتهم أن يحولوا عصيان والدنا أتاتورك، هنا حاول الطاغي أن يذرف بعض الدموع على سيده ومن قبله على نمرود واسترسل في الحديث بعد إن مسح دموع التماسيح، نعم.. أيها الأولاد احترار نمرود في أمر إبراهيم وبعد إن فقد كل أمل بأن يعود إلى رشده أمر بجمع الحطب - كما فعلتم انتم الآن وأخذ إبراهيم إلى أعلى القصر ومن ثم تم رميه بين النار أمام مرأى من عيون القوم، حتى يكون عبرة لمن لا يعتبر لذلك أوقدوا النار في جثثهم فقد اعتادوا الأمر من أيام جدهم إبراهيم الخليل.... قالها مستهزئاً؟!!!! ولكنني أرى إن ما جمعتوه لا يفي بالغرض ألم يبق شيء ينفع للحرق، أراد أحدهم إن يجيب بالنفي؟! فسبقه آخر سيدي: كانت في البيوت نسخ من القرآن والكتب الدينية، إلا إن البعض منعنا من جمعها بحجة قدسيتها واتجه بنظره صوب ذلك الذي أراد أن ينفي وجود أي شيء، أيها الحمقى ألم أقل اجمعوا كل شيء قابل للاحتراق. على الفور جمع بعض الجنود نسخ المصحف من البيوت ووضعوها أمامه الذي سرعان ما قام بتمزيق بعضها أمام أعينهم ودهس عليها برجليه القذرتين، وهو يقول غاضباً: ألم أقل كل شيء لم يؤخرنا عن ركب الحضارة سوى ما في هذه الصحف من أقاويل عفا عليها الزمن، ثم رمى بها فوق الجثث بعد إن أضرم النار في صفحاتها، على الفور سار النار في الهشيم الذي وزعه الجنود على الجثث التي بدأت تحترق وتنطلق منها رائحة اللحم المشوي وبدأ الدم يسيل تحتها من جديد حيث تنطلق منها فقاعات الغليان، أيتها النار التي كنت برداً وسلاماً على إبراهيم لما يا نار لم تكوني برداً وسلاماً على آل قمش وأهلها؟ تصاعد الدخان وحمل الريح رائحة الدم المحروق والأجساد المتفحمة إلى الجوار واحترار الناس في الأمر، يا إلهي ماذا يكون هؤلاء الأوغاد قد فعلوا؟ أبعد الموت هناك شيء آخر؟ لم يكن يدري الناس بأن (آل قمش) تدفع

ضريبة النبي إبراهيم وثورته على أصنام نمرود وأتاتورك من جديد، تحول اللحم إلى سوائل رفدت الدم الذي يجري في الوادي وغدت العظام رماداً ولم يبق سوى البعض الذي لم يتمكن النار من الوصول إليه وبعض السلك الشائك، الذي كان يشد المعاصم إلى بعضها، فر الكثير من الطير هلعاً، بينما تهاوى الصغار في نيران الأقمش وهي تغادر أعشاشها طلباً للنجاة، ولكن صغر سنها وعدم خبرتها في الطيران بعد قد خذلتها، في (آل قُمش) نحر الطير والحيوان الشجر والبشر، وإذا آل قُمش سنلت بأي ذنب نحرت؟؟!!.

أمر الطاغية بتفقد الجنود والعتاد بعد هذا النصر المؤزر الذي لن ينساه التاريخ!! تاريخ دولة أتاتورك وطلب أعداد العدة للرحيل فقد تمت المهمة بنجاح منقطع النظير، وظل بقية عمره يتقلد الأوسمة والنياشين، وأصبح أحد أعمدة دولة الدم هذه، وظل يذكرنا في مذكراته كيف أنّ طفلاً وألسنة النار تنطلق من جسده الصغير قد فر من الجمع بعد أن بقي متخفياً تحت الأجساد طالباً الحياة، ولكنه حين اصطدم بي عاد مسرعاً من حيث أتى ليكمل مسيرة الموت مع أهله، حينها يقول لنا ذلك الضابط: أدركت أنّ الكرد يهابوننا أكثر مما يهابون الموت.

كان بعض الطير سباقاً وحام حول المكان ومعه من الجبال والتلال القريبة نزلت بعض الحيوانات، وعلى الفور غادروا المكان بالصياح والعيول من هول ما رأوه، بينما كان من كتب لهم الحياة مستمرين في سيرهم وهم يحملون جراحاتهم وخوفهم نحو الجنوب وفي رحلتهم كانت (حليمة) قد فازت بولدها الوحيد ناجياً من المحرقة إذ كان يبلغ من العمر حوالي أربعة أعوام وكانت فرحتها به تساعدها على لملمة جراحاتها لتكمل مسيرة حياتها معه وترشده للتأر من هؤلاء الأوغاد كانت تحمله وتركض به بينما ينادي أحد الرعاة أسرعوا فبعض الجنود يحاولون اللحاق بكم، لم يكد الصبي يسمع هذه الكلمات حتى تحول من خوفه إلى جثة هامة على صدر أمه، طلب منها الجمع أن يدفنوه بعد أن أصبحوا في مأمن من الطغاة ولكنها فضلت حمله ودفنه في المكان الذي ستستقر فيه حتى تزور قبره كل حين وتذرف الدموع عليه، لم

يكديصل الجمع حتى كان لسان كل منهم يقول: دثروني دثروني!؟؟ أي أغطية في العالم ستكون قادرة على أن تذرهم وتلفف شيئاً من بردهم وهلعهم، في (ألّ قمش) أعدم الزمان والمكان، وما زالت الحياة معلقة فيها بين الخوف والرغبة في النسيان، لم تقم على أرواح موتاها صلاة الجنازة، ولم يجرؤ أحد أن يقيم لهم حتى صلاة الغائب، لا تقرأ على أرواحهم الفاتحة، وأن قرأها أحدٌ فهو يلتفت يمناً ويسرة دون أن يقف أو يرفع كفيه إلى السماء خوفاً من العيون، لم تقاد على أرواحهم الشموع، ولم تقم لهم أربعينية، ولم يحيي ذكراها أحد حتى بعد كل هذه العقود.

يا الهي ما كل هذا الخوف المتجذر، أم إنّ خوف الناس مبرر من هول الفاجعة، في الفاجعة لم يسأل الناس عن أي ذنب اقترفوه، ولم تقرأ عليهم لائحة الاتهام، ولم تعقد لهم محكمة ميدانية كتلك التي تنصب للجنود أيام الحرب والطوارئ، ولم يسأل الناس عن آخر رغباتهم، ولم يحضر رجل دين ليلقنهم الشهادة، وبعض مما يحتاجه الميت في رحلته نحو العالم الآخر، تركت الأجساد المتفحمة في أماكنها حتى دون أن يكلف الطغاة أنفسهم مشقة دفنها أو حتى طمرها إكرام الموتى دفنهم، حرقها الطغاة إلى حرقهم، بقيت هكذا إلى إن أخذ الإذن بالدفن، ولن تكن غاية الجناة الرأفة أو الرغبة بدفن جريمتهم، ولكن فقط لإرهاب الناس، تدفق القرويون من كل الجوار - الله أكبر - لم يستطع البعض تحمل الفاجعة فغادر المكان مسرعاً، أراد البعض الآخر أن يتفقد عدد الذين افتقدهم ولكن ليس في المكان إلا رماد، استقر الرأي أخيراً على أن تطمر الأجساد في مكانها إذ ليس في المكان سوى الرماد وبعض العظام الهشة، وبعد أن انتهوا من طمر مقبرة النساء والصغار، تحولوا باتجاه جثث الرجال وكما كان الموت جماعياً كان كذلك الدفن، بعدها سورت كل مقبرة على حدة بالحجر الأسود وهي على ما هي عليه إلى لحظتي وصولي إلى القرية بعد ما يقارب التسعة عقود.

ليست الأمم والشعوب الأخرى على خطأ وهي تحيي ذكرى مجازرها أو تحيي ذكرى من مات منهم ظلماً، أو تندبه حتى اليوم وبعد إن مرَّ على ذلك

مئات أو آلاف السنين، فقط كي لا تنسى وتزرع في ضمير ووجدان أجيالها اللاحقة مأساة قصتهم الحزينة، أزور (آل قمش) بعد كل هذه الحقبة، وبين المجزرة والزيارة لم يحيي أحد موتاهم، الذين قضاوا ظلماً، ولم يكتف بموتهم بل مثل بجثثهم، وحرقت دون أن يطمر رمادها، ولم يسأل الطغاة لحينه عن سبب جريمتهم، لم تنظم شهادات وفاة لضحاياها.

ألم يحن الوقت لنحيي ذكرى آل قمش ونطالب بمحاكمة الطغاة ونفتح القبور بإشراف لجان دولية لنحصي موتانا ونتعرف عليهم ونضع على القبور شواهد، ما تم في آل قمش إبادة جماعية، وجريمة حرب ضد الإنسانية، فلما لا نطالب العالم باعتبارها كذلك، حتى يتم تقديم الجناة للعدالة، ونطالب أحفاد أتاتورك بتعيين هوية المسؤولين عن الجريمة وإلزامهم بتعويض ذوي الضحايا، كما تريد الشعوب الأخرى أن تحيي موتاهم الذين قضاوا في ظروف مشابهة.

على يد طغاة الشرق أبيد الكرد بالسيانيد وهجروا وانفلوا وقتلوا بالرصاصات الحارقة المحرقة المتفجرة ولم يسلموا من الموت والحرق حتى في السجون، يا إلهي هل قدرنا- أحفاد إبراهيم الخليل - أن نموت حرقاً ولكن رغم هذا وذاك تظل لمحرقة آل قمش غصة ومرارة ألم خاصة، إذا أخذ بعين الاعتبار بعدي الزمان والمكان وناسها البسطاء العزل الذين لم يرتبكوا إثماً أو يشعلوا نار ثورة، أو يفكروا بدولة، تظل لهذه المجزرة حرقاً لأنها تسير في طور النسيان، لذلك زوروا آل قمش واكتبوا لها القصائد وغنوها وتخلوا لضحاياها الألف والتسعمائة والنيف صوراً وارسموها واجعلوا منها لوحة تشكيلية تحكي المأساة، زوروا آل قمش وجردوها من كل هذا الخوف والصمت وأحيوها وابعثوا فيها الحياة، أوقدوا على قبورها الشموع، قفوا دقيقة صمت وحداد، لأنني أزور آل قمش بعد كل هذه العقود وأتساءل بين المجزرة والزيارة من يحيي موتانا؟!!

زوروا آل قمش وغنوا معها أغنيتها وهي الوحيدة التي ما زالت تحيي ذكراها وتحفر في ذاكرة الأجيال قصتها فقط كي لا تنسى؟!!

Bîranîna aleqemşê

ذكرى آل قمش

Ew sala Aleqemsê

jin û mêr kirne hewşê

Wan wehşê kurê wehşan agir berdane laşan

Qîr qîre bûkê salê xwîn herikî newalê

(في آل قمش وبذلك العام جمعوا في * * الدار الرجال والنساء وكل العباد)

أولئك الوحوش أولاد الوحوش * * أضرموا النار في الأجساد

مع صيحات وصرخات العرائس * * الدم يجري بغزارة في الوادي)

Ew zarokê bê guneh li wa şikandin ser û goh

Qerp qerpe qere pace ti car ji bîra me naçe

Ji me kuştin bav û kal ji me girtin jin û mal

غرسوا في صدور الصغار * * كل حقدهم وغيهم بالحراب أولئك الأوغاد

لن ننسى مهما امتد الزمان * * تلك الآهات التي سارت في السهول الوهاد

سلبوا منا المال والعدارى وقتلوا * * فينا العم والخال ولم يبقوا حتى الأجداد)

De rabin tev de rabin tev de wekî birabin

Rabin wekî pilingan dest bi avêjin tifingan

Derdê xemgîn dejware derman xwîne neyare

هلموا استفيقوا من هذا السبات * * وكونوا إخوة متحدين كالأوتاد

هلموا حاربوا مثل الأسود * * ولتعانق أياديكم البنادق وتحقق الوعود

فالجرح الأليم الذي ألم بنا ليس له دواء سوى دماء الأعداء في كل البلاد





شخصيات كردية

(بديع الزمان)

الشيخ: سعيد النورسي

سيدا حسين

الشيخ سعيد النورسي الكردي علمٌ من أعلام الكرد على قمم جبال كردستان تركيا، وشمسٌ وهّاج في سمائه الدّاج، وشعلةٌ فدّةٌ من شعل الذّكاء والألمعية، وشخصية ثائرة في وجه الظّلم والاضطهاد: اضطهاد السلطات التركية العفنة، واضطهاد أمراء ومشايخ الطرق الصّوفية المتحجرة. قلّما يوجد به الزّمان.

رأى الشيخ النور في قرية (نورس) التابعة لولاية (بتليس) الكرديّة شرقي الأناضول عام ١٨٧٣م/ (١).

ترعرع في بيت تقى وكنف والدين ورعين لا يعرفان لقمة الحرام، ظهرت على الشيخ علامات النّبوغ والعبقريّة والذكاء منذ نعومة أظفاره حيث كان دائم السؤال والاستطلاع، وكان يحضر مجالس العلماء والكبار، ويصغي إلى ما يدور بينهم من مداولات ومناقشات ولاسيما علماء قريته اللذين كانوا يجتمعون في بيت والده.

تلقى الشيخ بداية دراسته على يد أخيه في القرية في (كتاب القرية)، ثمّ تنقل بين مراكز العلم آنذاك المنتشرة في القصبات والقرى الكرديّة، حيث حلّ به المقام أخيراً في (بايزيد) موطن شهيدا العشق الرّبّاني (مم وزين)، ومقام ضريح شيخ الشعراء (أحمد خاني)، فيه تلقى علومه الدينيّة من علماء أفذاذ أمثال الشيخ (محمد جلاي)، وتلقّى دروسه القوميّة من الشيخ (أحمد خاني)، حيث كان الأستاذ يقضي الساعات بجوار ضريح خاني يستمد منه الإلهام والمدد، حيث تخرج الإستاذ من مدرسة (بايزيد)، وأنهى علومه في فترة قياسيّة وجيزة لم يسبقه إليه أحد من قبل، حيث حفظ في هذه الفترة ثمانون كتاباً من أمهات الكتب عن ظهر قلب، وكان يراجع هذه الكتب عن ظهر قلب خلال ثلاثة أشهر، وعلى أثره لُقّب الشيخ بـ (بديع الزّمان النورسي)، وقيل عنه: "إنّ هذا العلم ليس علماً دنيوياً بل علم لدنيّة أي "علم ربّاني" (٢).

لم يكتف الشيخ النورسي بهذه العلوم بل درس العلوم الكونية وأتقنها (الرياضيات، الفيزياء، الجغرافية)، ولكن ما يؤسف إن الأستاذ الشيخ تعرّض للظلم والاححاف والتهميش والنسيان والإهمال، وإدارة الظّهر من بني جلدته من العلماء والمثقفين، ومن مشايخ الطّرق لأسباب معروفة (خطره على المشايخ وادعاء الآخرين بإهمال الشيخ الجانب القوميظلماً وبهتاناً وجهلاً).

كما تعرّض الشيخ للإهمال والتهميش من جانب السلطات التي كانت تلاحقه في سكناته وحركاته وكلّ ما يتصل به لأنه اتّهم - كما يتّهم كلّ كردي في أصقاع الكون - بإنشاء جمعية وقلب نظام الحكم، لذلك نُفي وسجن واضطهد من قبل السلطات الحاكمة، وبقي في النفي مدة اثنتي وعشرين سنةً ما بين الإقامة الجبريّة والسّجن.

ولكن واقع الحال هو عكس ذلك حيث كان الشيخ الأستاذ رائداً وسباقاً وثائراً في مجال الفكر القومي، والدّفاع عن قضايا أمته الكرديّة المسحوقة وحققها في الحياة كسائر الأمم.

الأمة لها ما غيرها من حقوق ثقافيّة واجتماعيّة وسياسيّة، حيث تقدّم الشيخ بجملة من المطالب تتعلّق بكرديستان تركيا والأمة الكرديّة إلى السّلطان عبد الحميد، إذ كان يأمل منه الشيخ خيراً إلا إنّ السّلطان أرسله إلى مشفى المجانين واتّهمه بالجنون، ليس هذا فقط حيث كان للشيخ كتابان مؤلّفان يتعلّقان بالقضيّة الكرديّة ومطالب الكرد.

هذان الكتابان هما:

الأول: (شهادتي من مدرستي المصيبة أو ديوان حرب العرفي وسعيد الكردي). حيث تعرّض هذا المؤلف للتحريف والتّزوير من قبل أوساط الشّوفينيين التّرك وتلامذته الأتراك ودور النّشر التركيّة، وشُطب من هذا المؤلف كلّ ما يتعلّق بالكرد، كما إنّ العنوان نفسه لم يسلم من التّحريف والتّزوير حيث شُطب من العنوان كلمة (سعيد كردي) واكتفوا بالعنوان (ديوان حرب عرفي)^(٣).

والمدرستان المشار إليهما في العنوان هما (مشفى المجانين) الذي أمر السّلطان عبد الحميد بسوق (النورسي) إليه إثر طلب الأستاذ منه القيام بإصلاحات في كردستان.

والثاني: هو (رجة العوام) أو (رجة الأكراد)^(٤)، والرجة: كلمة كردية تعني (الوصفة العلاجية).

في هذين المؤلفين وضع الإستاذ الإصبع على الجرح الكردي، والنقاط على الحروف وقدم العلاج اللازم لأهم أمراض الكرد. حيث شخّص ببصيرته وباصرته أهم الأمراض في تخلف بني جلدته، وعدم لحاقهم بركب الحضارة والأمم.

وهذه العلل هي: الجهل، والفقر، والتشتت، والتفرقة، والاستبداد، استبداد السلطة الحميدية والكمالية، واستبداد أمراء الكرد، ومشايخ الطرق اللذين استولوا على عقول الأمة باسم الدين وسببوا في تحجير وتسكين العقل وجمود الفكر والدوران في دائرة السبحة، وطلب المدد والإغاثة من القطب الربّاني "أي مدد قطب ربّاني لا المدد من الديان وخالق الأكوان".

لقد قدّم الشيخ وصفته العلاجية القيّمة المتمثلة في حثّ الأكراد على العلوم الدينية والكونية، لأنّ العلوم الدينية وحدها لا تفي بحاجات العصر وتطوّره، دعا الشيخ إلى نفس نظام التعليم القديم في كردستان، وطالب الحكّام بفتح مدارس عصرية باسم "مدرسة الزهراء" على غرار "جامعة الأزهر" في مصر، كما دعا إلى وحدة الصّف الكردي شعباً وأمراء، وإلى الحرية والوقوف ضدّ الظلم والطّغيان ومقارعة بكلّ ما أوتينا من قوّة، بالعلم والتّنوير والتّثقيف: ثقافة دينية وثقافة عصرية.

بهذا سيلتحق الكرد بركب الحضارة والتّقدّم وسيكون للكرد شأنٌ بين الأمم وإلا؟!...

المصادر والمراجع :

(١)،(٢): بديع الزّمان سعيد النورسي - نظرة عامة عن حياته - ترجمة إحسان قاسم الصّالحي.

(٣)،(٤): سعيد النورسي ووصفته العلاجية لأدواء الكرد العصرية - تأليف: ملا علي ملا نبي الدوسكي - مطبعة خاني دهوك.

قراءة في الكتب والمطبوعات:

قراءة في كتاب جبل ليلون في مرآة التاريخ

محمد حسن يوسف / عفرين

عن دار القبس بحلب، صدر كتاب من تأليف مروان بركات بعنوان (جبل ليلون في مرآة التاريخ)، وهو مؤلف من/٢٤٠/ صفحة من القطع المتوسط. كتاب (جبل ليلون) أو (جبل شيراوا) هو بحث تاريخي وأثري واجتماعي وجيولوجي، وهو من الكتب الجادة التي تتحدث بشكل موثق عن جغرافية وتاريخية جبل ليلون من جهة وعن عادات وتقاليده سكانه وأصالتهم بالإضافة إلى تعريف القارىء بأهم المواقع الأثرية الموجودة فيه. في بداية كتابه يستعرض المؤلف أصل ومعنى تسميته الجبل (ليلون)، ويعرفنا إلى الجذر اللغوي الكردي لهذه التسمية (ليلون- أي ثمرة الزيتون)، (ليلان - السراب)، (لولان - الدفلة)، و(لالان - الزنابق) كما يعرج المؤلف إلى المصادر التاريخية القديمة كالتواراة الذي جاء فيه اسم جبل (نه بو) نسبة للإله الرافدي الذي اشتهر خلال القرن التاسع قبل الميلاد في منطقة بلاد ما بين النهرين مواطن الامبراطوريات الكردية القديمة (ميزوبوتاميا)، و(نابو) هو إله الكتاب والحكمة.

أما التسمية الثانية للجبل باسم (شيراوا)، وهي تسمية كردية صرفة نسبة الى سكانه الذين هم من عشيرة شيروان الكردية ومنطقة شيروان تقع في ولاية (وان) القديمة أو نسبة الى الآلهة (شيراوا) التي كانت تُعبد خلال القرن التاسع قبل الميلاد وحتى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد. ويبحث المؤلف في القسم الثاني من كتابه عن البيئة الجيولوجية للجبل وعن النشاط الجيولوجي للمياه الجارية والانهارات والانزلاقات التي حدثت بالجبل، واعتمد في ذلك على بعض الجولات الحقلية، وبعض المصادر والدراسات المتوفرة في المكتبة.

وفي القسم الثالث من الكتاب يتحدث المؤلف عن جغرافية الجبل الطبيعية فيذكر أنه جزء جغرافي من جبل الكرد (عفرين)، وهو يقع جنوب شرق مدينة عفرين، وشمال غرب مدينة حلب، والمساحة التقريبية للجبل /١٢٠٠ كم٢/، ويذكر عن حدوده والأودية والمناخ، وأهم المواقع الجغرافية فيه مثل الأودية

العالية (شكه تا سور - ولوكة وكوور- دوده ريبي - بلكنك - حسينا - قه رته ل - كوورى هنكف). إضافة إلى وجود عدد من الكهوف والمغاور الشبيهة بالكهف دوده ريبي، ويتطرق المؤلف إلى الإهمال الذي تلاقيه هذه المنطقة من قلة تقديم الخدمات كالمياه والكهرباء والصرف الصحي والطرق المعبدة على الرغم من وجود أهم المواقع الأثرية النادرة مثل (قلعة جبل سمعان)، وقبر (مارمارون) الذي تتبع إليه الطائفة المارونية والكنائس والمدن الأثرية القديمة، ويوجد أيضاً كهف دوده ريبي حيث اكتشف فيه عام ١٩٩٣م/ بقايا مستحاثات إنسانية يعود لطفل عمره سنتين، وتنتهي إلى الإنسان (النياندرتالي) الذي عاش في العصر الحجري المتوسط من /٤٠- ٢٠٠ ألف سنة قبل الميلاد، وهو يعتبر أول هيكل عظمي كامل اكتشف في مدفنه الأصلي من قبل بعثة يابانية.

في فصل (جبل ليلون في العصور التي سبقت الكتابة) يتحدث المؤلف عن أهم الامبراطوريات التي دخلت نفوذها هذه المنطقة وهم (الهوريين، الميتانيين، الحثيين، الفراعنة، الآشوريين، الميديين)، مملكة (الآلاخ) في سهل العمق مملكة (كرميش)، ويؤكد أن اللغة الكردية كانت من اللغات الأساسية في تدوين الرقم والمستندات إلى جانب اللغات الأخرى من خلال الأسماء المدونة في الرقم التي تم اكتشافها في المواقع الأثرية، وأسماء وألقاب أهم الملوك في تلك الامبراطوريات.

في الفصل الخاص يتحدث عن الحياة الدينية عن تأثير الدين في كل نواحي نشاط الإنسان بدءاً من عبادة الشمس (إله الشمس) إلى (الآلهة عشتاروت) آلهة الحب والحرب، والإله (نه بو) إله الكتابة والحكمة إلى الديانة اليزيدية والمسيحية والإسلام، ويعرفنا إلى أهم المواقع والمزارات الدينية، حيث يوجد مزار (الشيخ بركات) الذي يتجه إليه أبناء الطائفة الإيزيدية في الأربعاء الأول من شهر نيسان بالتقويم الشرقي مع الإشارة إلى أن كثيراً من سكان قرى (شيراوا) كانوا من معتنقي الديانة الإيزيدية حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

ووجدت الديانة المسيحية في هذه المنطقة قبل /١٥٠٠/ عام من خلال الآثار التي تدل على انتشار هذه الديانة بين سكان المنطقة خلال تلك الفترة من خلال وجود العشرات من الكنائس الأثرية والمدن المنسية، ويذكر المؤلف بأن المسيحية وصلت إلى جبل ليلون من خلال (مار مارون) خلال القرن الرابع الميلادي، وتوجد في إحدى القرى كنيسة يعود بناءها إلى /٢٢١/ ميلادي، وقد

تم دفن مار مارون في قرية (به رادى - براد) حيث يؤمه من كل أرجاء العالم إلى زيارة قبر (مار مارون) وتحديداً في شهر نيسان، ومن أشهر النساك المعماريين (سمعان العامودي) الذي توفي/٤٥٩م/ وسميت القلعة باسمه فيما بعد، وسميت المنطقة رسمياً بجبل (سمعان) من قبل الدولة. في القسم الأخير من كتابه يتحدث المؤلف عن أهم المواقع الأثرية، والتجمعات البشرية بشكل تفصيلي من أسماء القرى ومعانيها، والحياة الاجتماعية والثقافية، وعادات السكان وتقاليدهم وأصولهم، وأهم التجمعات السكانية فيه هي:

- كفر نه بو: سميت نسبة إلى الإله الرافدي (نه بو) كما ذكرنا سابقاً، وفي القرية فندق ضخم قديم من العام /٥٠٤م/ مؤلف من طبقتين، وفيها معصرة عجيبة حيث أنها محفورة بالصخر، وكل الأدوات صنعت من نفس الصخر، والمعصرة تقع تحت الأرض حيث لا يمكن إدخال أو إخراج تلك الأدوات الحجرية من باب المعصرة.

- به رادى: أصل تسميتها السريانية (بارادو) أي (برد - قر)، أما في الكردية فهي على الشكل التالي (برا- دى) أي الأخ من الأم بمعنى الأخ الحقيقي أما لفظ (به راد) في الكردية تعني نوع من السمك حسب قول المؤلف.

- كيمارى: يعرج بنا إلى المؤلف الحلبي عبد الله حجار في كتابه (آثار جبل سمعان وحلقه) عن معنى كلمة (كيمارى) بمعنى (الناسك الزاهد).

أما في الكردية فلها عدة معاني (Ki-Mar) فكلمة (ki) اسم استفهام، و(MAR) مرتبة دينية في المسيحية أي (الناسك)، ونظراً لوجود عمود لناسك في القرية فإن التسمية الأولى هي الأقرب إلى الواقع.

- صوغانه كى: يرجح المؤلف أن تكون تسميتها نسبة إلى عشيرة كردية من الطائفة الايزيدية تقيم جنوب بلدة (عمودا) قرب الحدود السورية - التركية اسمها صوهناك (Sohanek) كون سكان (صوغانه كى) اعتنقوا الاسلام في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي حيث كانوا قبلها من معتنقي الايزيدية، وتوجد في هذه القرية كنيسة قديمتان، كما يوجد فيها أكثر من مئة خزان روماني لجمع المياه، وما يزال أهالي القرية يستخدمونها لمياه الشرب، كما يوجد فيها ما يقارب خمسون معصرة رومانية قديمة.

- هناك قرى أخرى (كلوته - دير مشمش - زه رقانى - مياسى - زعرايتى - عاقيبى - وباسوفانى).

مما لا شك فيه أن المؤلف جهد كثيراً في إعداد كتابه للقارئ، وهي محاولة

مشكورة لتسليط الضوء على بقعة معينة من المنطقة الكردية في سوريا من جوانب متعددة، والتأكيد على أصالة سكانها الكرد، وارتباطهم بأرضهم منذ الأزل.

لا تذهبوا بجسدي بعيداً أريد أن أصير إلى خاتم

عباس علي موسى

لم على الإنسان أن يدفن في مقبرة ما، تحت التراب! ثمة تجريب آخر في الدفن، كالدفن في العراء، أمام الريح والنسيم، أو في ساحات المعارك بما يليق بغياب أبدِيّ، إذن لم على المودعين أن يجدوك في أكثر حالاتك انكساراً، لم عليهم أن يواروك التراب، ليوقنوا بموتك، مع شارة الاستسلام، الكفن الأبيض الذي لا يستطيع حتى أن يرفرف كاستسلام نبيل أمام عدو عتيد.

مؤخراً حين تفتح شاشة التلفاز لتراقب مآسي العالم (في السابق كنت تفتح التلفاز لتراقب سخف العالم، أو تراقب الوقت لتسريع مضيّه وتزجيته)، ترى الشاشة تكادُ تندلق دما وأسى، حيثُ البحر مدفن مائي كبير للكثير من العابرين إلى بلاد الخلاص الدافئة/ أوربا، ربما يكون بارداً عكس التراب الدافئ، لكنه تجريب آخر، حيثُ لا مودّعين هاهناك، فقط إن حالفاك الحظ ستكون ضيفا على عائلة السمك، وستترسّب في بطن إحداها، ربما لتكون خاتماً لصياد ما، وفي فانتازيا سوريا ستكون في مرمى شباك إحدى صيادي هيشون على شاطئ المتوسط قبالة اللاذقية (تشكلي وأديب سوري توفي في أواخر ٢٠١١ رسم مجموعات لوحات للصيادين في عرض البحر أمام الشاطئ لمدينة اللاذقية).

ربما سينفذك، أقصد جسدك ميّتا، أحدهم ويصوّرونك أمام فلاشاتهم الساطعة ويرسلونك أثيراً حول العالم، ويمنحونك رقما ويودعونك تربة كنت تريد أن تحيا عليها أو تعبر منها إلى حياة أخرى، وربما ستنفذك صبيتان كما حدث منذ أيام، وستنشران صور سيلفي مع موتك المرتقب، هما أنفذاك من مدفن مائي لا أكثر، النتيجة هي أنك لن تصير إلى خاتم في بطن سمكة. (يقول الخبر أنّ سائحتين صربيتين أنفذا سورياً في عرض البحر، ونشرا صورتها معه وهو منهوك القوى والحياة).

الروتين المرافق لعمليات الموت بالجلطات والسرطانات كانت الأكثر انتشاراً هاهنا كأمراض عصرية أصابت البشر في هذه الجغرافيا، ثمة خروجاً إذن عن هذا الموت الروتيني، من أقصى الروتين، كأن تستيقظ زوجة لتوقظ

زوجها للمضيّ إلى عمله فتكتشف أنّه ميّت بجلطة ما، تولولُ وتقول نائحة
(في الفجر كان حيّاً يرزق، وقد طلب إليّ كأس ماء).
لم يعد هناك عنصر مفاجأة في أي موت، طالما أنّ الموت في الجوار حيثما
التفتّ، بأكثر الطرق كسراً للروتين، كانفجار سيارة مليئة بالتبن، أو انفجار
دراجة هوائية عتيقة.
كلّما تطوي الشمس، وكذا القمر يوماً تكون قد شهدت حالات عدة للموت في
دراما متنوعة تجريبياً للموت بأكثر من طريقة، ولن ترفع الأكفان أعلاماً بيض
كاستسلام أبدي لموت.

=====

من هي "موناليزا كوردستان" ؟

PUKmedia

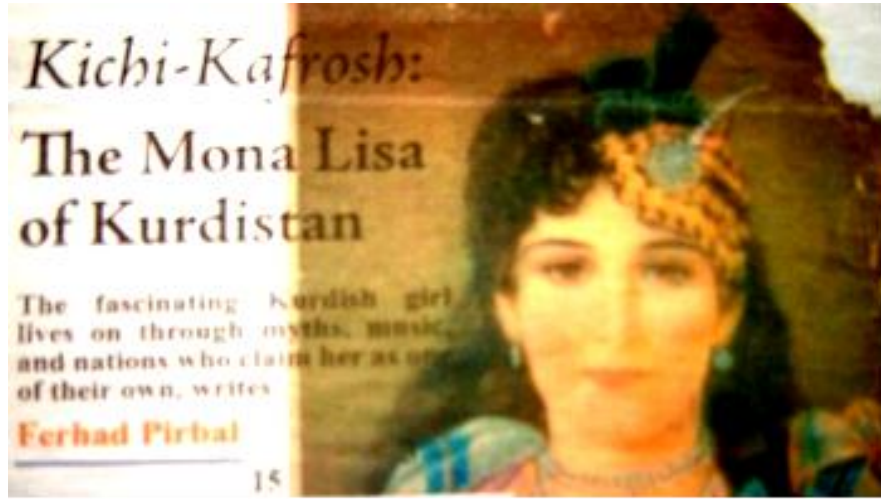
ترجمة بتصرف/ خالد النجار

منذ أن كنا صغاراً نلهو ونلعب في الأزقة والطرقات وفي حدود محلتنا ومنطقتنا في حي الأطباء ببغداد وأحياناً نذهب إلى أبعد من ذلك، فنعبر الشوارع ونشاهد المحلات والمقاهي وحتى منازل الناس تضع صورة تلك الفتاة الجميلة لتزين بها أماكنها، وكبرنا وعرفنا أن تلك الفتاة تسمى بـ(بنت المعيدي)، وهي مشهورة جداً في حينها. ومن الصدف أنني حصلت قبل أيام على إحدى الصحف التي تصدر باللغة الانكليزية ووجدت موضوع تلك الفتاة وصورتها، فقامت بترجمة الموضوع وعرفت أن تلك الفتاة الجميلة تسمى (موناليزا كوردستان) فمن هي هذه الفتاة؟ ومن أين جاءت تسميتها؟

إن فتاة كوردستان المذهلة أو كما كانت تسمى في الحضارة الكوردية بـ(كجي كافروش) تلقت نفس الاهتمام الذي تلقتة (الموناليزا) في الحضارة الأوروبية الحديثة فقد كانت تلك الفتاة رائعة الجمال وجذابة ومثيرة، وكان صعباً جداً أن يخلو بيت من بيوت كوردستان من صورتها الرائعة، حتى أن البعض كان يعلق صورتها في كل غرفة من غرف الدار، ومن جمالها كان يضرب بها الأمثال، فحين توصف أي فتاة جميلة في كوردستان يقال عنها (كجي كافروش).

فمن هي (كجي كافروش) ومن هو رسامها؟

قبل أن تصبح صورتها الرائعة تحفة فنية خالدة قال عنها البعض أنها فتاة حقيقية فهذه الجميلة (كجي كافروش) لها قصة إسطورية كقصص ألف ليلة وليلة، حتى أن اسمها قد تغنت به حناجر المطربين من خلال الأغاني الفولكلورية الكوردية في جميع أنحاء كوردستان، وقد تغنى بها المطرب الكوردي الراحل وبلبل كوردستان الفنان (حسن زيرك) عام/١٩٥٠م/ والفنان (محمد أحمد أربيلي) عام/١٩٧٠م/، ولها أغنيتان شعبيتان جدّاً تصفان جمالها وحسنها.



يقال عن (كجي كافروش) إنها ألهمت البريطانيين الشعر من جمالها ورقتها عندما هجموا على كردستان عام /١٩١٨م/ حتى أن البعض من قادتهم عشق صورتها قبل أن يأخذوها "أسيرة" معهم بالطائرة حيث تقول الرواية بأنها رفضت أن تكون سجينتهم أو أسيرتهم لذلك قفزت من الطائرة وفضلت الموت على أن تكون مع الغزاة...

وبالرغم من مأساوية الحادثة سواء كانت "حقيقة أم غير حقيقة" لكنها ألهمت الأدباء والشعراء وكل من سمع بتلك القصة العزم والثبات، وانبهر الجميع بشجاعتها وعنفوانها في الشرق والغرب، وفي دول العالم، وقد كان للرسمين والفنانين حصة من ذلك حيث قام الرسامون الكلاسيكيون برسم صورتها، وأبدعوا في أن يجعلوا منها لوحات تاريخية مؤثرة وانتشرت صورها بشكل مكثف، وأصبحت (كجي كافروش - مونا ليزا كردستان)، موضع إعجاب الرسامين الانكليز، وكذلك الألمان، وأصبحت صورها لوحة عالمية مثل (المونا ليزا)، و(العشاء الرباني) وغيرها من الرسوم العالمية، وأصبحت ثابتة في متاحف الفن في أوروبا و أمريكا، هذا بالإضافة إلى شهرتها في الشرق حيث أصبحت (فتاة كردستان) أو (مونا ليزا كردستان).

تسمى في تركيا (بنت الحدباء) وفي الدول العربية تسمى بـ (فاطمة) وفي بغداد كانت تسمى (بنت المعيدي) وإن كجي كافروش (مونا ليزا كردستان) قد أصبحت جزءاً من الحضارة، وتحفة فنية إنسانية رائعة.

لوحتي الغلاف

الفنانة شيرين باران كما تحدثت هي عن نفسها

بدأت الرسم في سن صغيرة جداً ... كنت من المتفوقين في مدرستي بمادة الرسم شاركت في الصف الخامس الابتدائي بمسابقة للرسم على مستوى سوريا البلد الذي عشت فيه فنلت المرتبة الأولى رغم صعوبة الحياة الاجتماعية والاقتصادية .. وأذكر في ذلك الحين أعطتني أمي كامل مصروفها اليومي لأشتري بها ألوان ومواد الرسم ولم أعلم بأن أمي كانت قد فعلت ذلك إلا فيما بعد ... ما فعلته أمي أعطتني الدافع للاستمرار والنجاح ... وأستمررت في موهبتي إلى أن درست في معهد الفنون التشكيلية للدخول للمجتمع الفني الأكاديمي ... بدأت بأول معرض فردي لي في جمعية خيرية لرعاية الأيتام في باب مصلى بدمشق ليكون أول عمل أنساني أقوم به ولكي يفتح لي أبواب الله في المستقبل البعيد في فني أحب أن أخلق شيء من اللاشيء، فبدأت البحث في الخام لأستخرج ألوان لا تخطر في البال كي أرسم بها لوحاتي، وقد نجحت في ذلك ... إضافة لمواد مختلفة مستخرجة أضفت لها روعي وفكري لأن اللوحة لا تكتمل إلا في روح الفنان ... بما أنني كوردية الأصل مازالت مشاهد الطفولة تلاحقني بصورها البيانية بفرحها وحزنها .. والألوان الكوردية جذبت مخيلتي وخاصة الزي الكوردي في طقوس نوروز، فأدخلت قماش البروكار الكوردي للوحاتي وهكذا أنتقلت للتقنيات ... الشمس والقمر والضوء المشترك هما مصدر ألهامي وغالباً ما ترى ذلك الضوء الساطع في لوحاتي فأمننا الطبيعة علمتنا الكثير ... التقنية والتكنيك وأستخرج الألوان والأسقاطات الضوئية هو موضوع بحثي ... أحب التنقل ما بين المدارس الفنية، لا أحب التقيد أو الروتين لأنني أحب الحرية، فتارة أرسم الواقع وتارة أجرده بحسب حالاتي وأشتياقي، وهذا يساعدني لأنجز عملي براحة تامة .. لأنني لا أقرر ماذا سأرسم، فقط أتأمل اللوحة البيضاء قبل البدء بها فأرى فيها روح أو شبح الوجود لأن اللوحة كالخليقة مصيرها أن تخرج للحياة كحالة الولادة تماماً ... أعتقد أنه لا توجد لوحتان متشابهتان أبداً، كبصمات الإنسان تماماً ... اللوحة بالنسبة لي وطني المفقود (كوردستان)، أحياناً أصلي لها وأقبل ريشتي قبل البدء في الرسم .. أحب فني بقدر حبي للحياة .. وسأرسم لآخر يوم في حياتي .. فالفن مدفأة لشيخوخة الفنان.

الفهرس

الافتتاحية: الحوار كقراءة مستمرة للواقع

رئيس التحرير..... ص ٢
بحوث ودراسات:

- السؤال الرئيسي في القضية الكردية اسماعيل بشكجي -
ترجمة: نواف عبد الله ص ٤
- انتشار الإسلام بين الكرد وفق الروايات التاريخية -
ياسين طه ص ١٥
- الكرد في موسوعة حلب المقارنة - للأسدي
إعداد: محمد عبدو علي ص ٢٨
- ملف العدد: عن تاريخ المناطق الكردية
- افتتاحية الملف نفض الغبار وترك مساحة للحوار -
محمود عمر ص ٣٤
- أكراد سورية في مرآة مصادر الأرشيف العثماني خلال القرن ١٨
للميلاد، شتيفان فينتر.
ترجمها من الألمانية: د. نضال محمود حاج درويش.. ص ٣٦
- جنديرس: التاريخ والحضارة
مروان بركات ص ٥٥
- عن "تل أبيض" وإشكالية التسميات العربية - الكردية
بدرخان علي ص ٧٠
- مدينة الحسكة
اسماعيل محمد ص ٧٧
- مدينة الدرباسية وريفها
مسعود داوود ص ٨٤
- تربه سبي دراسة تلماريخية واجتماعية
رضوان شكر..... ص ٩٢
- كركي لكي ... القرية القديمة والبلدة الحديثة
إعداد: لوند كاردوخي..... ص ١٠٢

- ديرك .. مدينة في منقار البطة
محمد قاسم (ابن الجزيرة) ص ١١٢
حوارات :
- حوار مع الكاتب واللغوي الكردي درويش غالب درويش
أسرة الحوار ص ١٣٠
أحداث ومحطات تاريخية:
- آل قمش من المجزرة إلى الزيارة
محمود عمر ص ١٣٦
شخصيات كردية :
- الشيخ سعيد النورسي
سيدا حسين ص ١٥٤
قراءة في الكتب والمطبوعات :
- قراءة في كتاب جبل ليلون
محمد حسن يوسف ص ١٥٧
أدب وفن :
- لاتذهبوا بجسدي بعيداً اريد ان اصير خاتم
عباس علي موسى ص ١٦١
- من هي موناليزا كردستان
ترجمة بتصرف خالد النجار ص ١٦٣
لوحتي الغلاف
- شيرين باران كما تحدثت هي عن نفسها ص ١٦٥
- الفهرس ص ١٦٦

